سلسلة الأجوبة الباهرة في الرد على الأسئلة الحائرة ١

ماذا يريد الله منك؟

قاله مقيد أوابده وجامع فرائده الفقير إلى ربه الخالق

علي بن قاسم علي

تقديم أصحاب الفضيلة

فضيلة الشيخ
أبو بكر جابر الجزائري

فضيلة الشيخ
مصطفى بن العدوي

فضيلة الشيخ
محمد عبد الملك الزغبي

فضيلة الشيخ
وحيد عبد السلام بالي

فضيلة الدكتور
خالد المشيقح

فضيلة الدكتور
سيد بن حسين العفاني

فضيلة الدكتور
محمد يسري

فضيلة الدكتور
عبدالله شاكر



من أنا ؟
ما هي نقطة الإنطلاق الصحيحة ؟
كيف أسير إلى ربي سيراً صحيحاً ؟
ماذا يراد لي ؟
ماذا يريد الله لي ؟
ماذا يريد الله مني ؟

هذه بعض الأسئلة التي تدور في أذهان كثير من المسلمين الصادقين ولاريب أن الإجابة على هذه الأسئلة أمر من الأهمية بمكان

وهذا الكتاب هو محاولة منا للإجابة على هذه الأسئلة الحائرة التي تدور في خلجات صدور كثير من المسلمين

والله نسأل أن يهدينا جميعا سواء السبيل وأن يسبل علينا ستره الجميل

المؤلف

جلال 010 350 48 90

سلسلة الأجوبة الباهرة في الرد على الأسئلة الحائرة

ماذا يريد الله منك؟

قاله مقيد أوابده، وجامع فرائده، الفقير إلى ربه الخلاق

علي بن قاسم علي

عفا الله عنه

تقديم أصحاب الفضيلة

فضيلة الشيخ/ أبو بكر جابر الجزائري
فضيلة الشيخ/ مصطفى بن العدوي
فضيلة الشيخ/ محمد الزغبي
فضيلة الشيخ/ وحيد عبد السلام بالي
فضيلة الدكتور/ خالد المشيقح
فضيلة الدكتور/ سيد العفاني
فضيلة الدكتور/ محمد يسري
فضيلة الدكتور/ عبد الله شاكر

مكتبة سلسبيل
ش العزيز بالله – حدائق الزيتون
القاهرة ٠١٠٦٧٦١٢١٩



الطبعة الخامسة

طبعة مزيدة منقحة بها إضافات تنشر لأول مرة..

١٤٢٨هـ - ٢٠٠٧م

رقم الإيداع بدار الكتب المصرية: ٢٠٠٧/١١٩٧٠

الترقيم الدولي: ٧-٤٧٦٥-١٧-٩٧٧

الناشر

مكتبة سلسبيل

ش العزيز بالله - حدائق الزيتون

القاهرة ٠١٠٦٧٦١٢١٩

بعد قراءة هذا الكتاب أعطه لغيرك لينتفع به
ومن دل على خير فله مثل أجر فاعله



مقدمة المؤلف

الحمد لله وحده، والصلاة والسلام على من لا نبي بعده.

وبعد:

فلا يخفى على كل ذي لبٍّ وبصيرة ما تحياه أمتنا المسلمة في هذه الفترة العصيبة من هوان وانحسار، حيث اشتد على الأمة الحصار، وادلهمَّت الخطوب، واشتدت عليها الكروب، وعصفت بها المحن، وأطلت عليها الفتن برأسها الظلوم ووجهها الكالح الغشوم... ومن هذه الفتن: **فتن الشهوات المحرمة، وفتن الشبهات المضلة، وفتن** تضارب الآراء، **وفتن** تسلط الأعداء.

* وأمام هذه الفتن تَزَلْزَلَ كثيرٌ من أبناء هذه الأمة، وبدأوا -إلا من رحم ربي - في الابتعاد رويدا رويدا عن حقيقة هذا الدين القويم، بل ودنسوا هذا الثوب الخالص بأوحال الكبائر والمعاصي الظاهرة والباطنة.

ويا ليت الأمر توقف عند هذا الحد؛ ولكن -ولشديد الأسف- استجاب كثير من أبناء أمتنا المسلمة لمزاعم أعدائنا، فانخدعوا بشعاراتهم

الزائفة [كاللادينية، والحرية، والعلمانية، والديمقراطية].

وظن كثيرٌ من المسلمين الغافلين أن ملاحقة النظام الغربي، ومحاكاة الوضع العالمي هو السبيل الأوحد إلى النجاة والتقدم والرقي، وفي الوقت ذاته ظن هؤلاء أن اتِّباع الكتاب والسنة هو سبب تأخر وتخلف الأمة - كذا زعموا -.

فاستغل الأعداء انخداع السُّذج من المسلمين بهذه الشعارات الغربية الكاذبة الزائفة المخترعة، فراحوا بخبث ودهاء يضعون الحواجز والسدود بين الأمة وبين عقيدتها الصافية وشريعتها الربانية، واتخذوا في سبيل تحقيق مآربهم الدنيئة -عمومًا- وهذا الهدف -خصوصًا- الغالي والرخيص؛ سيرًا منهم على القاعدة الخبيثة الفاسدة المعروفة «*الغاية تبرر الوسيلة*».

وبالفعل كانت النتيجة المحزنة هي نجاح خطط هؤلاء الكافرين، ولعلَّ هذا واضحًا جليًّا في مجتمعاتنا المسلمة المعاصرة، حيث تفشَّى الجهل المركب، والتقليد الأعمى للغرب الكافر والشرق الملحد في كل شيء وأي شيء، وصارت تبعيتنا المطلقة لليهود والنصارى وأذنابهم أمرًا ملموسًا ملحوظًا في كل أحوالنا [الاجتماعية، والاقتصادية، والسياسية] حتى

أعراف وسلوكيات وأخلاقيات أمتنا صرنا فيها تابعين أذلاء لليهود والنصارى، فصارت ثقافتنا تؤخذ عن الإعلام العميل الموجه، كالقنوات الفضائية، وعبر الشبكة العنكبوتية، وصارت أعرافنا وأخلاقنا وسلوكياتنا تُصدَّر لنا من عند هؤلاء من وراء البحار... وإلى الله المشتكى!!.

* ونجح هؤلاء أيضا في إيقاع كثير من المسلمين في انفصام نكِدٍ، وخلط عجيب، وبعدٍ مُزرٍ عن دين رب العالمين، وشرع أحكم الحاكمين.

*ولكن وبالرغم من أنهم **﴿يُرِيدُونَ لِيُطْفِئُوا نُورَ اللهِ بِأَفْوَاهِهِمْ﴾** [الصف: ٨]، وبالرغم من جهود أعدائنا المتكاثرة والمتلاحقة في سبيل إضلال هذه الأمة عامة، والشباب خاصة، وعلى الرغم من محاولاتهم الجادة والحثيثة- سواء كانت عالمية أو محلية-، والتي تستهدف اقتلاع حب هذا الدين والولاء له من القلوب والعقول، وعلى الرغم من محاولة تذويب هوية هذه الأمة، وإفساد عقيدتها...وتضييع ثوابتها وأصولها ومعالمها، وعلى الرغم من كل هذا **﴿وَيَأْبَى اللهُ إِلاَّ أَن يُتِمَّ نُورَهُ وَلَوْ كَرِهَ الْكَافِرُونَ﴾** [التوبة:٣٢].

حيث وفَّق الله النُّجباء الأذكياء والعقلاء الطيبين من هذه الأمة؛ فاتضحت لهم معالم الطريق، فلم ينخدعوا، ولم يقعوا فريسة لهذا الغزو المدمر، والمعروف في زماننا باسم **العولمة**.

*ولا شك أن هذا خير، **إلا أنه خيرٌ فيه دَخَنٌ..، ومما يدلك على ذلك**: أننا نلحظ من جملة ما نلحظ على كثير من إخواننا الراغبين في سلوك طريق النجاة والاستقامة على أمر الله، نلحظ عليهم نوعًا من أنواع **التخبُّط، والاضطراب، والحيرة**، يُعرَف ذلك في وجوههم، ويدور في خلجات نفوسهم، وربما يتردد على ألسنة بعضهم، ويتضح هذا الأمر بجلاء من خلال أسئلتهم ومناقشاتهم، حتى وصل الأمر بكثيرٍ منهم إلى أن يسأل ويقول: إننا في زمان لَبِسَ فيه الباطلُ ثوبَ الحق، والواحد منَّا لا يدري...

- ما هي نقطة الانطلاق الصحيحة؟!
- كيف أسير إلى ربي سيرًا صحيحًا؟!
- ماذا يريد الله مني؟!

هذه هي بعض الأسئلة التي تدور في أذهان كثير من الشباب المسلم الصادق الراغب في سلوك الطريق المستقيم..

ولا شك، ولا ريب أن الإجابة على هذه الأسئلة أمر من الأهمية بمكان، بل أرى -والله أعلم- أنه يجب على كلِّ من آتاه الله شيئًا من العلم أن يُبَصِّرَ الناس، وأن يُعلِّمهم ما أوجبه الله عليهم -خاصة- في هذه الآونة التي غَلَبَ فيها الجهل المُرَكَّب على كثير من المسلمين؛ [حتى صار أغلب المسلمين لا يعرفون كثيرًا من معالم الشريعة الأساسية، فضلًا عن أصولها، بل لا أكون مبالغًا إن قلت: إن أكثر المسلمين فى هذه الأزمان يجهلون كثيرًا من فروض الأعيان بل وأكثرهم لا يدري شيئًا عن المحكمات فضلاً عن المعلوم من الدين بالضرورة، وإلى الله المشتكى!!].

ثمرات الجهل المرة ...

*ونتيجةً لانتشار الجهل بين عموم المسلمين -إلا من رحم ربي-؛ رأينا الكثير من المسلمين يفهم الإسلام فهمًا مجتزئًا عجيبًا غريبًا

* فمن الناس من يرى أن الإسلام هو أن يُرَدِّد المسلم كلمة التوحيد بلسانه، وهو لا يعرف لها معنى، ولا يفهم لها مضمونًا، ولا يقف لها على مقتضى، أو أمرٍ، أو نهيٍ أو حدٍّ!!.

* وترى صنفًا آخر يزعُمُ أنه مسلم موَحِّد، ثم تراه يسير حرًّا طليقًا، يختار لنفسه من المناهج والأوضاع والنظم والقوانين الوضعية ما يشاء ويختار!!.

* وترى صنفًا آخر لا يرى الإسلام شيئًا غير طقوس العبادة الظاهرة (كالصلاة مثلًا)، وللأسف فإن هذا هو اعتقاد الآلاف بل الملايين من المسلمين الغافلين؛ لهذا تجد الكثير من هؤلاء يعتقد أنه إن أدَّى شيئا من الصلوات المكتوبات فقد أدَّى ما عليه تجاه هذا الدين، بل بعضهم يحسب أنه إن حافظ على أداء هذه الصلوات كاملة وفقط فقد وصل إلى لُبِّ الإسلام، وذروة سَنامه.

* وترى صنفًا رابعًا يزعم أنه مسلم متديِّن، فإذا نظرت إلى واقعه وحياته نظرة المُتأمِّل، تراه قد قسم حياته إلى قسمين: أحدهما: يتعلق بأمور العبادات، والآخر: يتعلق بأمور المعاملات، وأمور الحياة وشئونها..، وهذا الشق المذكور آنفًا لا تكاد تجد فيه مكانًا لأحكام شريعتنا الغَرَّاء؛ **بل إذا قلت لواحد من هؤلاء**: لا بد أن تكون شئون حياتك ومعاملاتك وفقًا لشرع الله، فلا تأكل الحرام، ولا تتعامل مع البنوك الربوية -مثلًا-؛ تراه ينظر إليك في دهشة، ويرد عليك مُستنكِرًا فيقول: **ما علاقة الدين بالحياة العملية؟ وما دخل الإسلام في القضايا الاقتصادية؟ وما صلة الإسلام بالتعليم أو الإعلام أو السلوك؟!**

الإسلام علاقة خاصة بين العبد وربِّه، و هو أسمى وأعظم وأكرم من أن تُخرجه من المساجد لتزجَّ به في أمور الدنيا -زعم-.

❋ **ومن الناس** من لا يرى في الإسلام إلا الخُلُق الفاضل، والروحانية الفياضة، والغذاء الفلسفي الشهي للعقل والروح.

❋ **ومن الناس** من يزعُم الانتماء للإسلام، وقد ترك الصلاة، وضَيَّعَ الزكاة، وهجر القرآن، وأعرض عن أحكام الإسلام، وتفنن في أكل الحرام، وأكل أموال الناس بالباطل، وأكل الربا، وشُرْبِ الخمر، وارتكاب الفواحش كلها.

❋ **ومن الناس** من يحارب شرع الله ويصُدُّ عن سبيل الله؛ ويضطهد أولياء الله، ثم تراه ينطلق بكل جرأة ووقاحة داعيًا إلى المنكر، ناهيًا عن المعروف؛ بحجة تجفيف منابع التطرف، وملاحقة الإرهابيين، وهو مع كل هذا يعتقد أنه مسلم كامل الإيمان..

❋ **ومنهم من يرى الإسلام** نوعًا من العقائد الموروثة، والأعمال التقليدية التي لا غناء فيها، ولا تقدُّم معها، فهو مُتبرِّم بالإسلام، وبكلِّ ما يتَّصل بالإسلام.

هذا هو الواقع الأليم المحزن فإن أقلَّ الناس -ولشديد الأسف- هم الذين فهِموا الإسلام بشموله وكماله؛ فانطلقوا في حياتهم الدنيا من هذا

التَّصوُّر العَقَديّ؛ عملًا بقول الرب العليّ الأعلى في كتابه: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُواْ ادْخُلُواْ فِي السِّلْمِ كَآفَّةً﴾ [البقرة: ٢٠٨]، وهؤلاء أقل من القليل.

- **أما الكثرة** من المسلمين فإنهم يندرجون تحت هذه الأصناف السابق ذكرها، بحيث تختلف نظرة كلٍّ منهم إلى الإسلام عن نظرة الآخر، يصدق فيهم قول ربنا ﷻ: ﴿أَفَتُؤْمِنُونَ بِبَعْضِ الْكِتَابِ وَتَكْفُرُونَ بِبَعْضٍ فَمَا جَزَاء مَن يَفْعَلُ ذَلِكَ مِنكُمْ إِلاَّ خِزْيٌ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَيَوْمَ الْقِيَامَةِ يُرَدُّونَ إِلَى أَشَدِّ الْعَذَابِ وَمَا اللّهُ بِغَافِلٍ عَمَّا تَعْمَلُونَ﴾ [البقرة:٨٥].

- فلما كان هذا هو حال عموم أهل الإسلام -إلا من رحم ربي-، ولَمَّا كان الدين النصيحة كما صحَّ عن رسول الله ﷺ، وانطلاقًا من الشعور بالمسئولية لا الشعور بالأهليَّة؛ رأيت أن أكتب هذه الكلمات، تذكرةً للعابد، وتبصِرَةً للغافل؛ أقدمها لمن أراد الهدى والفلاح بطاعة المولى في المكره، كما أطاعه في المنشط، عسى أن تحمل هذه الرسالة صدقًا في الخبر، وعدلاً في الحكم، وإنصافًا في القول، ويقينًا في المعرفة، وسدادًا في الرأي، ونورًا في البصيرة، لعلي أنال بذلك شرف الدعوة إلى هذا الدين العظيم،

والذب عن الشرع المطهَّر..

والله المسئول أن يُسبل علينا ستره الجميل، كما أسأله سبحانه توفيقًا قائدًا إلى الرشد، وقلبًا مُتقلِّبًا مع الحق، ولسانًا ناطقًا بالحجة، والله المستعان، وعليه التكلان، وصلى الله على نبينا محمد، وعلى أبويه إسماعيل وإبراهيم وسائر أنبياء الله تعالى، وسلَّم تسليمًا كثيرًا.

وخطه بيمينه

أفقر الخلق إلى الله تعالى..

علي بن قاسم

ALI_KASM_ALI@yahoo.com

وهذا أوان الشروع في المقصود.. فأقول مستعينًا بالله سبحانه، مُتوكلا عليه:

من أنت؟!

ماذا يُرادُ لك؟!

ماذا يريد الله لك؟!

ماذا يريد الله منك؟!

❋ أسئلة أربعة. أَضَعُها نُصْب عينيك -عبد الله- لتكون ذا بصرٍ وبصيرة بحال نفسك، وحال قلبك - خاصة- في هذه الأزمنة الغابرة، التي استولت فيها الغفلة على القلوب، وغفل فيها كثير من العباد عن علام الغيوب -سبحانه جلَّ شأنه-.

أولا :



أنت المسلم.. نور هذا الكون.. مَنَّ الله عليك بأَجَلِّ منَّة، وأعظم نعمة، **ألا وهي دين الإسلام**، والذي تضمنت تعاليمه كل ما فيه صلاح النفس، ونور العقل، وسعادة الفرد وخير الجماعة..

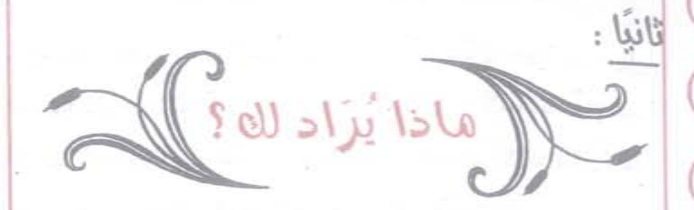
فاحمد

الله على هذه النعمة العظيمة.

وافخر

بانتمائك لهذا الدين العظيم.

ثانيًا :



-قد تقول: ممن؟!

والجواب: حتى لا يتشتت ذهنك وتغيب الفكرة التي أهدف إلى تأصيلها؛ **فإني أقصد بسؤالي: الأعداء المُتربِّصِينَ بكَ، والمُتسلِّطين عليكَ، وعلى أُمّتكَ، كذلك الأصدقاء الفاسدين الفاسقين الغافلين.**

أولا : الأعداء :-

-اعلم أيها الحبيب أنك شغل أعدائك الشاغل، وهمهم بالليل والنهار، فهم لا يُريدون لكَ، ولا لغيركَ من الموحدين أيَّ خير، بل لا يرغبون في مشاركتك السلمية النافعة لهم في إعمار هذا الكون، ويودون من سويداء قلوبهم لو استُئصِلَت شَأفَةُ الإسلام والمسلمين من هذا الوجود، ولكن هيهات هيهات.



لأجل هذا تراهم يعملون بكل حرص، وعزم، وجد، وقوة لإذلالك ولإفساد ديانتك، وعقيدتك، وهويتك، بل لا يألون جهدًا في سبيل اضطهادك ومحاربتك، ومحاربة دينك، **غايتهم الأولى والأساسية، وهدفهم الأوحد** إخراجك من الملّة الحنيفية، ومسخ هويتك الإسلامية، ولقد صدق ربي إذ يقول: ﴿وَدُّواْ لَوْ تَكْفُرُونَ كَمَا كَفَرُواْ فَتَكُونُونَ سَوَاء﴾ [النساء: ٨٩].

- **أعداؤك**: يعقدون المؤتمرات العالمية، وينظمون الجلسات المرتبة، بالليل والنهار، في السر والعَلَنِ، ليمكروا بكَ.

- **أعداؤك**: تجمَّعوا من كلِّ حَدَبٍ وصَوْبٍ على قلب رجلٍ واحدٍ، على اختلاف مُعتقداتهم، وأفكارهم، وتوجهاتهم، ليحيكوا لكَ المؤامرات، وليدبروا ضدك المخططات، ليصرفوك عن دينك، ليبعدوكَ عن محرابك، ليُثنوكَ عن أخلاقك، ليصرفوكَ عن جهادِكَ، حتى قال قائلهم، وهو **المُنَصِّر الشهير صمويل زويمر، رئيس جمعيات التنصير في مؤتمر القدس، عام ١٩٣٥م**: [يجب أن نُعِدَّ شبابًا لا يعرف الصلة بالله، ولا يريد أن يعرفها، ويجب أن نُخرجه من الإسلام، وتعاليمه بكل ما أوتينا من قوة ليخرج الشباب تبعًا لما خططنا لا يهتم بالعظائم، ويُحِبُّ الراحة والكسل، ويسعى

للحصول على شهواته بأيِّ أسلوب، وتكون هي هدفه الأوحد في هذه الحياة].

- وهذا مجرم آخر وهو **المُنَصِّر روبرت ماكس** يقول بكل جرأة ووقاحة: **«لن تتوقف جهودنا وسعينا في تنصير المسلمين، حتى يرتفع الصليب في سماء مكة، ويُقام قدّاس الأحد في المدينة»**.

* إنهم يُنفقون المليارات ليصرفوا الأمة عن دينها، ويصبغوها بالصبغة الغربية، ولن يهدؤوا، ولن يتوقفوا -كما يزعمون- حتى لا يُقال في الأرض: الله.. الله.

* ولقد صدق ربي إذ يقول: ﴿وَدَّ كَثِيرٌ مِّنْ أَهْلِ الْكِتَابِ لَوْ يَرُدُّونَكُم مِّن بَعْدِ إِيمَانِكُمْ كُفَّاراً حَسَدًا مِّنْ عِندِ أَنفُسِهِم مِّن بَعْدِ مَا تَبَيَّنَ لَهُمُ الْحَقُّ﴾ [البقرة: ١٠٩].

* **والواقع المرير يشهد على نجاح جهودهم** فلقد نجحوا في إبعاد المسلمين عن دينهم -إلا من رحم ربى-، ونجحوا في مسخ هوية كثير من الشباب، وبالفعل أخرجوا شبابا ﴿يَعْلَمُونَ ظَاهِرًا مِّنَ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَهُمْ عَنِ الْآخِرَةِ هُمْ غَافِلُونَ﴾ [الروم: ٧] **وإلى الله المشتكى!!.**

هل علمتَ ماذا يريدون لكَ؟!

يريدون لكَ الوقوع في دركات الكفر والشرك والبدعة.

يريدون لكَ الشقاء في الدنيا، والنار في الآخرة.

يريدون لكَ الذلة والتَّبعيَّة لهم في مناحي الحياة.

يريدون لكَ التِّيه، والضياع، والتخلُّف، ليظلوا هم سادة العالم وقادته، نسأل الله أن يجعل تدبيرهم تدميرهم.

ثانيًا: رُفقاء السوء

إنه من المقرر لدى عقلاء البشر جميعًا أن الإنسان السوي فُطر على أن يكون إلفًا مألوفًا، وهذا شيء جبلِّي طبيعي، وهو أمر حسن مقبول.

ولكن -ولشديد الأسف- فإن مكمن الخطورة يتركز في الاختيار الخاطئ لهذا الصديق.

لأن ضرر مُصاحبة الفُسَّاق، الفُجَّار، من أهل الزَّيْغ والضَّلال لا يقل خطرًا عن «ضرر متابعة الأعداء».

فيمَ التنافس؟!

فمثلا: إن مما جُبِلَ عليه الناس في هذه الدنيا محبة التنافس، والتفوُّق على الآخرين، لكنهم وإن اشتركوا في هذه الغريزة، إلا أنهم يختلفون اختلافًا كبيرًا في وسائل إشباعها، تبعًا لاختلاف نظراتهم للحياة، وأيضًا لاختلاف أنماط سلوكهم واتجاهاتهم.

وهنا يأتي دور الصُحبة لِيُزَكِّي هذا الشعور سلبًا أو إيجابًا.



فإن كانوا رفقاء سوء: فستجد التنافس فيما بينهم في كثرة الأسفار لبلاد الكفر والفجور، أو سيكون شغلهم الشاغل التنافس في شراء السيارات الفخمة، وأجهزة المحمول الحديثة، والمجاهرة باقتراف سائر المعاصي والمحرمات، ومتابعة الموضات الغربية، والتسريحات والملابس الإفرنجية.

بينما لو كانت الصحبة صالحة: فستجد تنافس هؤلاء في الفوز برضا الرحمن، واللحاق بركب النبيين، والصدِّيقين، والشهداء، والصالحين في الفردوس الأعلى من الجنة.

وللأسف فإن الواقع المعاصر يكشف لنا بجلاء أنه قد تبدلت مفاهيم الناس -عامة-، والشباب منهم -خاصةً-، وانقلبت عندهم الموازين واختلَّت عندهم المعايير، فأصبح هؤلاء يُطلِقون كلمة الفوز على من ظفر بالخمور، والمُسْكِرات، والمُخَدِّرات، وصارت كلمة **«الرجولة»** تُطلق على من تنقَّل بين أحضان الداعرات الفاسقات.

هل فهمت ماذا يريد لك هؤلاء أيضا؟!

إنهم يريدونه لك...

ولقد صدق ربي إذ يقول: ﴿ويريد الذين يتبعون الشهوات أن تميلوا...﴾.

هل فهمت ماذا يريد لك هؤلاء أيضًا؟!

إنهم يريدون لك اتِّباع الشهوات، وشرب المُسكِرات، وتعاطي المُخَدِّرات، ومُلاحقة الفاسقات الداعرات، والسير تبعًا للموضات، ولقد صدق ربي إذ يقول: ﴿وَيُرِيدُ الَّذِينَ يَتَّبِعُونَ الشَّهَوَاتِ أَن تَمِيلُواْ مَيْلاً عَظِيمًا﴾ [النساء:٢٧].

يريدون لك جمع المال، ولو من حرام، يريدون لكَ الإطراء والمنزلة بين الناس، ولو بالباطل.

يريدون لك **الجاه والسلطان، ولو كنتَ ظلومًا جهولًا.**

- والسؤال الذي يطرح نفسه بكل قوة... هل يفعل هؤلاء كل هذا لأنهم يحبونك، ويحبون لك السداد في الدين؟!

والجواب بالطبع لا، ولكنهم يظهرون ذلك لينتفعوا من ورائك، وليحققوا مآربهم وأهدافهم من خلال مصاحبتك.

هم يريدون لك ذلك، لكنَّ الله يريد لك غير ذلك!!

ثالثًا

ماذا يريد الله لك؟

قد تقول: الله يُريد.. وهل لله إرادة؟!

والجواب: نعم، لله إرادة تليق بجلاله وعظمته، وهذا أمر معلوم، غير خافٍ على أصحاب العقائد السليمة.

-فإذا كان الأمر كذلك.. فماذا يريد الله لك؟!

والجواب: إن الله ﷻ هو الذي اختارك واصطفاك من بين كثير من الخلق لتكون عبدًا له وحده، وأنعم عليكَ بنعمه السابغة الكثيرة، التي لا تُعدُّ ولا تُحصَى، وتَفَضَّلَ عليكَ بالخيرات والمنن، فما من نعمةٍ تتنعَّم بها، أو يتنعَّمُ بها أحدٌ من الخلق إلا وهي مَحْضُ فضل الله -تبارك وتعالى-.

- إن هذا الإله العظيم يُريد لكَ الهدى، والتُّقَى، والرشاد؛ قال تعالى في مُحكَمِ التنزيل: ﴿يُرِيدُ اللَّهُ لِيُبَيِّنَ لَكُمْ وَيَهْدِيَكُمْ سُنَنَ الَّذِينَ مِن قَبْلِكُمْ﴾ [النساء:٢٦] وقال تعالى: ﴿وَأَنَّ اللَّهَ يَهْدِي مَن يُرِيدُ﴾ [الحج:١٦].

- إن ربك يريد لك -أيها العبد المؤمن- الهدى، وانشراح الصدر؛ قال تعالى:

﴿فَمَن يُرِدِ اللَّهُ أَن يَهْدِيَهُ يَشْرَحْ صَدْرَهُ لِلْإِسْلَامِ وَمَن يُرِدْ أَن يُضِلَّهُ يَجْعَلْ صَدْرَهُ ضَيِّقًا حَرَجًا﴾ [الأنعام:١٢٥].

-إن ربك يريد لكَ التوبة من دَنَسِ الذنوب والمعاصي؛ قال تعالى: ﴿وَاللَّهُ يُرِيدُ أَن يَتُوبَ عَلَيْكُمْ وَيُرِيدُ الَّذِينَ يَتَّبِعُونَ الشَّهَوَاتِ أَن تَمِيلُوا مَيْلًا عَظِيمًا﴾ [النساء:٢٧].

-الله يريد رحمتكَ، والتخفيف عنكَ، ورفع الحرج عنك وعن أمتك في التكاليف، وغيرها..؛ قال تعالى: ﴿يُرِيدُ اللَّهُ أَن يُخَفِّفَ عَنكُمْ وَخُلِقَ الْإِنسَانُ ضَعِيفًا﴾ [النساء:٢٨]، وقال تعالى: ﴿يُرِيدُ اللَّهُ بِكُمُ الْيُسْرَ وَلَا يُرِيدُ بِكُمُ الْعُسْرَ﴾ [البقرة:١٨٥].

-الله يريد لك: الطهارة الحسية والمعنوية، ويريد لكَ الخير والبركة؛ قال تعالى: ﴿مَا يُرِيدُ اللَّهُ لِيَجْعَلَ عَلَيْكُم مِّنْ حَرَجٍ وَلَٰكِن يُرِيدُ لِيُطَهِّرَكُمْ وَلِيُتِمَّ نِعْمَتَهُ عَلَيْكُمْ لَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ﴾ [المائدة:٦].

-**الله يريد لك:** التزود بالعلم النافع، والعمل الصالح؛ قال ﷺ: «من يُرِدِ الله به خيرًا يُفقِّهه في الدين» [متفق عليه] .

-**الله يُريد لك:** الرِّفعة في الدرجات، وتكفير السيئات؛ قال ﷺ: «من يُرِدِ الله به خيرًا يُصِب منه» [رواه البخاري] .

-**الله يُقدِّر لك ولأهلك الأسباب الجالبة للخير** ؛ قال ﷺ: «إذا أراد الله بأهل بيتٍ خيرًا أدخل عليهم الرفق» [رواه أحمد وهو حديث حسن] .

-**الله يحبك** ، ويحب لقاءك، ويحب ذكركَ وكلامك، ويتقرب منك ويهرول إليك، ويضاعف حسناتك، ويستحي منك إذا ذكرته ودعوته؛ إذ هو سبحانه يريد لك وللجميع الخير والنجاح في امتحان الدنيا.

-**الله يصبر عليك** ، ويحلم عليك، ويفرح بتوبتك على الرغم من المخالفات الجسيمة التي ترتكبها، والأوامر التي افترضها عليك فلم تؤدها، والأمانات التي ائتمنك عليها فضيعتها، ولِمَ لا وقد وصف ﷻ نفسه أنه الرءوف الرحيم فقال: ﴿إِنَّ اللَّهَ بِالنَّاسِ لَرَؤُوفٌ رَّحِيمٌ﴾ [البقرة:١٤٣] .

- **يريد** -سبحانه- أن يتوب على عباده المؤمنين، وينتظر استغفارهم، ويفرح بندمهم على زلاتهم، ويحب دموع أعينهم من خشيته ليعفو عنهم.

- **يريد** منهم فعل الخيرات وترك المنكرات، ليرفع لهم الدرجات؛ قال تعالى: ﴿وَمَن يَقْتَرِفْ حَسَنَةً نَّزِدْ لَهُ فِيهَا حُسْنًا﴾ [الشورى:٢٣].

وبالجملة ... فالله يريدك لك، وما سواه يريدك له ...

فهيا أقبل على ربك ولا تخف..

أقبل ولا تخف إنك من الآمنين.

الله ودود

ومن الصور العجيبة لتودد الله لعباده ولك، وحبه لهم ولك، وحرصه على مصلحتهم ومصلحتك في الدنيا والآخرة: تلك المنح والهدايا التي يرسلها لهم كل فترة لتكون لهم بمثابة الأمل والحافز لتعويض ما فات، والتشمير للحاق بركب المؤمنين السائرين إليه، وإلى جناته.

*ومن هذه المنح والعطايا: يوم عرفة، ويوم عاشوراء، والعشر الأول من ذي الحجة، وصيام شهر رمضان، وصيام شهر الله المحرم، وليلة القدر،.....

*فيا من بارزت الله بالمعاصي، وانتهكت الحرمات، وأطلقت لسانك ويدك وبصرك وسائر جوارحك فيما لا يحل لك.. **أتدري أنك بذلك قد أغضبت مولاك؟!**

* ثم إذا علمتَ -عبد الله- [يا من خَلَقَكَ الله من العَدَمِ، وأسكنكَ أرضَهُ، ومَنَحَكَ رِزقَهُ، وامتَنَّ عليكَ بنعمه؛ ظاهرة وباطنة] قدركَ عند ربِّكَ ومولاك، فاسأل نفسك وقل لها: ما ظنك بربٍّ غفور ودود غفر

لرجل قتل مائة نفس وتاب عليه، وغفر لامرأة من بغايا بني إسرائيل لأنها سقت كلبًا، فإذا كانت هذه هي مغفرة ربنا بامرأة سقت كلبًا وإن كانت من البغايا، فكيف تكون الرحمة والمغفرة بمن وحَّد رب البرايا؟!

*ثم اسأل نفسك بكل صراحة وأدبها وقل لها: هل هذا هو الإحسان الذي أقدمه لربي تجاه هذه المعاملة الودودة من ربي لي؟

قد تقول: وماذا أفعل؟

*والجواب: ما عليك إلا أن تُقبِلَ على ربك دون خوفٍ أو إحجام، فربك غفور رحيم، ينتظر عودتك، ويفرح بها أيما فرح.

فهيا أخي... أقبل على ربك. .فالله يريدك تائبًا لا هاربًا، خاشعًا لا ضائعًا، صادقًا أوَّابًا لا آبقًا كذَّابًا.

فهيا أقبل على ربك ..

أقبل ولا تخف إنك من الآمنين .

- ثم اشكر نعم الله عليك بالقلب واللسان والجوارح.

ومن شكر النعم [أيها العبد اللبيب الفطن الراغب في النجاة، واللحاق بركب الفائزين المقبولين في الفردوس الأعلى]: أن تتعلم ما يُقَرِّبُكَ من ربِّكَ وخالقكَ، وأن تسعى جاهدًا في تحصيله، والعمل به ليكون زادًا لكَ في أثناء هجرتكَ إلى ربِّكَ.

*واعلم أن معرفة سبيل المؤمنين، بل وسُبُلِ الضالِّين[1] من أشرف المعارف وأعلاها لطالب الحق، ومريد النجاة، وداعية الهدى؛ لأنه من استبان له سبيل المؤمنين، وسبيل المجرمين، على التفصيل علمًا وعملًا، فهؤلاء أعلم الخلق؛ [كما قال ابنُ القيم في الفوائد (ص ١١٠)].

(١) من باب قول حذيفة «كان الناس يسألون رسول الله عن الخير و كنت أسأله عن الشر مخافة أن يدركني...».

ومن باب قول القائل:-

عرفت الشر لا للشر ولكن لتوقيه   ومن لا يعرف الخير من الشر يقع فيه

* فمن الشكر العملي عبد الله أن تتعلم: -

*ما هو حق هذا الإله الكريم عليك؟

*وماذا يريد ربك منكَ؟

*وما هو السبيل لتحقيق ذلك؟

كل هذا يجب عليك أن تتعلمه...

لتعبد ربك على علمٍ وبصيرةٍ.

لترضي ربك سبحانه...

ليرضى عنك ربك...

وتذكر دومًا قول ربك الكريم إذ يقول:

لئن شكرتم لأزيدنكم....

رابعًا

ماذا يريد الله منك؟

هل تساءلت يا أخي يوما : ماذا يريد الله من إيجادك في تلك الحياة ؟

-لا شك أنك كسائر البشر على ظهر الأرض ترغب في دوام السعادة وتبحث عن الهدوء والطمأنينة، وتنقب عن سكون النفس ولا شك أن هذا الأمر لا يتحقق إلا بحصول التوافق بين إرادتنا وبين الغاية التي خلقنا الله من أجلها وركب صورتنا لتحقيقها قال تعالى: {وَمَا خَلَقْتُ الْجِنَّ وَالْإِنسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ} الذاريات٥٦.

-ونحن خلقنا **بلا استشارة منا ولا رضا** ، كما نرحل عن هذه الدنيا دون استشارة وإنما هو تنفيذ للقضا ، وفيما بين البداية والنهاية نعيش أيضا على ما فطرنا وجبلنا عليه **إلا إن الله جعل لنا الإرادة والاختيار امتحانا واختبارا** ، وأرسل إلينا الرسل، وأنزل عليهم الكتب إبلاغا

وإعذارا ، وأوحى إلى جميع الرسل دعوة واحدة لا تتغير تبين للناس هذه الغاية التي خلقوا من أجلها قال تعالى : {وَمَا أَرْسَلْنَا مِن قَبْلِكَ مِن رَّسُولٍ إِلَّا نُوحِي إِلَيْهِ أَنَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا أَنَا فَاعْبُدُونِ} الأنبياء٢٥ وقال تعالى : {وَلَقَدْ بَعَثْنَا فِي كُلِّ أُمَّةٍ رَّسُولاً أَنِ اعْبُدُواْ اللّهَ وَاجْتَنِبُواْ الطَّاغُوتَ} النحل٣٦

- فهلا فهمت عن الله مراده منك ؟!

- وهلا عقلت عن الله أمره لك ؟!

- وهلا أدركت الغاية التي من أجلها وجدت وخلق البشر ؟!

فإذا كنت ترغب في سلوك الطريق المستقيم ، فذكر نفسك دوما واقرع سمعك بهذا السؤال المهم :

ماذا يريد الله مني ؟



وإليك الجواب مفصلا بحول الملك الوهاب

أولا :

كن لله موحدًا



لا يشك ذو لُبٍّ أن التوحيد له مكانة عظمى في ديننا الحنيف، وله فضائل كثيرة، وثمرات عديدة.

التوحيد لماذا؟!

١- لأن التوحيد أول واجب على المكلف [عند أهل السُّنَّة والجماعة](١): فهو أول ما يجب عليك معرفته، ويجدر بك علمه؛ لأن التوحيد هو أصل الدين، ورأس الأمر وأساسه، وبقية أركان الإسلام وفرائضه مُتفرِّعة عنه، مُتشعِّبة منه..

(١) اشتهر بين كثير من عوام أهل الإسلام أن أول واجب على المسلم هو: «الصلاة»، وليس «التوحيد».

والصحيح: أن التوحيد هو أول الواجبات العلمية العَقَدِيَّة مُطلقًا، وأن الصلاة هي أول الواجبات العملية التعبُّدية.

٢- لأن الله ﷻ أمر بإصلاح العقيدة؛ فقال سبحانه: ﴿فَاعْلَمْ أَنَّهُ لَا إِلَٰهَ إِلَّا اللَّهُ﴾ [محمد:١٩].

*إذن فسلامة العقيدة من أهم المهمات، وأوجب الواجبات، فالعقيدة السليمة سبب للنصر، والظهور، والتمكين، والاجتماع.

- والعقيدة السليمة: تحمي معتنقيها من التخبط، والفوضى، والضياع، وتمنحهم الراحة النفسية والفكرية، وتدفعهم إلى الحزم والجد في الأمور، وتكفل لهم حياة العزة والكرامة.

- كما أنها تؤثر في أخلاقهم أيما تأثير، فسلامة العقيدة أساس لتهذيب الأخلاق، فالأخلاق الكريمة لا تستقيم إلا بالعقيدة السليمة، والانحراف في السلوك إنما ينشأ في الغالب عن انحرافٍ في العقيدة، فالسلوك ثمرة لما يحمله الإنسان من معتقد، وما يدين به من دين.

*وهذه العقيدة تأمر أهلها بكل خير، وتنهاهم عن كل شر، فتأمرهم بالعدل، وتنهاهم عن الجور، وتأمرهم بمعالي الأمور، وتنأى بهم عن سفسافها.

٣- لأن كل آية في القرآن متضمنة للتوحيد شاهدة به داعية إليه:-

ويوضح ذلك إمامنا ابنُ القيم -رحمه الله- فيقول: وذلك لأن القرآن إما خبر عن الله، وأسمائه وصفاته وأفعاله فهو التوحيد العملي الخبري، وإما دعوة إلى عبادته وحده لا شريك له. وخلع كل ما يعبد من دونه فهو التوحيد الطلبي الإرادي، وإما أمر ونهي وإلزام بطاعته في نهيه وأمره؛ فهي حقوق التوحيد ومكملاته، وإما خبر عن كرامة الله لأهل توحيده، وإما خبر عن أهل الشرك، وما فعل بهم في الدنيا من النكال، وما يحل بهم في العقبى من العذاب، فهو خبر عن حكم التوحيد.. ا.هـ.[نقلًا عن مدارج السالكين (٢/ ٥٦٣)].

٤- لأن التوحيد هو أول واجب دعا إليه الرسل، وهو أصل دعوتهم؛ قال تعالى: ﴿وَلَقَدْ بَعَثْنَا فِي كُلِّ أُمَّةٍ رَّسُولاً أَنِ اعْبُدُواْ اللّهَ وَاجْتَنِبُواْ الطَّاغُوتَ﴾[النحل:٣٦].

٥- لأن التوحيد هو أحق الحقوق، وأوجبها، وأعظمها؛ لأنه حق الله الخالق، العظيم، المالك، المدبر لجميع الأمور: لحديث معاذ بن جبل رضي الله عنه قال: كنتُ رِدْفَ النبي ﷺ على حمار يقال له عُفَيْرٌ، فقال: «يا معاذ. هل تدري ما حق الله على عباده، وما حق العباد على الله؟!»، قلت: الله

ورسوله أعلم. قال: «فإن حق الله على العباد أن يعبدوه، ولا يُشركوا به شيئًا...»، قلتُ: يا رسول الله، أفلا أُبَشِّرَ الناس؟! قال: «لا تُبَشِّرهُم فيَتَّكِلُوا». [متفق عليه].

٦- اقتداءً بالنبي ﷺ، وصحبه الكرام رضي الله عنهم: حيث إن النبي ﷺ ظَلَّ يدعو إلى التوحيد في مكة ثلاث عشرة سنة، فلم تَخْلُ فترة من هذه الفترات البتة من إعلان التوحيد وشواهده ومحاربة الشرك وظواهره، ويكاد ينحصر عرض البعثة كلها في ذلك فما ترك ﷺ تقرير التوحيد وهو وحيد، ولا ذهل عنه وهو محصور في الشِّعْب، ولا انصرف عنه وهو في مسالك الهجرة والعدو مشتد في طلبه، ثم لما هاجر إلى المدينة وقامت دولة الإسلام، استمر في دعوته إلى التوحيد، ولم يقطع الحديث عنه وأمره ظاهر في المدينة بين أنصاره وأعوانه، ولا أغلق باب الخوض فيه بعد الفتح المبين «فتح مكة»، ولا اكتفى بطلب البيعة على القتال عن تكرار عرض البيعة على التوحيد ونبذ الشرك حتى لقي ربه، فهذه سيرته المدونة وأحاديثه الصحيحة تشهد بما ذكرنا..

- ثم سار خلفاؤه من بعده على هذا المنهج، فأول ما قام به أبوبكر هو قتال المرتدين، ولم يؤجل ذلك بدعوى استقرار الأوضاع، بل قال: «والله لأقاتلنَّ من فرَّق بين الصلاة، والزكاة ..»، «لهذا نؤكد فنقول: لن يَصلُح

آخر هذه الأمة إلا بما صَلُحَ عليه أولها».

٧- لفضل التوحيد...: ومن فضائله:

❋ أن الله يُحِبُّ أهل التوحيد.

❋ أن النبي ﷺ بيَّن فضله، وحثَّ عليه، كما في حديث عُبادة بن الصامت ﷺ، قال: قال رسول الله ﷺ: **«من شهد أن لا إله إلا الله، وحده لا شريك له، وأن محمدًا عبده ورسوله، وأن عيسى عبد الله ورسوله، وكلمته ألقاها إلى مريم، وروحٌ منه، والجنة حق، والنار حق، أدخله الله الجنة على ما كان من العمل».** [متفق عليه].

❋ هو أعلى شعب الإيمان...

❋ أنه يفتح لصاحبه وقائله أبواب الجنة الثمانية.

❋ أنه لو وزن بالسموات والأرض لرجحهن.

❋ بفضله تُنال الشفاعة..

❋ كذلك فالتوحيد سببٌ للنجاة من النار.

❋ وهو سبب لتكفير الخطايا والذنوب.

❋ وبسببه يحدث للعبد الأمن في الدنيا والآخرة.

❋ وهو من أهم أسباب العزة والتمكين للفرد وللمجتمع.

❋ كما أن التوحيد يُحرر العبد من رِقِّ العبودية لغير الله، ويُساعِد على تكوين الشخصية المُتَّزنة القوية.

❋ كذلك فالتوحيد هو أساس المساواة والإخاء بين أفراد هذه الأمة.

قال ابن القيم -لله دره-:

- [إن كلمة التوحيد كلمة قامت بها الأرض والسموات، وخُلِقَت لأجلها جميع المخلوقات، وبها أرسل الله رسله، وأنزل كُتُبَهُ، وشَرَّعَ شرائعه، ولأجلها نُصِبَت الموازين، ووُضِعَت الدواوين، وقام سوق الجنة والنار، وبها انقسمت الخليقة إلى مؤمنين وكفار، وأبرار وفجار، فهي منشأ الخلق والأمر، والثواب والعِقاب، وهي الحق الذي خُلِقَت له الخليقة، وعنها وعن حقوقها السؤال والحساب، وعليها يقع الثواب والعقاب، وعليها نُصِبَت القِبلة، وعليها أُسِّسَت المِلَّة، ولأجلها جُرِّدَت سيوف الجهاد، وهي حق الله على جميع العِباد، فهي كلمة الإسلام، ومفتاح دار السلام، وهي الحنيفية السَمِحَة، السهلة، وهي مِلَّة أبينا إبراهيم، سيد الموحدين، وإمام المُتَّقِين، وهي التي

جعلها كلمة باقية في عَقِبِهِ إلى يوم الدين]. ا.هـ.

- فحقيق لمن نصح نفسه، وأحبَّ سعادتها ونجاتها أن يتيقَّظ لهذه المسألة علمًا، وعملًا، وحالًا، وتكون أهمَّ الأشياء عنده، وأجَلَّ علومه وأعماله، فإن الشأن كله فيها، والمدار عليها، والسؤال يوم القيامة عنها؛ قال تعالى:

﴿فَوَرَبِّكَ لَنَسْأَلَنَّهُمْ أَجْمَعِينَ * عَمَّا كَانُوا يَعْمَلُونَ﴾ [الحجر: ٩٢، ٩٣].





كارثة عظيمة

... إذا كان للتوحيد كل هذا الفضل وهذا الشرف؛ كان من الواجب على جميع المسلمين أن يُحقِّقوا التوحيد؛ علمًا، وعملًا، واعتقادًا؛ ولكن -ولشديد الأسف- نجد أكثر المسلمين يجهلون معناه، وحقيقته، ومقتضياته، وشروطه، وأركانه.

... بل يظُنُّ كثير من أهل الإسلام: أن التوحيد هو كلمة تُرددها الألسنة «فَحَسْب»، وأن من قال: لا إله إلا الله دخل الجنة، وإن لم يعمل بمقتضيات هذه الكلمة.

... وهذا -لَعَمْرُ الله- جهلٌ عظيم، وضلالٌ مبين، فليس كل من قال: لا إله إلا الله -باللسان فحسب- يكون مُوَحِّدًا؛ بل لا بد من العلم بها، وتحقيق شروطها، والعمل بمقتضياتها والحذر من نواقضها، وإلا لم تنفع قائلها -خاصة- إذا نقضها بشرك...

※ معنى كلمة «لا إله إلا الله»:

«لا معبود بحق إلا الله» وفي ذلك نفي للإلهية عن غير الله، وإثباتها لله وحده...

※ ركناها:

لا إله إلا الله تتضمن:

نفيًا	وإثباتًا
«لا إله»	«إلا الله»
(نافيًا جميع ما يُعبد من دون الله)..	(مثبتًا العبادة لله وحده لا شريك له)
※ ومن أمثلة ذلك:	ومن أمثلة ذلك:
الآلهة.	- تقوى الله ....
والأنداد.	- إخلاص القصد لله تعالى.
والطواغيت.	- وتعظيمه سبحانه وتعالى.
والأرباب.	- ومحبة الله -تعالى، وتقواه- سبحانه-.
	- خوفه ورجاؤه -سبحانه وتعالى-.

ماذا يريد الله منك؟

شروط لا إله إلا الله

١. العلم بمعناها، والمراد منها: نفيًا وإثباتًا، إذ معنى «لا إله إلا الله»: أي: لا معبود بحق إلا الله ﷻ.

٢. اليقين بمدلولها يقينا جازما، ولا يكون ذلك إلا بكمال العلم بها، المُنافي للشك والرَّيْب.

٣. القبول لما تقتضيه هذه الكلمة بالقلب واللسان.

٤. الانقياد لما دلت عليه، بأداء حقوقها، وهي الأعمال الواجبة، إخلاصًا لله، وطَلَبًا لمرضاته.

٥. الصدق المانع من النفاق، فيقولها بلسانه، ويوافق ذلك قلبه.

٦. الإخلاص لله -تعالى- فيها: وذلك بفهمها فهمًا صحيحًا، والعمل بمقتضاها، والدعوة إليها قبل غيرها..

٧. حب هذه الكلمة، وما اقتضته.

قد يقول قائل: وهل يجب عليَّ أن أتعلم التوحيد، أم هذا هو واجب المتخصصين فحسب؟!

والجواب:

نعم، يجب عليكَ أن تتعلم العقيدة الصحيحة، إذ أن صحة العقيدة يتوقف عليها مصير الإنسان من سعادة، أو شقاء.

يقول الشيخ حافظ الحكمي -رحمه الله تعالى- في منظومته الشهيرة «بسلم الوصول»:

أول واجبٍ على العبيــــــدِ ... معرفةُ الرحمن بالتوحيدِ

إذ هو من كلِّ الأوامر أعظمُ ... وهو نوعان أيا من يفهمُ

فإذن يجب عليك أن تتعلم العقيدة الصحيحة، ويكفيك أن تتعلم الإيمان المُجمَل، الذي تَصِحُّ به عقيدتك، والذي إن علمته، واعتقدته، وعملت بمقتضاه، ثم مِتَّ، تكون -بإذن الله- ميتًا على ملة الإسلام.

أما دراسة دقائق المسائل فهذا غير واجب على المسلم العامي؛ وإنما هو واجب على من تَخَصَّص في هذا الباب، أو علت همته لتحصيل العلوم الشرعية.

ماذا يريد الله منك؟



خطورة الجهل بالعقيدة

فإذا علمت أهمية دراسة التوحيد، ووجوب تعلُّمه، تبيَّن لكَ أيضًا أن الجهل بالعقيدة -علمًا وعملًا- يُوَرِّث في التصور غَبَشًا خطيرًا، تتذبذب معه الأفكار، وتتخبط معه الأفعال، وبين ذلك التذبذب والتخَبُّط تتفرخ الأنكاد، والهموم.

كذلك فإن من يجهل العقيدة التي هي أصل الدين لا يمكن أبدًا أن يملك تصورًا صحيحًا للحياة، وإن قُدِّرَ وامتلك هذا التصور، فلا يمكن أن يكون تصورًا شاملًا كاملًا، بل لابد وأن يفتقر إلى القوة العملية، التي تحول الأفكار إلى أفعال.





قد تقول: ... لقد أدركتُ أهمية العقيدة، وخطورة الجهل بها؛ لهذا أريدك أن تَضع لي مختصرًا شاملًا للعقيدة الصحيحة، في ضوء ما ورد في كتاب الله، وما صحَّ عن رسول الله ﷺ، وعلى منهج الفرقة النَّاجِيَة من الشكِّ والشرك، والمعروفة باسم: «أهل السنة والجماعة»!!

والجواب: هذا مُختَصَرٌ يجب على المسلم أن يعتقده، حتى يكون -بإذن الله- من الفرقة النَّاجِيَة، والطائفة المنصورة، أهل السنة والجماعة، فنقول وبالله التوفيق:

[عقيدتنا: الإيمان بالله، وملائكته، وكتبه، ورسله، واليوم الآخر، والقَدَرِ خيره، وشرِّه، وكذلك الإيمان بكل ما نطق به القرآن، أو جاءت به السنة الصحيحة.]..

* نؤمن بأن الله ﷻ هو الرب، الخالق، الرازق، المُدبِّر لجميع الأمور، وأنَّه ما شاء كان، وما لم يشأ لم يكن، لا يُسأل عما يفعلُ، وهم يُسألون،

ونعتقدُ -نحن أهل السنة والجماعة- أن لله الأسماء الحُسنى، والصفات العُلى، وهي تعرف مما وصف بها نفسه، أو وصفه بها رسوله ﷺ، وأنه ﷻ موصوف بها على الحقيقة، على الوصف اللائق بجلاله -سبحانه-، من غير تكييف، ولا تمثيل، ولا تشبيه، ولا تعطيل.

* قال الله تعالى: ﴿رَّبُّ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَمَا بَيْنَهُمَا فَاعْبُدْهُ وَاصْطَبِرْ لِعِبَادَتِهِ هَلْ تَعْلَمُ لَهُ سَمِيًّا﴾ [مريم:٦٥]، فنفى عن نفسه -سبحانه- أن يكون له مثيل من خلقه، وأثبت لنفسه السمع، والبصر؛ ليعلم أهل الإيمان الصحيح أن له سمعًا لا مثيل له، وبصرًا لا مثيل له، وهكذا جميع أسمائه، وصفاته -سبحانه- التي أثبتها لنفسه في كتابه، وعلى لسان رسوله ﷺ.

* كما لا يجوز في أسمائه وصفاته التَّفْويض المُطْلَق، بل نُفَوِّض علم كيفيتها إلى الله ﷻ، ونُثبِت علم معانيها، على الوجه السابق بيانه.

* وعلى هذا.. فالله تعالى واحدٌ، لا شريكَ له في ربوبيته، وألوهيته، وأسمائه، وصفاته: ﴿رَّبُّ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَمَا بَيْنَهُمَا فَاعْبُدْهُ وَاصْطَبِرْ لِعِبَادَتِهِ هَلْ تَعْلَمُ لَهُ سَمِيًّا﴾ [مريم:٦٥].

* لهذا فنحن نؤمنُ أنه ﷻ استوى على العرش أي: علا وارتفع فوق

عباده بذاته، وصفاته -كما فسرها السلف-، بكيفية لا نعلمها.

❋ وأنَّه ﷻ ينـزل إلى السماء الدنيا كما أخبرت بذلك السنة الصحيحة، بكيفية لا نعلمها، والله في السماء، وعلمه في كل مكان، كما نؤمن أنه -سبحانه- خلق آدم بيده، وأن يداه مبسوطتان، يُنفِقُ كيف يشاء، كما نثبت له -سبحانه- وجهًا، وسمعًا، وبصرًا، وعِلمًا، وقُدرَةً، وقوةً، وعِزَّةً، وكلامًا، كما نؤمن أنه -سبحانه- حي لا يموت، قَيُّومٌ لا ينام، وأنه ﷻ يضحك، ويفرح، ويرضى، ويغضب، ويسخط، كذلك فهو -سبحانه- يأتي يوم القيامة للفصل بين العِباد، وغير ذلك من صفاته، على الوجه الذي يليق به -سبحانه-.

❋ ونحن نُثبِتُ لله ﷻ كل صفة أثبتها لنفسه، كما ننفي عنه -سبحانه- كل صفة نفاها عن نفسه، ونسكت عما سكتت عنه النصوص، **فإذا قيل: هل لله جسم؟! نقول:** هذا مسكوتٌ عنه فلا نثبته، ولا ننفيه، بل نسكت عنه طاعةً لله.

❋ **كذلك فنحن نعتقد أن الله** ﷻ فعَّالٌ لما يريد، وأن إرادته نوعان: إرادة كونية، وإرادة شرعية.

✍ **فأما الكونية:** فهي مُتحقِّقةٌ، وواقعة، لا تتأخر، ومنها ما يُحبُّه -سبحانه-، ومنها ما لا يُحِبُّه، فما شاء كان، وما لم يشأ لم يكُن، وفق حكمته، فقد قضى الله ﷻ الخير والشر، وبيَّنَ -سبحانه- أنه يُحبُّ الخير، وأنه يبغض الشر.

✍ **وأما الشرعية:** فهي محبوبة له -سبحانه-، ويُمكِنُ أن تتخلَّف؛ كأوامره -تعالى- ونواهيه، فالله يُحبُّ أن يُطاع، ويُحبُّ أن ينتهي العباد عما نهى عنه؛ ولكنَّ أكثر الناس لا يلتزمون أمر الله -تعالى- ونهيه.

❋ **كذلك فنحن نعتقد** أن القرآن كلام الله، غير مخلوق، تكلَّمَ به حقيقةً؛ بصوتٍ، وحرفٍ، فكلامه -سبحانه- غير مخلوق، نزل به جبريل على النبي محمد ﷺ.

❋ **كذلك فنحن نؤمن بالملائكة** وأنهم ﴿عِبَادٌ مُّكْرَمُونَ لاَ يَسْبِقُونَهُ بِالْقَوْلِ وَهُم بِأَمْرِهِ يَعْمَلُونَ﴾ [الأنبياء:٢٦، ٢٧]، وأنهم من خلق الله ﷻ، خلقَهُم من نور؛ لعبادته، وطاعته، وأنهم ﴿لاَ يَسْتَكْبِرُونَ عَنْ عِبَادَتِهِ وَلاَ يَسْتَحْسِرُونَ * يُسَبِّحُونَ اللَّيْلَ وَالنَّهَارَ لاَ يَفْتُرُونَ﴾ [الأنبياء:١٩، ٢٠].

* **ونؤمن أن الله -تعالى- أنزل على رسله كتبًا،** ﴿لَقَدْ أَرْسَلْنَا رُسُلَنَا بِالْبَيِّنَاتِ وَأَنزَلْنَا مَعَهُمُ الْكِتَابَ وَالْمِيزَانَ لِيَقُومَ النَّاسُ بِالْقِسْطِ وَأَنزَلْنَا الْحَدِيدَ فِيهِ بَأْسٌ شَدِيدٌ وَمَنَافِعُ لِلنَّاسِ وَلِيَعْلَمَ اللهُ مَن يَنصُرُهُ وَرُسُلَهُ بِالْغَيْبِ إِنَّ اللهَ قَوِيٌّ عَزِيزٌ﴾ [الحديد:٢٥]، وخير هذه الكتب على الإطلاق هو كتاب الله -تعالى-، فهو محفوظ بحفظ الله ﷻ له؛ لا لبس فيه، ولا تحريف، ولا تناقض.

* **ونؤمن بالرسل أجمعين** -عليهم الصلاة والسلام-، وأنَّ الله -تعالى- أرسلهم لإقامة الحجة على الخلق، قال تعالى: ﴿رُّسُلاً مُّبَشِّرِينَ وَمُنذِرِينَ لِئَلاَّ يَكُونَ لِلنَّاسِ عَلَى اللهِ حُجَّةٌ بَعْدَ الرُّسُلِ وَكَانَ اللهُ عَزِيزًا حَكِيمًا﴾ [النساء:١٦٥].

* **وأن أول هؤلاء الرسل هو نوح ﵇**، وأن آخرهم هو محمد ﷺ، وأفضلهم خمسة، هم أولوا العزم من الرسل، وهم: نوح، وإبراهيم، وموسى، وعيسى، ومحمد ﷺ.

- **وأن نبينا محمد ﷺ** هو خاتم الأنبياء، وأفضل المرسلين، فلا نبيَّ بعده.

* **ونعتقد** أن الإيمان قولٌ، وعملٌ، واعتقادٌ، يَزيدُ بالطاعة، وينقص بالمعصية.

* **ونعتقد** أن مُرتكِب الكبائر من المسلمين ليس كافرًا، ما لم يَكُنْ مُستحِلًّا لها، أو جاحدًا لحُكمِها، بل هو مؤمن بإيمانه، فاسق بكبيرته، فإن تاب منها، تاب الله عليه، وإن عوقِب بها في الدنيا فهي كفارةٌ له، وإن ماتَ من غير توبة ولا حدٍّ، فهو في مشيئة الله؛ إن شاء عذَّبَهُ، وإن شاء غفر له، وإن عذبه في النار مع المُعذَّبين، لم يُخلده فيها مع الخالدين.

* **ولا نشهد** لأحدٍ من المُسلمين بالجنة، إلا من أخبرت به النصوص، ولا نشهد على أحد بالنار، إلا من أخبرت به النصوص.

* وبيان ذلك أن الأعمال بالخواتيم، والخاتمة لا يعلمها إلا الله؛ ولكن نرجو للمحسن أن يكون من أهل الجنة، ونخاف على المُسيء أن يكون من أهل النار.

* **كما نعتقد** أن عذاب القبر حق، يُعذِّبُ الله فيه من شاء، ويعفو عمن شاء؛ لقوله تعالى: ﴿النَّارُ يُعْرَضُونَ عَلَيْهَا غُدُوًّا وَعَشِيًّا وَيَوْمَ تَقُومُ السَّاعَةُ أَدْخِلُوا آلَ فِرْعَوْنَ أَشَدَّ الْعَذَابِ﴾ [غافر:٤٦]، فأثبت لهم -سبحانه- في الدنيا عذابًا بالغُدُوِّ، والعَشِيِّ، وهو عذاب القبر، ونؤمن بسؤال مُنكَرٍ، ونكيرٍ، على ما ثبت به الخبر عن رسول الله ﷺ، مع قول الله تعالى: ﴿يُثَبِّتُ اللهُ الَّذِينَ آمَنُوا بِالْقَوْلِ الثَّابِتِ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَفِي الآخِرَةِ وَيُضِلُّ اللهُ الظَّالِمِينَ وَيَفْعَلُ اللهُ مَا يَشَاءُ﴾ [إبراهيم:٢٧]

❁ ونؤمن بأن الله ﷻ قدَّرَ لكل مخلوق أجلًا، فإذا جاء أجلُهم لا يستأخرون ساعةً، ولا يَستقدمون، وإن مات أو قُتِل، فذلك انتهاء أجله؛ لقوله تعالى: ﴿قُل لَّوْ كُنتُمْ فِي بُيُوتِكُمْ لَبَرَزَ الَّذِينَ كُتِبَ عَلَيْهِمُ الْقَتْلُ إِلَى مَضَاجِعِهِمْ﴾ [آل عمران:١٥٤].

❁ ونؤمن بكل ما ثبت من علامات الساعة الصُّغرى، والكُبرى، على ما جاءت به النصوص؛ كطلوع الشمس من مغربها، وخروج يأجوج ومأجوج، والدَّابة، والدَّجَّال، ونزول عيسى ابن مريم عليه السلام، ليقتُل الخنزير، ويكسر الصليب، كما نؤمن بظهور المَهدِيّ رضي الله عنه، واسمه محمد بن عبد الله، يملأ الأرضَ قِسطًا وعدلًا، بعد أن مُلِئت جَورًا وظُلْمًا، كما ثبت ذلك في نصوص السُّنَّة الصحيحة، وأجمعت عليه الأمة.

❁ كما نعتقد أن الموت حق، وأن البعث حق، وأن الحشر حق، وأن الصراط والميزان حق، وأن الساعة آتية لا ريب فيها،وأن الله يبعثُ من في القبور، وأن في الآخرة موازين، فمن ثَقُلَت موازينه فهو من النَّاجِين، وأن الشفاعة ثابتة لرسول الله ﷺ، **وله شفاعات متعددة:** أعظمها الشفاعة العُظمَى يوم القيامة، لإراحة الناس من عناء الموقف العظيم، وهذه الشفاعة مخصوصة برسول الله ﷺ.

وله شفاعة أخرى في إخراج بعض من دخل النار من المُوَحِّدين، وأخرى في رفع درجات المؤمنين في الجنة.

ومع هذا.. فإنه لا يجوز للمسلم أن يسأل رسول الله ﷺ الشفاعة في الدنيا، أو مغفرة ذنوبه، أو يستجير به؛ بل يقول: اللهم ارزقني شفاعة رسولك ﷺ، أو نحو هذا.

❁ ونؤمن بالجنة والنار، وأنهما مخلوقتان، موجودتان الآن، وأنهما لا تفنيان أبدًا، وأنَّ أهل الجنة لا يخرجون منها، وأهل النار [من الكفرة] لا يخرجون منها، وأنه يُؤتى بالموت، فيُذبَح بين الجنة والنار.

❁ ونؤمن بأن المؤمنين يرون ربهم في الآخرة، كما يُرى القمر في ليلة البدر؛ لقوله تعالى: ﴿وُجُوهٌ يَوْمَئِذٍ نَّاضِرَةٌ {٢٢} إِلَى رَبِّهَا نَاظِرَةٌ﴾ [القيامة: ٢٢، ٢٣].

- وأما الكفار فإنهم محرومون من هذه الرؤية؛ لقوله تعالى: ﴿كَلَّا إِنَّهُمْ عَن رَّبِّهِمْ يَوْمَئِذٍ لَّمَحْجُوبُونَ﴾ [المطففين:١٥].

❁ ونؤمن أن من مات مُشرِكًا فإنه يخلد في النار قَطعًا؛ لقوله تعالى: ﴿إِنَّ اللّهَ لاَ يَغْفِرُ أَن يُشْرَكَ بِهِ وَيَغْفِرُ مَا دُونَ ذَلِكَ لِمَن يَشَاء﴾ [النساء:٤٨].

❋ والشرك نوعان: أكبر، وأصغر.

فالأكبر: هو الذي يُخرِجُ من المِلَّة. والأصغر: كالحلف بغير الله، ويَسِير الرياء، ونحو ذلك.

فمَن خَلُصَ مِن الشِّرْكَيْنِ وَجَبَتْ له الجنة، ومن مات على الأكبر وَجَبَتْ له النار، ومن خَلُصَ من الأكبر، ووقع في بعض الأصغر، مع حسنات راجحة على ذنوبه دخل الجنة، ومن خَلُصَ من الأكبر، ولكن كَثُرَ الأصغر حتى رجحت به سيئاته دخل النار، **فالشرك يُؤاخذ به العبد إذا كان أكبر، أو كان كثيرًا أصغر،** والأصغر القليل في جانب الإخلاص الكثير: لا يؤاخَذُ به.

❋ ونُحبُّ أصحاب رسول الله ﷺ، وندعو لهم؛ كما قال الله ﷻ: **﴿وَالَّذِينَ جَاؤُوا مِن بَعْدِهِمْ يَقُولُونَ رَبَّنَا اغْفِرْ لَنَا وَلِإِخْوَانِنَا الَّذِينَ سَبَقُونَا بِالْإِيمَانِ وَلَا تَجْعَلْ فِي قُلُوبِنَا غِلًّا لِّلَّذِينَ آمَنُوا رَبَّنَا إِنَّكَ رَءُوفٌ رَّحِيمٌ﴾** [الحشر:١٠].

- ولا نَسُبُّ أحدًا من الصحابة؛ لقوله ﷺ: **«لا تَسُبُّوا أصحابي، فوالذي نفسي بيده لو أنَّ أحدكم أنفق مثل أحد ذهبًا ما بلغ مُدَّ أحدهم، ولا نَصيفه»**.

❋ ونقرُّ بفضائلهم، ومراتبهم كما جاءت في الكتاب والسنة، فنعتقد أنَّ من أنفق قبل الفتح -وهو صُلح الحديبية- وقاتل أفضل ممن أنفق من بعده وقاتل، وأن المهاجرين أفضل من الأنصار، وأنَّ الله تعالى قال لأهل بدر -وكانوا ثلاثمائة وبضعة عشر-: **«اعملوا ما شئتم، فقد غفرت لكم»**، وبأنه لا يدخل النار أحدٌ بايع تحت الشجرة، كما أخبر بذلك القرآن: **﴿لَّقَدْ رَضِيَ اللَّهُ عَنِ الْمُؤْمِنِينَ إِذْ يُبَايِعُونَكَ تَحْتَ الشَّجَرَةِ﴾** [الفتح:١٨]، وأخبر بذلك رسول الله ﷺ، وكانوا أكثر من ألف وأربعمائة.

❋ ونقرُّ بما أجمع عليه سلف الأمة أن أفضل هذه الأمة بعد نبيها ﷺ: **أبو بكر ؓ، ثمَّ عُمَرُ ؓ، ثمَّ عُثمانَ ؓ، ثم عليٌّ ؓ، ثم بقية العشرة المُبَشَّرين بالجنة، ثم أهل بدر، ثم أهل بيعة الرضوان، ثم بقية الصحابة ؓ أجمعين، ونُحبُّ أهل بيت رسول الله ﷺ، ونتولى أزواجه أمهات المؤمنين -رضي الله عنهن-، ونعتقد أنهن أزواجه في الجنة.**

❋ ونمسك عما شجر بين الصحابة من الاختلاف والتنازع، ونعتقد أن ما نُسِبَ إليهم في ذلك بعضه كَذِب لا أصل له، وبعضه فيه زيادة ونقصان، وبعضه صحيح، والصحيح منه هم فيه معذورون؛ لأنهم مُجتَهِدون؛ فإما مصيبون، وإما مُخطِئون، ونحن نشهدُ لهم

بالإخلاص في كلِّ ذلك، ومع ذلك لا نعتقد أنَّ كلَّ واحدٍ منهم معصوم من الذنوب، بل لهم من الفضائل والحسنات ما يغفر لهم ما قد وقع، فهم خير الخلق بعد الأنبياء، لا كان ولا يكون مثلهم، فهم خير القرون، وصفوة الأمة، لا يُحبهم إلا مؤمن، ولا يبغضهم أو يطعن فيهم إلا منافقٌ، أو ضالٌّ [(١)]

❋ كذلك فنحن نعتقد أن الله -تعالى- خلق العباد، وخلق أفعالهم؛ لقوله تعالى: ﴿وَاللَّهُ خَلَقَكُمْ وَمَا تَعْمَلُونَ﴾ [الصافات:٩٦].

- ونؤمن أن الهداية هدايتان:

كهداية التوفيق: وهي بيد الله ﷻ، يهدي من يشاء وفق حكمته، وعدله.

---

(١) أنصح إخواننا الشباب الراغب في معرفة الحق في قضية «الفتنة» التي حدثت ونشبت بين الصحابة -رضوان الله عليهم أجمعين- بقراءة كتاب «تحقيق مواقف الصحابة في الفتنة» د/ محمد أمحزون ط. دار طيبة، وكتاب «حقبة من التاريخ» للشيخ/ عثمان خميس ط. دار الإيمان، ومنهج كتابة التاريخ الإسلامي د/ محمد بن صامل السلمي ط. الرسالة، وكتاب «الخلافة الراشدة والدولة الأموية». د/ يحيى بن إبراهيم اليحيى ط. دار الهجرة.
وذلك حتى لا يقعوا فريسة سهلة للرافضة وأذنابهم من الجهلة ممن اتخذوا بعض المرويات الضعيفة والموضوعة الواردة في بعض كتب التاريخ ذريعة لسب أصحاب رسول الله ﷺ والانتقاص من قدرهم...

كهداية إرشاد ودلالة: وهي التي يملكها الأنبياء وأتباعهم؛ كما قال -سبحانه-: ﴿وَإِنَّكَ لَتَهْدِي إِلَى صِرَاطٍ مُّسْتَقِيمٍ﴾ [الشورى:٥٢].

❋ ونؤمن بقضاء الله وقدره: خيره وشره، حلوه ومُرِّه، وأنه من الله -تعالى-، وأنه لا يُصيب المرء إلا ما كتب الله له، وذلك وفق علم الله تعالى، وحكمته [(١)].

ومراتب القَدَر أربعة:

العلم: فقد عَلِمَ الله ما كان، وما يكون، وكيف يكون أزَلًا.

الكتابة: فقد كتب -سبحانه- في اللوح المحفوظ ما هو كائنٌ إلى يوم القيامة.

المشيئة: فلا يكون شيءٌ في السموات والأرض إلا بمشيئته -سبحانه-، فما شاء كان، وما لم يَشَأ لم يكن.

الخلق: فنؤمنُ بأن الله تعالى خالق كل شيء، ومن ذلك: أفعال العباد، ونؤمن بأن الله ﷻ قد جعل للعبد اختيارًا وقدرةً على الفعل أو الترك؛ ولذلك أمره ونهاه، وهذا تكليفٌ لمن له إرادة، وقُدرة،

---

(١) الله تعالى لا يُقدِّرُ شرًّا لا مصلحة فيه بوجه من الوجوه، لقوله ﷺ: «والشرُّ ليس إليك».

واختيار، وقد مدح الله ﷻ المحسن على إحسانه، وذَمَّ المُسيء على إساءته، وهذا دليل على وجود القُدرَة والاختيار للعبد، وقد أقام الله الحُجَّةَ على عباده، بإرساله الرُّسُل، وإنزاله الكتب، وبأن العاصي يُقْدِمُ على المعصية باختياره، فلا يجوز أن يَحتَجَّ بالقَدَرِ، بأن الله كتبها عليه، فمن أين له أن يعلم ذلك؟ وكيف يحتج بحجة لم يعلمها حين أقدم على معصيته؟!

* **إذن فالإنسان مُسيَّر، ومُخيَّر، فنحن لا ننفي القدر، ولا ننفي اختيار البشر، بل نثبتهما جميعًا.**

* **ونعتقد** أن كل مؤمن تَقِيّ، فهو لله وليّ، ونُصدِّق بكرامات الأولياء[1]، التي يُجريها الله على أيديهم، كما هو مأثور عن سالف الأمم، في «سورة الكهف» وغيرها، وكما هو ثابت عن الصحابة والتابعين لهم بإحسان.

- ونفرِّقُ بين الكرامة الإيمانية، والخارقة الشيطانية، التي قد يُظهِرها الشيطان على يد أوليائه؛ من المُبتَدِعَة، والدجالين، فيُلَبِّسون بها على الناس.

(١) أنكر الفلاسفة والمُعتزلة، وبعض الأشاعرة كرامات الأولياء، وعقيدة أهل السنة والجماعة إثباتها، والإيمان بوجودها، كما دلَّت عليه النصوص الشرعية من الكتاب والسنة.

* **ومع هذا** فإن ثبوت الولاية للمؤمن لا يترتب عليه أن نعتقد فيه النفع والضُّر، أو نتوجه إليه بشيء من العبادات، فإنه من ركع أو سجد لحيٍّ أو ميتٍ، أو نذر لغير الله، أو طاف بقبر نبيّ أو وليّ، أو استغاث بهم في الشدائد، أو طلب من غير الله ما لا يقدر عليه إلا الله، فإنه يكون بكل فعل من هذه الأفعال مُشرِكًا شركًا أكبر، لا يغفره الله، إلا أن يتوب قبل الموت.

* وكذلك التوسل بالأنبياء والأولياء لا يجوز، **فإن التوسل قسمان: مشروع، وممنوع.**

أما المشروع فهو قسمان:

الأول: توسل بالإيمان بالله ورسوله، والأعمال الصالحة؛ كحديث الثلاثة الذين آواهم المبيت إلى الغار، وهذا مُجمَع على مشروعيته.

والثاني: توسل بدعائه ﷺ في حياته؛ كما طلب الأعرابي من الرسول ﷺ أن يستسقي لهم؛ وكما طلبت الجارية السوداء التي كانت تُصرَع أن يُعافيَها الله، فخيرها بين الصبر والدعاء، وهذا التوسل بدعائه قد انقطع بموته ﷺ؛ كما ثبت ذلك في خلافة عمر رضي الله عنه، والتوسل بالعباس رضي الله عنه.

اما التوسل الممنوع: فهو كل توسل بذوات الأنبياء والأولياء وغيرهم، كما هو معلوم، فلا يجوز لمسلم أن يأتي قبر رسول الله ﷺ ويسأله حاجة، أو غُفران ذنب، أو كشف ضُرٍّ.

* **ونؤمن** بوجوب الأمر بالمعروف، والنهي عن المُنكَر، وإقامة الحج، والجهاد، والجُمَع، والأعياد مع الأمراء والحُكّام؛ أبرارًا كانوا أم فجارًا، **ونُحافِظ** على الجماعة، **ونبذل** النصيحة، **ونسعى** إلى إقامة مجتمع الجسد الواحد الذي أمرت به السُّنَّة، **وندعو** إلى الصبر عند البلاء، والشكر عند الرخاء، والرضا بمُرِّ القضاء، وإلى مكارم الأخلاق، ومحاسن الأعمال، ونعتقد أن جماع الدين: **عقيدة صحيحة، وعبادة خالصة، وأخلاق فاضلة.**

* ولا نُجيز الخروج في الفتنة على الأمراء والحكّام، ما لم يصدر منهم كفر بواح [وهو الكفر الصريح الذي لا يقبل التأويل]، وعندنا من الله فيه برهان، كما هي عقيدة أهل السنة والجماعة.

* **ونعتقد** أن الله ﷻ قد أوجب الصلاة على رسوله ﷺ على عباده المؤمنين؛ لقوله تعالى: **﴿إِنَّ اللَّهَ وَمَلَائِكَتَهُ يُصَلُّونَ عَلَى النَّبِيِّ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا صَلُّوا عَلَيْهِ وَسَلِّمُوا تَسْلِيمًا﴾**[الأحزاب:٥٦].

هذه هي العقيدة الصافية الصحيحة على وجه الاختصار والإجمال. وكل ما ذكرناه مُستَمَدٌّ من عقيدة الفرقة الناجِيَة، ولا يجوز لأحد من أهل السنة أن يُخالفها في قليل، أو كثير، نسأل الله أن يجعلنا من أهل السنة والجماعة، وأن يُميتنا على هذه العقيدة الصحيحة.



نصيحة

اعلم -أخي الحبيب- أنَّ العقيدة ليست مُتُونًا تُردد، ونصوصًا تُحفَظ -فحسب-؛ بل لا بد أن تظهر آثار هذه العقيدة عليك في أحوالك كلها، وأن تتحول معتقداتك إلى واقع علمي ومنهج حياة، وبهذا تنتفع في دينك، وتنفع نفسك والآخرين في دنياك.

* وحتى تدرك أهمية العمل دعني أضرب لك هذا المثال التوضيحي، والذي يبين مدى التلازم بين العقيدة والشريعة.



* وحتى تدرك أهمية العمل دعني أضرب لك هذا المثال التوضيحي والذي يبين مدى التلازم بين العقيدة والشريعة.



ينقسم إلى

العقيدة

- المتمثلة في الأصول العقدية وهي أركان الإيمان الستة التي أخبر عنها ﷺ في حديث جبريل الشهير

- فالعقيدة تمثل القاعدة الأساسية في بناء هذا الدين، وهي المعروفة بأصول الإيمان.. الإيمان بالله -وملائكته- وكتبه - ورسله- واليوم الآخر والقدر خيره وشره

الشريعة

وهي النظام الذي ينبثق عن هذه الأصول العقدية ويقوم عليها...

- ففيه بيان الكيفية الشرعية للشعائر التعبدية والمعاملات، وقواعد الأخلاق، وغيرها من جوانب الشريعة التي تتعلق بكل ما من شأنه تنظيم حياة الناس وارتباطهم وعلاقاتهم، والتي تسمى «بالأحكام الفرعية» أو «العملية».. وهي المعروفة بـ«أركان الإسلام»

إذن هناك تلازم بين

العقيدة «الاعتقاد بالقلب» و العمل «بالجوارح»

فلا عقيدة صحيحة بلا عمل ولا عمل صحيح مقبول إلا بالاعتقاد الصحيح

قد تقول: وكيف تتحول العقيدة النظرية إلى عقيدة عملية؟!

والجواب: اعلم -أيها الأخ الكريم- أن التوحيد شجرة تنمو في قلب المؤمن فيسبق فرعها ويزداد نموها ويزداد جمالها كلما سقيت بالجد والاجتهاد في العمل بالطاعة المقربة إلى الله -تعالى-، فتزداد بذلك محبة العبد لربه، ويزداد خوفه منه ورجاؤه له ويقوي توكله عليه، ومن تلك الأسباب العملية التي تُنمي التوحيد في القلب، وتدفع العبد للعمل الصالح في الدنيا:

١- الاجتهاد في تصحيح النية عند دراسة كتب العقيدة ومتونها..

٢- محاولة تفعيل القضايا العقدية وربطها ربطًا وثيقًا بما يعرض للمرء في دنياه، وبالتالي يزداد الحافز لفعل الخير، والانتهاء عن الشر..

٣- الاجتهاد في إصلاح القلب، والمحاسبة الدائمة للقلب، والنظر في أحوال القلب من حيث تمام الخضوع، وتمام الانقياد، وتمام التسليم، وتمام الخوف، وتمام التعظيم، وتمام المن وتمام الرخاء، وتمام الإنابة، وصدق التوكل، ثم عقد اختبار للنفس للتأكد من:

- مدى تجرد القلب لله -تعالى-، ومدى تعلق القلب بغير الله، إلخ.

- وليعلم -الأخ القارئ- أنه كلما ازداد تعلق القلب بالرب «عن طريق الخوف والمحبة والتعظيم والرجاء والتصديق والإيمان الصادق بوعد الله ووعيده وعظم جزائه وصدق ما أخبر به وأخبرت به رسله..». على قدر ذلك تظهر الآثار السنية المباركة على الجوارح.

٤- الاجتهاد في فعل الطاعات رغبة فيما عند الله.

٥- ترك المعاصي خوفًا من عقاب الله.

٦- التفكر في ملكوت السموات والأرض.

٧- معرفة أسماء الله وصفاته ومقتضياتها وآثارها وما تدل عليه من الجمال والكمال، والاجتهاد في العمل بذلك.

٨- قراءة القرآن بتدبر وتفهم لمعانيه -خاصة- آيات التوحيد.

٩- التقرب إلى الله بالنوافل بعد الفرائض.

١٠- إدمان الذكر على كل حال باللسان وبالقلب.

١١- إيثار ما يحبه الله عند تزاحم المحاب.

١٢- التأمل في نعم الله الظاهرة والباطنة، ومشاهدة بره وإحسانه وإنعامه

على عباده.

١٣- إنكسار القلب بين يدي الله وافتقاره إليه.

١٤- الخلوة بالله وقت النزول الإلهي حين يبقى ثلث الليل الآخر.

١٥- الابتعاد عن كل سبب يحول بين القلب وبين الله من الشواغل.

١٦- ترك فضول الكلام والطعام والخلطة والنظر.

١٧- أن يجتهد المرء في اتباع رسول الله ظاهرًا وباطنًا.

١٨- أن يحب للناس ما يحبه لنفسه، وأن يؤثر إخوانه على نفسه، وأن يعاملهم معاملة الإسلام وأن يجاهد نفسه على ذلك.

١٩- سلامة القلب من الغل للمؤمنين وسلامته من الحقد والحسد والكبر والغرور والعجب.

٢٠- الرضا بتدبير الله -عز وجل-.

٢١- الشكر عند النعم والصبر عند النقم.

٢٢- كثرة الاستغفار، والأوبة عند ارتكاب الذنوب.

٢٣- الاجتهاد في صلة الأرحام، وزيارة المرضى وكفالة الأيتام.

٢٤- إطابة المطعم.

٢٥- الأمر بالمعروف بمعروف، والنهي عن المنكر بغير منكر.

٢٦- الجهاد في سبيل الله

هذه بعض الأسباب العملية التي تعينك -أخي المكرّم- على تحويل العقيدة النظرية إلى عقيدة عملية..

رزقنا الله وإياك...

العلم النافع والعمل الصالح

قد تقول

كيف أحقق التوحيد؟!

يجيبك الشيخ/ محمد بن صالح العثيمين -رحمه الله- في كتابه «القول المفيد على كتاب التوحيد» [١/ ٩٠] فيقول: تحقيق التوحيد: أي: تخليصه من الشرك، ولا يكون إلا بأمور ثلاثة:

الأول: العلم: فلا يمكن أن تُحقِّق شيئًا قبل أن تتعلمه، قال تعالى: ﴿ فَاعْلَمْ أَنَّهُ لَا إِلَٰهَ إِلَّا اللَّهُ﴾ [محمد:١٩].

وتعلم التوحيد يسيرٌ -إن شاء الله- لمن طلبه، وشمر لتحصيله، ولتعلم التوحيد وتحصيله طرق كثيرة نافعة، أدقها وأجملها: ما ذكره العلامة/ عبد الرحمن السعدي في كتبه فراجعها، خاصة في كتابه المسمى «القول السديد في شرح كتاب التوحيد».

الثاني: الاعتقاد: فإذا علمت، ولم تعتقد، واستكبرت، لم تحقق التوحيد، قال تعالى عن الكافرين:

﴿قَدْ نَعْلَمُ إِنَّهُ لَيَحْزُنُكَ الَّذِي يَقُولُونَ فَإِنَّهُمْ لَا يُكَذِّبُونَكَ وَلَكِنَّ

الظَّالِمِينَ بِآيَاتِ اللهِ يَجْحَدُونَ﴾ [الأنعام: ٣٣].

الثالث: الانقياد: فإذا علمت، واعتقدت، ولم تَنْقَدْ، لم تُحقق التوحيد، قال تعالى: ﴿إِنَّهُمْ كَانُوا إِذَا قِيلَ لَهُمْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللهُ يَسْتَكْبِرُونَ * وَيَقُولُونَ أَئِنَّا لَتَارِكُوا آلِهَتِنَا لِشَاعِرٍ مَجْنُونٍ﴾ [الصافات: ٣٥، ٣٦].

ونضيف إلى ما ذكره الشيخ:

الرابع: تعليم التوحيد، والدعوة إليه: عن طريق إقامة الدروس المستمرة في المساجد، والبيوت، وتربية الأهل والأولاد على تعلُّم التوحيد، ونشر كتب التوحيد في جميع أنحاء العالم.

الخامس: محبة أهل التوحيد، والاجتهاد في مجالستهم والاستفادة من كلامهم وسمتهم، والذود عنهم.

السادس: ربط القضايا المعاصرة بالتوحيد.

السابع: بغض أعداء التوحيد: كالشيعة الرافضة، والصوفية، وغيرهم.

الثامن: جمع كلمة الأمة على أساس التوحيد.

ماذا يريد الله منك؟

ماذا لو حققنا التوحيد؟!

في الدنيا

إذا حقق العبد التوحيد في الدنيا فإنه يتنعم بالتالي:

١- معرفة الله -تعالى-، وهي من أعظم آثار تحقيق التوحيد وكفى بها نعمة.

٢- راحة النفس، واطمئنانها وسعادتها

٣- تواضع النفس الموحدة، وخوفها وانكسارها لخالقها، وافتقارها إليه -سبحانه-.

٤- اليقين والثقة بالله..

٥- اليقين بنصرة الله وتحقيق وعده.

٦- تفريج الكربات.

٧- الحزم والجد في الأمور.

٨- التحرر من عبودية الخلق، ورق المخلوقين، وخوفهم ورجائهم والعمل لأجلهم، وهذا هو العز الحقيقي.

٩- ينير القلب، ويسهل على العبد فعل الخيرات وترك المنكرات.

١٠- الإنصاف وتربية النفس على العدل.

١١- توقف الحيرة والتردد عند الإنسان.

١٢- شعور النفس بمعصية الله - تعالى-.

في الآخرة

إذا حقق العبد التوحيد فإن الجنة مضمونة له بغير حساب،

قال الشيخ ابن عثيمين:

ولانحتاج أن نقول: إن شاء الله؛ لأن هذا الحكم ثابت شرعًا، وأما بالنسبة للرجل المعيَّن فإننا نقول: إن شاء الله

ثانيًا

كن للشرك مُجتنِبًا

كما تقرر سابقًا، فإن التوحيد هو أعدل العدل، وعلى النقيض فإن الشرك هو أظلم الظلم، وأقبح الجهل، وأكبر الكبائر.

قد تقول: ولماذا نحذر من الشرك، أما يكفي أن نتعلم التوحيد فحسب؟!

والجواب: إننا نحذر من الشرك:

١ـ لأن الشرك هو أعظم ذنب عصي الله به على وجه الأرض؛ ولهذا أخبرنا الله ﷻ أنه لا يغفره، وأن صاحبه مُخلَّد في النار أبدًا -إن مات على ذلك-؛ قال تعالى: ﴿إِنَّهُ مَن يُشْرِكْ بِاللهِ فَقَدْ حَرَّمَ اللهُ عَلَيهِ الجَنَّةَ وَمَأْوَاهُ النَّارُ﴾ [المائدة:٧٢]، وقال تعالى: ﴿وَمَن يُشْرِكْ بِاللهِ فَكَأَنَّمَا خَرَّ مِنَ السَّمَاءِ فَتَخْطَفُهُ الطَّيْرُ أَوْ تَهْوِي بِهِ الرِّيحُ فِي مَكَانٍ سَحِيقٍ﴾ [الحج:٣١].

٢ـ لأن الله ﷻ قد شدد في التحذير من الشرك؛ فقال سبحانه: ﴿إِنَّ اللهَ لاَ يَغْفِرُ أَن يُشْرَكَ بِهِ وَيَغْفِرُ مَا دُونَ ذَلِكَ لِمَن يَشَاء

وَمَن يُشْرِكْ بِاللهِ فَقَدِ افْتَرَى إِثْمًا عَظِيمًا﴾ [النساء:٤٨].

٣ـ لأن النبي ﷺ أخبر أن الشرك أعظم مانع من موانع دخول الجنة؛ فعن عبد الله بن مسعود ﷺ، قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول: «من مات يُشرك بالله شيئًا دخل النار». وقلت أنا: «ومن مات لا يشرك بالله شيئًا دخل الجنة» [رواه البخاري].

وعن جابر بن عبد الله -رضي الله عنهما- قال: أتى النبيَّ ﷺ رجلٌ، فقال: يا رسول الله! ما الموجبتان؟! فقال: «من مات لا يُشرك بالله شيئًا دخل الجنة، ومن مات يُشرك بالله شيئًا دخل النار». [رواه مسلم].

٤ـ لأن المشرك أجهل الجاهلين بالله ﷻ؛ حيث جعل له من خلقه نِدًّا، وذلك غاية الجهل به، كما أنه غاية الظلم منه، وإن كان المُشرِك لم يظلم ربه، وإنما ظلم نفسه؛ لهذا لمَّا نزلت هذه الآية: ﴿الَّذِينَ آمَنُواْ وَلَمْ يَلْبِسُواْ إِيمَانَهُم بِظُلْمٍ أُوْلَـئِكَ لَهُمُ الأَمْنُ وَهُم مُّهْتَدُونَ﴾ [الأنعام:٨٢] شقَّ ذلك على الصحابة ﷺ، وقالوا: يا رسول الله، وأيُّنا لم يظلم نفسه؟! قال: «ليس الذي تذهبون إليه، ألم تسمعوا قول العبد الصالح: ﴿يَا بُنَيَّ لَا تُشْرِكْ بِاللهِ إِنَّ الشِّرْكَ لَظُلْمٌ عَظِيمٌ﴾ [لقمان:١٣]». [متفق عليه].

٥ـ لأن العبودية لا تستقيم أبدًا مع الشرك؛ بل لا يقبل الله

إسلام المرء حتى ينتهي قبل كلِّ شيءٍ عن الشرك؛ لهذا فقد حمَل الإسلام حملة شديدة على الشرك، فقدَّم -سبحانه- الكُفْرَ بالطاغوت على الإيمان بالله؛ فقال: ﴿فَمَنْ يَكْفُرْ بِالطَّاغُوتِ وَيُؤْمِن بِاللهِ فَقَدِ اسْتَمْسَكَ بِالْعُرْوَةِ الْوُثْقَى لاَ انفِصَامَ لَهَا وَاللهُ سَمِيعٌ عَلِيمٌ﴾ [البقرة:٢٥٦]؛ وذلك لأنه لابد من التخلية قبل التحلية، أي: تخلية القلب من جميع علائق الشرك؛ ليكون خالصًا تمامًا لله ﷻ(١).

٦ـ **لأن الشرك يحبط العمل؛** قال تعالى: ﴿لَئِنْ أَشْرَكْتَ

(١) وهنا أمر في غاية الأهمية يجدر بنا أن نُحذر منه وهو:

أن المرء قد يكون ذا رئاسة، وتحته من يَأتمِرُ بأمره، ينتهي عن نهيه، أو قد يكون من ذوي الأموال والممتلكات والمزارع والعقارات، أو قد يكون ذا علم، ولديه طلبة يتقلدون رأيه، ويصدرون على قوله .. لا ريب أن كل ما ذكر آنفًا هو من النعم التي يُستوجب شكرها، ويُستنكر كنودها...ولكن يحسن بمن كان هذا حاله ألا يركن إلى ما تحت يده، ويجدر به أن يوطن نفسه على ذهابه وزواله، وذلك لأن هذه الأشياء التي قد تكون طوع يمينه، والتي يظن أنها سبيل سعادته -قد تكون سبب شقاوته، وقد يتعلق بها فتسترقه، وتذله، فيكون أسيرًا لها، مكبلاً في أغلالها، لأنه يرى في الظاهر أنه هو السيد المالك، بينما هو في الحقيقة مسود مملوك من جهة أنه لا يستطيع الاستغناء عن هذه الأشياء، فيكون فيه وجه عبوديته لها من هذه الناحية.

: ولقد صدق النبي إذ يقول: «ليس الغنى عن كثرة العرض، ولكن الغنى غنى النفس» رواه مسلم... ولا سبيل إلى الوصول إلى هذا السر إلا بتجريد التوحيد لمن بيده ملكوت كل شيء، فذلك هو سر السعادة وسبيل العزة، وطريق الحرية الأعظم....

لَيَحْبَطَنَّ عَمَلُكَ﴾ [الزمر:٦٥].

وأخيرًا: فإننا نُحَذِّر من الشرك؛ لأن الأمة ابتعدت رويدًا رويدًا عن حقيقة التوحيد، ووقع كثير من أفرادها في الشرك والبدع، حتى كثرت مظاهر الشرك في الأمة، حتى أنتنت رائحة البقاع!!

لهذا قرر العلماء قديمًا وحديثًا أن الخوض في قوادح التوحيد، والحديث عن مظاهر الشرك هي طريقة القرآن، وذلك من أجل تحذير المسلمين من الشرك، وليس للحكم عليهم به -كما يزعم الزاعمون-، ولا يزال أهل العلم يتكلمون عن أحكام الردة وأسبابها، وطرق الزيغ والضلال، ومسالك الابتداع والتحذير منها، إقامة للحجة، وتعليمًا وإرشادًا للأمة..





درجات الشرك وأنواعه

هل الشرك مرتبة واحدة، وهل كل المشركين في منزلة واحدة؟!

والجواب: لا، ليس الشرك منزلة واحدة

ولكنه ينقسم إلي قسمين

شرك أكبر — شرك أصغر

❋ **أولا: الشرك الأكبر:** هو أن يجعل لله نِدًّا، أو مثيلًا، أو شريكًا؛ في عبادته، أو حُكْمِهِ، أو أفعاله، أو صِفاته؛ اعتقادًا، أو قولًا، أو عملًا: [كدعاء غير الله، والاستعانة والاستغاثة بغير الله].

أو: هو صرف شيء مما يختص به الله لمخلوق، وهذا هو شرك التسوية، وهو مُخرِج من الملة، ولا يغفره الله إلا بالتوبة منه، **وهو قسمان:**

أ. شرك الألوهية: وهو صرف العبادة لغير الله، **ومن أنواعه:** اتخاذ النِّدّ لله -أو مع الله- في أي عبادة: [ظاهرة، أو باطنة]، والتي يفعلها العبد على وجه التقرُّب إلى الله [كاتخاذ النِّدّ لله -أو مع الله- في

الدعاء، أو المحبة، أو الطاعة، أو النية والقصد، أو الخوف، أو الرجاء، أو التوكلْ....].

ب. شرك الربوبية، والأسماء والصفات: وهو صرف العبد شيئًا من أفعال الله، أو أسمائه، أو صفاته لغيره مِنْ خلقه ﷻ.



صور شركية معاصرة

قد لا تتمثَّل هذه الأنداد التي تُعبَد في الأرض مع الله، أو من دونه في هذه الصورة القديمة التي كان يُزاولها المشرك الأول؛ [حيث هذا الصنم الحجري، الذي لا يضرُّ، ولا ينفع، ولا يسمع، ولا يُبصِر]، بين يديه عابده، يُقَدِّم له من فروض الولاء، والإذعان، والطاعة، والمحبة، والرضا، ما لا يُقدِّمه لله ﷻ؛ بل لقد تعددت صور الشرك، وكَثُرَت الأنداد والآلهة التي عُبِدَت في الأرض من دون الله ﷻ: فمن الناس من عبد الشمس، ومنهم من عبد البقر، ومنهم من عبد الكواكب.

وفي الوقت الراهن.. من الناس من يعبد في الأرض من دون الله الطواغيت من دول يسمونها «عُظمَى»، ومنهم من يعبد أفرادًا؛ سواء أكانوا من الأحياء، أم من الأموات، ومنهم من يعبد اعتبارات، وقِيمًا، وأعرافا، وأفكارا، وقوانين، ومُنَظَّمات، وهيئات تحارب رب العالمين، وتنازعه ألوهيته في أرضه، ومنهم من يعبد المال، ومنهم من يعبد الأهواء، والشهوات، بل منهم من يعبد المقامات، والأولياء، والحجارة، والقبور، بل منهم من يعبد الأبقار، والفئران -ولا حول

ولا قوة إلا بالله..

❋ **وإلى هؤلاء جميعًا:** نوجه هذه الآية الكريمة، وكفى بها نورًا، وبرهانًا، ونجاةً، وتجريدًا للتوحيد، وقطعًا لأصول الشرك، قال ربي في مُحكَم التنزيل: ﴿قُلِ ادْعُوا الَّذِينَ زَعَمْتُم مِّن دُونِ اللَّهِ لَا يَمْلِكُونَ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ فِي السَّمَاوَاتِ وَلَا فِي الْأَرْضِ وَمَا لَهُمْ فِيهِمَا مِن شِرْكٍ وَمَا لَهُ مِنْهُم مِّن ظَهِيرٍ {٢٢} وَلَا تَنفَعُ الشَّفَاعَةُ عِندَهُ إِلَّا لِمَنْ أَذِنَ لَهُ﴾ [سبأ: ٢٢، ٢٣]

ثانيًا: الشرك الأصغر[1]:

عرَّفه الإمام ابن القيم -رحمه الله تعالى- فقال: (وهو كيسير الرياء، والتَّصنُّع للخلق، والحلف بغير الله، وقول الرجل للرجل: ما شاء الله وشئت، وهذا من الله ومنك، وأنا بالله وبكَ، و مالي إلا الله وأنت،

---

(١) قال الشيخ/ ابن عثيمين -رحمه الله: اختلف العلماء في ضابط الشرك الأصغر على قولين: القول الأول: أن الشرك الأصغر كل شيء أطلق الشارع عليه أنه شرك، ودلَّت النصوص على أنه ليس من الأكبر، مثل: «من حلف بغير الله فقد أشرك»، فالشرك هنا أصغر، لأنه دلَّت النصوص على أنه مجرد الحلف بغير الله لا يُخرِج من المِلَّة، القول الثاني: أن الشرك الأصغر ما كان وسيلة للأكبر، وإن لم يُطلِق الشارع عليه اسم الشرك، مثل: أن يعتمد الإنسان على شيء كاعتماده على الله، لكنه لم يتَّخِذه إلهًا، فهذا شركٌ أصغر، لأن هذا الاعتماد الذي يكون كاعتماده على الله يؤدي به في النهاية إلى الشرك الأكبر، وهذا التعريف أوسع من التعريف الأول، لأن الأول يمنع من أن نُطلِق على شيء أنه شرك، إلا إذا كان لديك دليل، والثاني: جعل ما كان وسيلة للشرك فهو شرك» [القول المفيد (١/ ١٣٠)].

وأنا متوكِّل على الله وعليك، و لولا الله وأنت لم يكن كذا وكذا، وقد يكون هذا شركًا أكبر، بحسب حال قائله، ومقصده). [راجع «فتح المجيد شرح كتاب التوحيد» (ص ٣٠٤، ٣٠٥)].

وعلى هذا فإن الشرك الأصغر

ينقسم إلى قسمين:

شرك ظاهر — الرياء

❋ **الأول: الشرك الظاهر:** وهذا القسم يتمثَّل في الأقوال والأفعال الظاهرة، المُخِلَّة بالتوحيد، والواجب اجتنابها.





يُشرِكون، وهم لا يعلمون

قد تقول: أنا أجهل هذه الأقوال والأفعال الشركية، فهَلَّا بصَّرتني بها -جُزيتَ خيرًا- ؟!

والجواب: إن الجهل بحقيقة الشرك، وصوره، وأشكاله، جعلت بعض المسلمين يقعون في الكثير من الشركيات، وهم يعتقدون اعتقادًا جازمًا أنها من أفضل القُرُبات، وأعظم العبادات إلى الله، وظنَّ كثير منهم أن الشرك يُطلق، ويُراد به السجود لصنمٍ أو تمثال فحسب[(١)].

---

(١) فائدة: قال ربنا محذرًا منفرًا من الشرك وأنواعه وأسبابه ﴿وَمَا يُؤْمِنُ أَكْثَرُهُمْ بِاللَّهِ إِلاَّ وَهُم مُّشْرِكُونَ﴾ [يوسف: ١٠٦]، قال بعض أهل العلم.. وفي الآية دلالة على ما يتخلل بعض الأفئدة وتنغمس فيه بعض النفوس من الشرك الخفي الذي لا يشعر به صاحبه غالبًا، فمثل هذا وإن اعتقد وحدانية الله لكنه لا يخلص له في عبوديته فيتعلق بغير ربه، بل ويعمل لحظ نفسه، أو طلب دنياه أو ابتغاء رفعة أو منزلة أو قصد إلى جاه عند الخلق فلله من عمله نصيب، ولنفسه وهواه نصيب، وللشيطان نصيب، وللخلق نصيب، وهو -سبحانه- أغنى الشركاء عن الشرك.

لهذا... كان من اللازم أن نخشى الخلل في التوحيد، والنقص في صدق اليقين والتوكل ولنعلم -جميعًا- أن الأمر خطير ودقيق، فقد يقع الواحد منا في الشرك الخفي سواء كان في المحبة والتأله والخضوع، أو قد يقع في شرك الخوف والرجاء، وآخر في الجهاد والتضحية، وذاك يقع في الشرك في باب الأسباب، وآخر في باب النفع والضر وهو لا يشعر.. ولا حول ولا قوة إلا بالله.



لهذا.. جمعتُ لكَ من كلام أهل العلم بعض ما يُنافي التوحيد، أو يُخِلُّ به؛ لتكون منه -أخي القارئ- على حذر،

وقسمتها إلى قسمين:

١ـ الأفعال الشركية.

٢ـ الأقوال والألفاظ الشركية.

ويؤكد ذلك ما قاله فضيلة الشيخ العلامة/ محمد بن صالح العثيمين -رحمه الله- عندما سئل عن مسألة الزيارة الشركية والبدعية للقبور، وتوسل الجهلة بالأولياء والصالحين ... فقال -رحمه الله- بعد ما ذكر الحكم في هذه المسألة: ولكن هناك شرك آخر وهو محبة الدنيا والانهماك فيها والانكباب عليها، فهذا نوع آخر من الشرك لقول النبي ﷺ «تعس عبد الدينار، تعس عبد الدرهم، تعس عبد الخميصة...» فسمى النبي ﷺ من شغف بهذه الأربعة بأنه عبد لها فهي بمثابة الآله بالنسبة له، حيث أصبح الناس اليوم على انكباب في الدنيا حتى الذين عندهم تمسك بشيء من الدين تجدهم ماتوا وقلوبهم متعلقة بالدنيا، ولقد قال النبي ﷺ: «والله ما الفقر أخشى عليكم، ولكن أخشى أن تبسط الدنيا عليكم فتنافسوها كما تنافسوها فتهلككم كما أهلكتهم».

هذا هو الذي يخشى منه اليوم، نخشى أن ينتشر شرك المحبة في الناس....

نقلاً عن «فتاوى برنامج نور على الدرب...».

ماذا يريد الله منك؟

أولًا: الأفعال الشركية

* **لبس الحلقة والخيط:** أيًا كان نوعها؛ من صفر، أو نحاس، أو حديد، أو جلد؛ لرفع بلاء أو دفعه، فهو من الشرك، [ويدخل في هذا: ما يُعرَف في زماننا باسم «الحظاظة»، التي يلبسها التافهون من الشباب محاكاة للغربيين].

* **الرقى البدعية والتمائم:** والرقى البدعية هي المشتملة على: [الطلاسم، والكلام غير المفهوم، والاستعانة بالجن في معرفة لمرض، أو فكّ السحر، أو وضع التمائم، وهو ما يُعَلَّق على إنسان والحيوان من خيط، أو ربطة]؛ سواء كان مكتوبًا من الكلام البدعي الذي لم يرد في القرآن أوالسنة، أو حتى الوارد فيهما -على الصحيح-؛ لأنها من أسباب الشرك؛ قال ﷺ: «إن الرقى -أي: الشركية- والتمائم والتِّوَلَة شرك». [رواه أحمد وأبو داود]

* **ومن ذلك: تعليق ورقة، أو قطعة من النحاس أو الحديد** في

داخل السيارة، فيها لفظ الجلالة، أو آية الكرسيّ، أو وضع مصحف في داخل السيارة، واعتقاد أن ذلك يحفظها، ويمنع عنها الشر؛ من عين، أو نحوها، ومن ذلك: وضع قطعة على شكل كف، أو مرسوم فيها عين، فلا يجوز وضعه، حيث يُعتقَد فيه دفع العين؛ قال ﷺ: «من تعلَّقَ شيئًا وُكِلَ إليه» [رواه أحمد والترمذي والحاكم].

※ **ومما يخلّ بالتوحيد: التبرُّك بالأشخاص،** والتمسُّح بهم، وطلب بركتهم، أو التَّبرُّك بالأشجار والأحجار وغيرها، حتى الكعبة، فلا يُتَمَسَّحُ بها تبرُّكًا؛ قال عمر بن الخطاب رضي الله عنه وهو يُقبِّل الحجر الأسود-: «إني لأعلم أنك حجر، لا تضُرُّ ولا تنفع، ولولا أني رأيت رسول الله ﷺ يُقبِّلُكَ ما قبَّلْتُكَ».

※ **ومما ينافي التوحيد: الذبح لغير الله؛** كالذبح للأولياء، والشياطين، والجن؛ لجلب نفعهم، أو دفع ضُرِّهم، **فهذا من الشرك الأكبر،** وكما لا يجوز الذبح لغير الله، لا يجوز الذبح في مكان يُذبَح فيه لغير الله، ولو كان قصد الذابح أن يذبح لله عز وجل، **وذلك سدًّا لذريعة الشرك.**

※ **ومن ذلك: النذر لغير الله،** فالنذر عبادة، لا يجوز أن

تُصرَف لغير الله عز وجل.

※ **ومن ذلك: الاستعانة والاستغاثة بغير الله؛** قال ﷺ لابن عباس -رضي الله عنهما-: «إذا سألت فاسأل الله، وإذا استعنت فاستعن بالله...»، وبذلك نعلم المنع من دعاء الجن.

※ **ومما يُخلّ بالتوحيد: الغلو في الأولياء والصالحين،** ورفعهم فوق منزلتهم؛ وذلك بالغلو في تعظيمهم، أو رفع منزلتهم إلى منزلة الرسل، أو ظن العصمة فيهم.

※ **ومما ينافي التوحيد: الطواف بالقبور،** لأن ذلك من الشرك، وكذلك لا يجوز الصلاة عند القبر(*)؛ لأنها وسيلة إلى الشرك، فكيف بالصلاة لها، وعبادتها -والعياذ بالله- !!

※ [ولحماية التوحيد جاء النهي عن البناء على القبور، وجعل القباب والمساجد عليها، وتجصيصها].

※ **ومما ينافي التوحيد: فتح المندل، وقراءة الكف والفنجان، والسحر،** وإتيان السحرة والكهنة والمُنَجِّمين ونحوهم؛ فالسحرة كفار، ولا يجوز الذهاب إليهم، ولا يجوز سؤالهم، أو

(*) راجع في ذلك بحث «تحذير المساجد من اتخاذ القبور مساجد» للإمام العلامة الشيخ الألباني -رحمه الله تعالى-.

تصديقهم ،وإن تَسَمَّوا بالأولياء، والمشايخ، ونحو ذلك.

* **ومما يُخلُّ بالتوحيد: الطيرة،** وهي: التشاؤم بالطيور، أو بيوم من الأيام، أو بشهر، أو بشخص، كل ذلك لا يجوز، فالطيرة شرك؛ كما جاء في الحديث.

* **ومما يُخلُّ بالتوحيد: التعلق بالأسباب** كالطبيب، والعلاج، والوظيفة، وغيرها، وعدم التوكل على الله، والمشروع: هو أن نبذل الأسباب -كطلب العلاج، والرزق- لكن مع تعلُّق القلب بالله، لا بهذا السبب.

* **ومما يُخلُّ بالتوحيد: التنجيم، واستعمال النجوم** في غير ما خُلِقَت له، فلا تُستَخدَم في معرفة المُستَقبَل والغيب، وكل هذا لا يجوز.

* **ومما ينافي التوحيد: صرف شيء من أنواع العبادة القلبية لغير الله؛** مثل: صرف المحبة المُطلَقة، أو الخوف المُطلَق للمخلوقات.

* **ومما يُخلُّ بالتوحيد: الأمن من مكر الله وعذابه،** أو القنوط من رحمة الله، فلا تأمن مِن مكر الله، ولا تقنط من رحمته، فكن بين الخوف والرجاء.

* **ومن ذلك: الشرك في الإرادات والنيات،** بالرياء والأعمال وطلب الشهرة.

* **ومما ينافي التوحيد:** طاعة العلماء، والأمراء، وغيرهم، في تحريم الحلال، أو تحليل الحرام، فإن طاعتهم نوع من الشرك.

* **ومما ينافي التوحيد:** وضع الصلبان، ورسمها، أو تركها موجودة على اللباس، إقرارًا لها، والواجب كسر الصليب، أو طمسه.

* **ومما ينافي التوحيد:** موالاة الكفار والمنافقين، وتعظيمهم، واحترامهم، والحفاوة بهم، ومودتهم، وتقليدهم.

ثانيًا: الأقوال الشركية

* **من الأقوال التي تخل بالتوحيد: الحلف بغير الله**، مثل:

الحلف بـ «النبي»، و«الكعبة»، و«ورحمة أبي»، و«الأمانة»، أو غير ذلك؛ قال النبي ﷺ: «من حلف بغير الله فقد كفر – أو أشرك –». [رواه الترمذي، وأحمد في المُسنَد، وصححه الحاكم، ووافقه الذهبي].

* **ومما يخل بالتوحيد:** قول: «ما شاء الله وشئت»، أو قول: «لولا الله وفلان»، أو: «توكلتُ على الله وفلان»، فالواجب استعمال «ثم» في جميع ما سبق؛ لقوله ﷺ: «لا تقولوا ما شاء الله وشاء فلان؛ ولكن قولوا: ما شاء الله، ثم شاء فلان». [رواه أبو داود].

* **ومما يخل بالتوحيد:** الاستسقاء بالنجوم، والأنواء، والمواسم واعتقاد أن النجوم هي التي تُقَدِّمُ المطر، أو تُؤخره، وقولهم: «مُطِرنا بنوء كذا وكذا»؛ لأن الذي يمنع المطر وينزله هو الله؛ لذا فالواجب أن نقول: «مُطِرنا بفضل الله ورحمته».

* **مما يخل بالتوحيد: سبُّ الدهر**، والزمان، والأيام، والشهور؛ كقولهم: «يوم فقر»، أو «يوم نحس».

* **مما ينافي التوحيد:** سَبُّ الدين، والسخرية من الشريعة، والاستهزاء بالكتاب والسنة، أو السخرية من أهل العلم والصلاح، لما يحملونه من الالتزام بالسنة الظاهرة: [كإعفاء اللحية، أو السِّواك، أو تقصير الثوب عن الكعب].

* **مما يخل بالتوحيد:** التسمية بـ «عبد النبي»، أو «عبد الكعبة»، أو «عبد الحسين»، وكل هذا لا يجوز، بل العبودية المُطلقة إنما هي لله رب العالمين.

* **ومما يخل بالتوحيد:** عدم الصبر على أقدار الله، والجَزَع، والضَّجر، ومُعارَضة القَدَر بمثل قولهم: «لماذا يا الله تفعل بي كذا وكذا؟»، «لماذا كل هذا يا رب؟»، ونحو ذلك: من النياحة، وشق الجيوب، ونثر الشَّعْر.

وهناك الكثير والكثير من الأفعال والأقوال الفاسدة المُضِلَّة، التي تصطدم اصطدامًا صريحًا مع عقيدتنا –نحن المسلمين–.

الأمثلة الشعبية الشركية

ومن الأقوال الشركية: هذه الكلمات التي قد يتلفظ بها كثير من الناس، وتلوكها ألسنتهم، بغير تدبُّر، أو تفكُّر، أو رَوِيَّة، والتي قد تؤدي إلى الخسران المُبين؛ في الدنيا والآخرة؛ كما قال تعالى: ﴿وَتَحْسَبُونَهُ هَيِّنًا وَهُوَ عِندَ اللهِ عَظِيمٌ﴾ [النور:١٥]

ومن هذه الكلمات الخبيثة والأمثلة الفاسدة: «يدِّي الحلق للي بلا ودان»، «رزق الهبل على المجانين»، «لا بيرحم، ولا بيخلِّي رحمة ربنا تنزل»، «ابكي على الزمان، اللي عمل القصير شمعدان»، «زرع شيطاني»، «اللي يعتقد في حجر ينفعه»، «اسم النبي حارسه وصاينه»، «امسك الخشب»، «خمسة، وخميسة»، «الباب المردود يرد القضا المستعجل»، «وشه يقطع الخميرة من البيت»، «ربنا افتكره»، «طور الله في برسيمه»، «والعيش والملح»، «عليَّ الحرام من ديني»، «ما تخلينيش أكفر»، وغير هذا كثير من الأقوال والأمثلة الشركية -نسأل الله أن يتوب علينا من الشرك والشك-. (*)

(*) انتشر بين عموم المسلمين الكثير من الألفاظ المخالفة للشرع، لذا تنصح من أراد النجاه في الدارين بالاجتهاد على تصحيح ألفاظه حتى لا يقع في الآثام وراجع في هذا الباب إن شئت أقوال وأفعال واعتقادات خاطئة د. طلعت زهران، المناهي الشرعية للشيخ ابن عثيمين، معجم المناهي اللفظية للشيخ الراحل بكر أبو زيد.

ثانيًا: الرياء

❋ **ولا شك أن أهم أبواب الشرك الأصغر: الرياء،** وما يلحق به من يسير الرياء، والتصنُّع للخلق، والسمعة، والعمل لغرض من أغراض الدنيا؛ كأجر، أو منفعة؛ لحديث رافع بن خَدِيج ﷺ، أن رسول الله ﷺ قال: «**إن أخوف ما أخاف عليكم الشرك الأصغر**»، قالوا: يا رسول الله! وما الشرك الأصغر؟! قال: «**الرياء، يُقال لمن يفعل ذلك إذا جاء الناس بأعمالهم: اذهبوا إلى الذين كنتم تُراؤون، فاطلبوا ذلك عندهم**».

[رواه أحمد في مسنده (٥/ ٤٢٨)، والبيهقي في الشُّعب (٥/ ٣٣٢)، وصححه شيخنا الألباني في الصحيحة (٩٥١)، وصحيح الجامع (١٥٥٥)].

ما معنى الرياء؟!.

❋ **يجيبك الحافظ ابن حجر،** فيقول: (الرياء مشتق من الرؤية).

* ويقول ابن منظور: (يُقال: رجل مُرَاءٍ: أي: أنه يُري الناس أنه يفعل، وهو لا يفعل بالنية).

* والرياء اصطلاحًا كما قال الغزاليُّ: (طلب المنزلة في قلوب الناس بإيرائهم خِصال الخير، وهو مخصوص -بحكم العادة- بطلب المنزلة في القلوب؛ بالعبادة، وإظهارها.

ومن ثم يكون الرياء المذموم شرعًا: إرادة العباد بطاعة الله).

[الإحياء (٣/ ٢٩٧)].

* وذكر الهيثميُّ في كتابه «الزواجر عن اقتراف الكبائر»: (حدُّ الرياء المذموم: إرادة العامل بعبادته غير وجه الله -تعالى-، كأن يقصد اطلاع الناس على عبادته، وكماله، فيحصُل له منهم نحو مالٍ، أو جاهٍ، أو ثناء). [الزواجر (١/ ٤٣)].

ممنوع الاقتراب:

* فإيَّاكَ، ثُمَّ إياكَ والرياء، فإنه بمثابة حقل الألغام، الذي ينسف العمل نسفًا، كذلك فهو من الكبائر المُهلِكة، التي تُحبط الأعمال، وتُفسد الطاعات، فكما أن الله لا يقبل عملًا صالحًا من المُشرِك،

ماذا يريد الله منك؟

كذلك فإن الله -تعالى- لا يقبل طاعة قد داخلها الرياء وتسرَّبَ إليها؛ فعن أبي هريرة ؓ قال: قال رسول الله ﷺ: «قال الله -تباركَ وتعالى-: «أنا أغنى الشركاء عن الشرك، من عَمِلَ عملًا أشرك فيه مَعِيَ غيري تركته وشركه». [رواه مسلم].

* ويكفي في خطورة الرياء: أن النبي ﷺ خافه على أصحابه وأمته، حيث خرج عليهم وهم يتذاكرون المسيح الدجَّال، فقال: «ألا أخبركم بما هو أخوف عليكم عندي من المسيح الدجَّال؟!» قالوا: بلى. فقال: «الشرك الخفي، أن يقوم الرجل يُصَلِّي، فيُزَيِّنُ صلاته، لِمَا يرى من نظر الرجل». [رواه ابن ماجه، وأحمد في مسنده، والحاكم، وحسَّنهُ الشيخ الألباني في صحيح الترغيب والترهيب (٣٠)].

الرياء فضيحة في الدنيا، خسارة في الآخرة:

ولا يتوقف خطر الرياء عند هذا الحد فقط؛ بل يُضاعَفُ لصاحبه العذاب يوم القيامة، ويُحشَر مع المنافقين، ويُفتَضَحُ أمره على رءوس الأشهاد يوم القيامة، وتُرَدُّ عليه أعماله الصالحة، ويكون أول من تُسعَّر بهم النار، ويفضحه الله -تعالى- في الدنيا، من باب معاملة المُرائي

بنقيض قصده، بل قد يَسْخَطُ الناس على هذا المُرائي، من باب أنَّ الجزاء من جنس العمل، كذلك فإن المرائي يُصاب بالفقر، والخوف، والغم، وضيق الصدر، وظُلمَة القلب.

اعراض الرياء :

❋ المرائي إنسان معروف في: وجهه وحركاته، وفي مِشيَتِهِ وسَكَنَاتِهِ، فهي كلها تُخبِر عنه، وتُنبئ الناس عن صفاته؛ فعن عُثمان ﷺ قال: **«ما أسرَّ أحدٌ سريرة إلا أظهرها الله ﷻ على صفحات وجهه، وفلتات لسانه»**.

❋ وعلى الرغم من ذلك فإن المُرائي -في الغالب- لا يعرف نفسه، ويظنُّ أنه من المُخلِصين الناجين، والمسكين في بحر الرياء غارق.

وهذه أهم الأعراض لهذا المرض العضال:

- التكاسل في أداء العبادات، ونقص الهمة في الطاعات.
- الكذب. ➤ امتطاء الأماني، ومُعاقرة التسويف.
- المَنُّ في الصدقات.
- الإعجاب بالعمل، نتيجة لكثرة مديح المُتقرِّبين، وإطراء المُتملِّقين.

- الحزن على النقص في الدنيا، وعدم المبالاة في عمل الآخرة.
- حب لذة الحمد والثناء من الناس، والفرار من ذمهم.
- الحرص على ما يُظهِر المرء في الأقوال، والأفعال، والأحوال، بل والمأكل، والملبس، حتى المِشيَة.

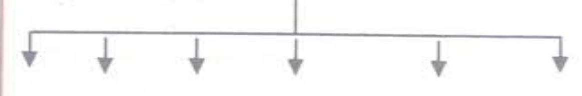
كيف تنجو من الرياء؟!

عن طريق

أسباب علمية — أسباب عملية

الأسباب العلمية :

➤ **معرفة معنى الإخلاص:** وهو تنقية العمل من الشوائب ومنها:



كسب القلب — حظ النفس — الرياء والسمعة — مدح وثناء — الرئاسة — والزعامة والنصب

فإذا أخلص العبد انقطعت عنه الوساوس وزال عنه الرياء..

➢ **التفكر في مآل العبد**، وأنه ميتٌ -لا محالة-، وأنه سيُبعث للحساب على أعماله؛ صغيرها وكبيرها، دقيقها وجليلها.

➢ **التفكر في الجنة والنار**، وقراءة وصفهما، والعمل الجاد الدءوب للظفر بالجنة.

➢ **القراءة في سير الصحابة والتابعين**، والاطلاع على أقوالهم وأخبارهم -خاصةً- في هذا الباب(*).

✍ الأسباب العملية:

➢ الإسرار بالطاعات، إلا إذا كان هناك مصلحة راجحة في الجهر بالطاعات، كأن تكون رأسًا يُقتَدَى بكَ، وبأفعالك وأقوالك.

➢ إتقان العمل في السريرة، كإتقانه في العلانية.

➢ إذا أظهر الله عملك، فلا ترى لنفسك حقًّا، ولا تعرف لها فضلاً، بل قُل: **هذا مَحْضُ فضل الله عليَّ**.

(*) أنصح -أخي القارئ- بمراجعة كتاب «تعطير الأنفاس بذكر حديث الإخلاص» لشيخنا بقية السلف د/ سيد العفاني، وكذلك أنصح بقراءة كتاب «دبيب النمل» لصاحبنا المفضال/ محمد بن زين العابدين -وفقه الله-، ولا بأس بمراجعة كتاب مقاصد المكلفين د عمر سليمان الأشقر -.

➢ المجاهدة لدفع خواطر الرياء.

➢ العُزلَة عن الناس -إن كان لا بد منها-، وكما قال **الفُضيل بن عِياض** -رحمه الله تعالى-: (من استوحش من الوحدة، واستأنس بالناس، لم يسلم من الرياء)، **وقال ابن محيريز** - رحمه الله -: (إن استطعتَ أن تَعرِف ولا تُعرَف، وتَسأل ولا تُسأل، وتَمشي ولا يُمشَى إليكَ، فافعل).

وأخيرًا: كن الجندي المجهول، الذي لا همَّ له سوى رضا ربّه ﷻ، واجعل لكَ رصيدًا وفيرًا من الأعمال المخبوءة، التي لا يعلمها أحد من الخلق مهما كان، واجتهد فى سؤال الله -تعالى- أن يتقبل منك هذه الأعمال.

قد تقول: لقد اختلطت عليَّ الأمور، فما هو الفارق إذن بين الشرك الأكبر والشرك الأصغر؟!

يُجيبك الشيخ السلمان في **«الكواشف الجلية عن معاني العقيدة الواسطية»** (ص٣٢٢)، فيقول:

الفرق بين الشرك الأكبر، والأصغر:

	الشرك الأكبر	الشرك الأصغر
أولًا:	لا يُغفَر لصاحبه	صاحبه رهن المشيئة
ثانيًا:	مُحبِط للأعمال	لا يُحبِط إلا العمل الذي قارنه
ثالثًا:	مُخرِج عن ملة الإسلام	لا يُخرِج من الملَّة
رابعًا:	خالد مُخلَّد في نار جهنم	كغيره من الذنوب والمعاصي



قد يقول قائل: إنك تبالغ كثيرًا فيما ذكرت، ثمَّ إنني لم أسمع بهذا الكلام من قبل، وعلى فرض صحة كلامك الذي ذكرته آنِفًا، فإن لازم هذا الكلام أنَّكَ تحكم على جميع الخلق بالشرك والكفر؟!

والجواب: أنا لا أبالغ أبدًا فيما ذكرتُ، ولكن -ولشديد الأسف- هذه هي الحقيقة المُرَّة؛ -خاصة- وأن كثيرًا من الناس تبدَّلَت لديه المفاهيم، وتغيرت عنده المعايير، حتى صار الشرك عند هؤلاء توحيدًا، والتوحيد شركًا -عِياذًا بالله-.

فكانت النتيجة الخطيرة: أن ظهر الشرك بكل أنواعه، وصوره، وأشكاله، بات يَنخر بكل قوة في جسد هذه الأمة، وإلى الله المُشتكى!!

.. ثم اعلم أخي الكريم أن كثيرًا من آبائنا، وأجدادنا وقعوا في بعض الأفعال والأقوال الشركية؛ جهلًا منهم بحكمها، وعاقبتها، بل أكثر هؤلاء كانوا ولا زالوا يتقرَّبون إلى الله بهذه الأفعال البدعية، والعبادات الشركية، اتِّباعًا منهم للعلماء المُضِلِّين، والمُفتين المُزورين، فهم

لم يقصدوا فعل المُحدَثات والبدع، ولم يتعمدوا الوقوع في الشركيات؛ **لهذا نقول: ليس كل مَن تُلبس بفعل من أفعال الشرك يكون مُشرِكًا، وليس كل من وقع منه فعل من أفعال الكفر يكون كافرًا، إلا إذا استوفى جميع الشروط، وانتفت عنه الموانع.**

أمَّا عن قولك: (إننا نحكم على جميع الخلق بالكفر والشرك)، **فنردُّ بكل ثقة قائلين:** لا، ليس هذا هو منهجنا ببساطة شديدة؛ لأن هذا يخالف عقيدتنا -**نحن أهل السنة والجماعة-، إذ أننا لا نكفر أحدًا من أهل القبلة بذنب ما لم يستحله..**

ولكنها الحقيقة التي لا مراء فيها ولا كذب: أن أكثر المسلمين جَهِلوا حقيقة التوحيد، وخطورة الشرك، فلذلك تراهم ينقضون مقتضيات التوحيد في كلِّ وقتٍ وحين، دون علم أو قصد، شأنهم في هذا كما قال تعالى: **﴿وَمَا يُؤْمِنُ أَكْثَرُهُمْ بِاللهِ إِلاَّ وَهُم مُّشْرِكُونَ﴾** [يوسف:١٠٦].

بل لا أكون مبالغا إن قلت: إن كثيرًا من جماهير المسلمين لا يعرف معنى «**كلمة التوحيد**»، ولا شروطها، ولا أقول هذا من عند نفسي، أو رَجمًا بالغيب، فلقد استوقفت غير واحد من شباب المسلمين

ممن يدرسون دراسة نظامية في الجامعات والمعاهد العلمية، **فوجَّهتُ إليهم هذا السؤال: ما هي الكلمة التي تُدخِل العبد الجنة، وتُنجيه من النار؟! فأجابوا قائلين: كلمة التوحيد، فلما قلتُ لهم: ما معنى هذه الكلمة، وما هي شروطها، وما هي مقتضياتها؟!** ارتدَّ إليَّ بصري خاسئًا وهو حسير؛ حيث إنهم نظروا إليَّ نظرة دهشة وتعجُّب، وكأنهم يستمعون إلى هذا السؤال لأول مرة، ولا حول ولا قوة إلا بالله العليِّ العظيم!!!

❋ **لهذا أنصحك أخي الكريم فأقول:** لا يغُرَّنَّك كثرة الهالكين، ولا قلة السالكين؛ ولكن اتَّبع الحق بدليله من الكتاب، وصحيح السنة النبوية، واعلم أن الحقَّ لا يُعرَف بالرجال، ولكن اعرف الحق تعرف أهله.

❋ **ثم احرص -أخي المكرم-** أن تتعلم عقيدة التوحيد الصافية الصحيحة، من علماء أهل السنة، ممن عُرِفوا بصحة المُعتقَد، وسلامة المنهج.

❋ **واجتهد في تحقيق التوحيد،** وتكميل الإيمان، ليس باجتناب الشرك الأكبر فحسب، بل باجتناب كل ما يُخلُّ أو يَقدَح في كمال التوحيد.

هدانا الله وإياك إلى الحق الذي يرضيه...

ثالثا

كن لنبيك وصحبه الكرام متبعا



➢ من المعلوم جلياً للقاصي والداني أنه لا يُعبد إلا الله، ولا يُتدين له، إلا بالشرع الذى بلّغه رسوله محمد ﷺ، فيُعبد الله تعالى بما شَرَعَ لا بالأهواء والبدع.

➢ ولا شك أن هذا الأصل خطير الشأن، عظيم التأثير فى سير العبد إلى مولاه، وحرصه على الترقى، وصبره لنيل التزكى، وهذا يحتاج بعد معونة الله للعبد إلى عقل بصير ونسك مبين.

معنى الاتباع

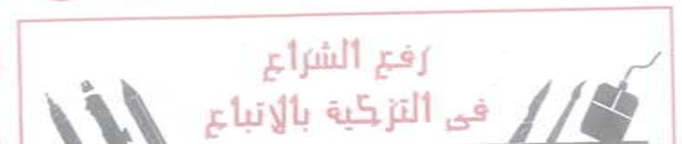
➢ وقبل أن يتمادى بنا الحديث حول هذا الأصل، أذكر لك -أخى الكريم- ما تيسر من بعض التعريفات اللازمة لهذه الكلمة الشريفة...

➢ قال ابن فارس: تَبِعَ: التاء، والباء والعين أصلٌ واحد لا يشذ عنه

من الباب شئ وهو التُّلُوُّ، يقال: تبعت فلانا إذا تلوته واتبعته. (معجم مقاييس اللغة «١/ ٣٦٢»).

➢ والإتباع فى الأصل: اقتفاء أثر الماشى، ثم استعمل فى العمل بمثل عمل الغير كما فى قوله تعالى ﴿وَالَّذِينَ اتَّبَعُوهُم بِإِحْسَانٍ﴾ [التوبة: ١٠٠]، ثم استعمل فى امتثال الأمر، والعمل بما يأمر به المتبوع فهو الائتمار.. [نقلاً عن التحرير والتنوير للطاهر بن عاشور ٧/ ٤٢٣]

➢ وحاصل الكلام فى الاتباع: هو إتباع السالك إلى الله تعالى كتاب ربه وسنة نبيه، واقتفاء أثر الصحابة -ﷺ- وعدم الخروج عن سبيلهم.. [نقلاً عن مجلة الهدى النبوى العدد (٧٧) الشهرى رجب وشعبان سنة ١٤٢٨ مقال التزكية طريقنا لنصرة هذا الدين الحلقة رقم (١٢)]



➢ قد تقول: ولماذا نتبع النبى ﷺ ؟!

والجواب:

(١) لأن الله أوجب طاعته ﷺ فى حياته وبعد مماته.

(٢) لأن طاعة الرسول طاعة لله -تعالى-.

(٣) لأن معصية الرسول معصية لله تعالى.

(٤) لأن اتباع النبى هو الميزان الصادق لكل من ادعى الإيمان والإخلاص والمحبة.

(٥) لأن النبى أمر باتباعه

(٦) لأن النبى هو أسوة كل مؤمن.

(٧) لأن اتباع النبى هداية للمتبع فى دينه ودنياه وأخراه

والحقيقة أن الأدلة القرآنية والنبوية للدلالة على هذا الأصل

المبارك كثيرة، ولولا المقام وخشية الإطالة لاستوفيت ذكر الأدلة على هذا الأصل العظيم..

ففى كتاب الله:

➢ يقول تعالى: ﴿اتَّبِعُواْ مَا أُنزِلَ إِلَيْكُم مِّن رَّبِّكُمْ وَلاَ تَتَّبِعُواْ مِن دُونِهِ أَوْلِيَاء قَلِيلاً مَّا تَذَكَّرُونَ﴾[الأعراف: ٣].

➢ ويقول تعالى:

﴿فَمَنِ اتَّبَعَ هُدَايَ فَلَا يَضِلُّ وَلَا يَشْقَى {١٢٣} وَمَنْ أَعْرَضَ عَن ذِكْرِي فَإِنَّ لَهُ مَعِيشَةً ضَنكًا﴾[طه: ١٢٣]

➢ ويقول تعالى: ﴿قُلْ إِن كُنتُمْ تُحِبُّونَ اللّهَ فَاتَّبِعُونِي يُحْبِبْكُمُ اللّهُ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ وَاللّهُ غَفُورٌ رَّحِيمٌ﴾[آل عمران: ٣١].

➢ ويقول الله تعالى: ﴿فَلاَ وَرَبِّكَ لاَ يُؤْمِنُونَ حَتَّىَ يُحَكِّمُوكَ فِيمَا شَجَرَ بَيْنَهُمْ ثُمَّ لاَ يَجِدُواْ فِي أَنفُسِهِمْ حَرَجًا مِّمَّا قَضَيْتَ وَيُسَلِّمُواْ تَسْلِيمًا﴾، [النساء: ٦٥].

ومن أدلة السنة النبوية الصحيحة على هذا الأصل المبارك :-

* قوله ﷺ «ذرونى ما تركتكم فإنما أهلك الذين من قبلكم كثرة سؤالهم واختلافهم على أنبيائهم، فإذا أمرتكم بشئ فأتوا منه ما استطعتم، وإذا نهيتكم عن شئ فدعوه» [رواه مسلم].

* وقال ﷺ:«كل أمتى يدخلون الجنة إلا من أبى، قالوا يا رسول الله ومن يأبى؟! قال: من أطاعنى دخل الجنة ومن عصانى فقد أبى» [رواه البخارى (٧٢٨٠)].

* وعن العرباض بن ساريه رضي الله عنه قال: صلى بنا رسول الله ﷺ ذات يوم، ثم أقبل علينا فوعظنا موعظة بليغة، ذرفت منها العيون، ووجلت منها القلوب، فقال قائل: يا رسول الله كأن هذه موعظة مودع، فماذا تعهد إلينا فقال:«أوصيكم بتقوى الله والسمع والطاعة وإن عبداً حبشيا فإنه من يعش منكم فسيرى اختلافا كثيرا، فعليكم بسنتى وسنة الخلفاء الراشدين المهديين تمسكوا بها، وعضوا عليها بالنواجذ، وإياكم ومحدثات الأمور، فإن كل محدثة بدعة، وكل بدعة ضلالة..» [رواه أحمد (٤/١٢٦/١٢٧) وأبو داود

(٤٦٠٧) واللفظ له، والترمذى (٢٦٧٦)، وابن ماجة (٤٢) وهو حديث صحيح].

* والواقع أن الصحابة الكرام والسلف العظام [وهم أرجح منا عقولا، وأعظم منا فهما] كانوا أشد الناس إتباعا لكتاب الله وسنة رسوله المصطفى، لذا فقد أثنى الله -تعالى- عليهم بقوله: ﴿وَالسَّابِقُونَ الأَوَّلُونَ مِنَ الْمُهَاجِرِينَ وَالأَنصَارِ وَالَّذِينَ اتَّبَعُوهُم بِإِحْسَانٍ رَّضِيَ اللّهُ عَنْهُمْ وَرَضُواْ عَنْهُ وَأَعَدَّ لَهُمْ جَنَّاتٍ تَجْرِي تَحْتَهَا الأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا أَبَدًا ذَلِكَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ﴾ [التوبة: ١٠٠].

* قال عبد الله بن مسعود رضي الله عنه: (إنا نقتدى ولا نبتدى، ونتبع ولا نبتدع، ولن نضل ما تمسكنا بالأمر..)

لهذا نقول من كان متأسيا فليتأس بأصحاب محمد ﷺ، فإنهم كانوا أبر هذه الأمة قلوبا، وأعمقهم علما، وأقلها تكلفا، وأقومهم هديا، وأحسنهم حالا، قوما اختارهم الله لصحبة نبيه ﷺ فاعرفوا لهم فضلهم، واتبعوهم فى آثارهم فإنهم كانوا على الهدى المستقيم [رواه ابن عبد البر فى جامع بيان العلم وفضله (١٨١٠)].

واعلم أن اتباع الصحابة أمر واجب. يقول الشاطبى: وحاصل الأمر أن الصحابة كانوا مقتدين به ﷺ مهتدين بهديه، وقد جاء مدحهم فى القرآن الكريم، وأثنى عليهم متبوعهم محمد ﷺ، وإنما كان خلقه القرآن ﷺ، فالقرآن إذا هو المتبوع على الحقيقة، وجاءت السنة بذلك، فكل من اقتدى بهم فهو من الفرقة الناجية الداخلة الجنة بفضل الله.... [راجع الاعتصام ٣/ ٢٧٦].

❋ **وقال الإمام أحمد بن حنبل -رحمه الله-:** «أصول السنة عندنا التمسك بما كان عليه أصحاب رسول الله، والاقتداء بهم وترك البدع وكل بدعة ضلالة، وترك الخصومات والجلوس لأصحاب الأهواء»... [أصول السنة رواية ابن مالك العطار ص ٢٥]

❋ **وقال البربهارى -رحمه الله-:** «واعلم -رحمك الله- أنه لا يتم إسلام عبد حتى يكون متبعا مصدقا مسلما فمن زعم أنه قد بقى شيء من أمر الإسلام لم يكفوناه أصحاب رسول الله ﷺ فقد كذبهم، وكفى بهذا فرقة وطعنا عليهم، وهو مبتدع ضال مضل، محدث فى الإسلام ما ليس منه..» [راجع شرح السنة ص ٢٨].

تحذير إلهي

ولقد حذر ربنا تبارك وتعالى عباده من مخالفة سبيل نبيه ﷺ وسبيل أصحابه رضي الله عنهم فقال: ﴿وَمَن يُشَاقِقِ الرَّسُولَ مِن بَعْدِ مَا تَبَيَّنَ لَهُ الْهُدَى وَيَتَّبِعْ غَيْرَ سَبِيلِ الْمُؤْمِنِينَ نُوَلِّهِ مَا تَوَلَّى وَنُصْلِهِ جَهَنَّمَ وَسَاءَتْ مَصِيرًا﴾ [النساء: ١١٥].

اتباع الصحابة الكرام واجب

إن اتباع الصحابة الكرام ليس نافلة، بل هو أمرٌ ضرورى ولازم لكل عبد منيب سالك إلى الله، ومن تدبر أحوال هؤلاء الكرام عَلِمَ يقينا قدر هؤلاء الفضلاء، وإليك أخى الكريم هذه الأمثلة المباركة: -**قال أمية بن عبد الله بن خالد بن أسيد لابن عمر:** إنا نجد صلاة الحضر وصلاة خوف فى القرآن، ولا نجد صلاة السفر فى القرآن، **فقال له ابن عمر:** ابن أخى إن الله بعث إلينا محمدا ﷺ ولا نعلم شيئا فإنما نفعل كما رأينا محمدا ﷺ يفعل [رواه أحمد (٢/ ٩٤) وإسناده جيد].

وقف مشدوها وأنت تقرأ هذه الرواية التي يرويها لك ولده سالم وهو يحدث عنه أنه قال: سمعت رسول الله يقول «لا تمنعوا إماء الله مساجد الله إذا استأذنكم إليها...» قال: فقال بلال بن عبد الله: والله لنمنعهن، قال سالم: فأقبل عليه عبد الله فسبَّه سبا سيئا، ما سمعته سبه مثله قط، وقال أخبرك عن رسول الله وتقول: والله لنمنعهن... [رواه مسلم (٤٤٢،١٣٥)].

وانظر إلى اتباع ابن عمر رضي الله عنه لرسولنا ﷺ: فعن ابن شهاب أن سالم بن عبد الله حدثه انه سمع رجلا من أهل الشام يسأل ابن عمر عن التمتع بالعمرة إلى الحج، فقال ابن عمر: هي حلال، فقال الشامي: إن أباك قد نهى عنها، فقال ابن عمر: أرأيت إن كان أبي قد نهى عنها وصنعها رسول الله أَأَمْرُ أبي نتبع أم أمر رسول الله؟! قال الرجل: بل أمر رسول الله ﷺ [رواه الترمذي (٨٢٣)].

فانظر أخي الكريم:

إلى مثل هذه الآثار لترى البون الشاسع بيننا وبينهم في العلم والعمل،
رضى الله عنهم أجمعين ،
ورزقنا اقتفاء أثرهم والسير على هديهم .



رابعا :

كن بأوامر الله عالمًا



قال الإمام ابن القيم -رحمه الله- في «طريق الهجرتين، وباب السعادتين (ص١٧٤، ١٧٥)»: (إن السائر إلى الله والدار الآخرة لا يُتمُّ سيره، ولا يصل إلى مقصوده إلا بقوتين:

- قوة علمية.
- وقوة عملية.

ثم قال -رحمه الله-: (فبالقوة العلمية يُبصر منازل الطريق، ومواضع السلوك، فيقصدها سائرًا فيها، ويجتنب أسباب الهلاك، ومواضع العطب، وطرق المهالك المنحرفة عن الطريق الموصِّل).

❋ فقوته العلمية كنور عظيم بيده، يمشي في ليلة عظيمة مظلمة شديدة الظلمة، فهو يُبصِر بذلك النور ما يقع الماشي في الظُّلمة في مثله؛ من الوهاد والمتالف، وما يَعْثُر به؛ من الأحجار، والشوك، وغيره، ويُبصِر بذلك النور أيضًا: أعلام الطريق، وأدلتها المنصوبة عليها، فلا يضلُّ عنها، فيكشف له النور عن أمرين: «أعلام



الطريق»، و«معاطبها»).

❋ لذا فإن العبد المؤمن المنيب يجب أن يتقرب إلى ربه، على الوجه الذي ارتضاه له سيده ومولاه، ولن يصل إلى ذلك إلا عن طريق تعلُّم العلم النافع؛ لأن عبادة بلا علم توقع صاحبها في البدع، وما وقع المُبتَدِعة فيما وقعوا فيه إلا عن جهلٍ -غالبًا-، إذ أنه مَنْ عَبَدَ اللهَ على جهلٍ فكأنما عصاه.



لماذا نطلب العلم؟!

ثم إننا نطلب العلم الشرعي، ونتعلم ديننا الصحيح؛ لأسباب كثيرة، منها:

(١) أن طلب العلم الشرعي له فضل عظيم: حيث تكاثرت الآيات في القرآن، وكذا تواترت الأحاديث، والأخبار، والآثار، وتطابقت الدلائل الصريحة، وتوافقت، على فضيلة العلم، والحث على تحصيله، والاجتهاد في اقتباسه وتعليمه، **ومن الأدلة على ذلك:**

⇦ قول الله جلَّ ذِكره: ﴿قُلْ هَلْ يَسْتَوِي الَّذِينَ يَعْلَمُونَ وَالَّذِينَ لَا يَعْلَمُونَ﴾ [الزمر:٩]، (وهذا الاستفهام بمعنى النفي، أي: لا يستوي الذين يعلمون، والذين لا يعلمون، والمراد بالعلم هنا: هو العلم الشرعي).

⇦ **ومن فضل العلم وبركته:** أن الله ﷻ أخبر أن العلماء هم أكثر الخلق خشيةً من الله، ورهبةً منه؛ قال تعالى: ﴿إِنَّمَا يَخْشَى اللَّهَ مِنْ عِبَادِهِ الْعُلَمَاءُ إِنَّ اللَّهَ عَزِيزٌ غَفُورٌ﴾ [فاطر:٢٨]، ولا شكَّ أن خشية الله

تورث الجنة، إذن فالجنة لأهل الخشية، وعلى رأسهم العلماء الربانيين.

⇦ **ومن فضل العلم:** أن الله ﷻ ذكر في كتابه أن من أسباب رفع الإنسان: الإيمان والعلم؛ كما في قوله تعالى: ﴿يَرْفَعِ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا مِنكُمْ وَالَّذِينَ أُوتُوا الْعِلْمَ دَرَجَاتٍ وَاللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ﴾ [المجادلة:١١].

⇦ **ومن فضل العلم:** أن النبي ﷺ أمر بطلبه؛ حيث قال ﷺ: «من يُرِدِ الله به خيرًا يُفَقِّهه في الدين». [متفق عليه]، وقال ﷺ: «فضل العلم خير من فضل العبادة، وملاك دينكم الورع». [أخرجه الطبراني في المعجم الكبير، وصححه شيخنا الألباني في صحيح الترغيب والترهيب (٦٦)].

٢) أننا نتعلم العلم طاعة لله ﷻ؛ حيث أمر -سبحانه- بالعلم قبل القول والعمل؛ لهذا تجد أن من فقه الإمام البخاري -رحمه الله- أنه بوَّب بابًا في صحيحه، في كتاب العلم، وترجم له بعنوان: (باب العلم قبل القول والعمل)، واستدلَّ فيه بقوله تعالى: ﴿فَاعْلَمْ أَنَّهُ لَا إِلَٰهَ إِلَّا اللَّهُ وَاسْتَغْفِرْ لِذَنبِكَ﴾ [محمد:١٩].

قال ابن حجر تعليقاً على هذا الباب: قال ابن المنير: أراد أن العلم شرط في صحة القول والعمل، فلا يعتبران إلا به، فهو مُتَقَدِّمٌ عليهما؛ لأنه مُصحِّح للنية المُصحِحة للعمل. [الفتح (١/ ٢٠١)].

٣) نتعلم العلم؛ لأن العلم وسيلة لتحقيق أعظم الغايات، وهي رضا الله، والجنة.

٤) نتعلم العلم؛ اتباعًا لأسلافنا الصالحين: حيث إنَّ أسلافنا الصالحين -رحمهم الله تعالى أجمعين- كانوا حريصين على طلب العلم النافع:

فهذا الإمام الشافعيّ -رحمه الله- يقول:

(من تعلَّم القرآن عَظُمَتْ قيمته، ومن نظر في الفقه نبل قدره، ومن نظر في اللغة رقَّ طبعه، ومن نظر في الحساب جَزُل رأيه، ومن كتب الحديث قويت حجته، ومن لم يصن نفسه لم ينفعه علمه).

ثم قال -رحمه الله-: (ومن لا يحب العلم لا خير فيه، فلا يكن بينك وبينه معرفة ولا صداقة).

٥) لأن العلم هو المرقاة الصاعدة بأهلها إلى سماء المجد، والنور الباسط بأجنحته فوق آفاق الدهر، والعروة الوثقى التي لا يضلُّ من استمسك بها، وقد مدَّت البدع أعناقها، ولبَّس علماء السوء على العَوَامِّ حقائق دينهم، فصارت البدعة سنة، والسنة بدعة؛ لأجل هذا تظهر الأهمية العظمى للعلم النافع.

٦) لأن العلم هو الفرقان الذي يميز الخبيث من الطيب، والحق من الباطل: فالملتزم الجاهل، والداعية الجاهل ضالٌّ في نفسه، مُضلٌّ لغيره، ضرره أكثر من نفعه، وما يُفسده أعظم مما يصلحه -غالبا-؛ لأن الناس تنظر إلى هذا الداعية أو الأخ المُلتَزِم بعين الإجلال والاحترام، وتَتَّخِذ فعله وقوله وحاله قدوة يقتدون بها، وبعض الناس يُغالي، فيتَّخِذ من أفعال بعض الملتزمين دينًا يتقرب به إلى الله، فتراه يُحاكي هذا الفعل مباشرة دون أدنى تردد.

٧) لأن العلم النافع الصحيح هو الذي ينضج الفكر ويصقله: والفكر إذا صحَّ ظهر في السلوك القويم، والعلم والتعليم؛ لأن السلوك مرآة الفهم.

٨) لأن العلم من أهم الوسائل المثبتة على الحق في زمان الفتن: خاصةً عندما تكثر فتن الشبهات، ويقل العلم والعلماء، ولعل هذا أمرٌ ملحوظٌ، خاصةً بعد ظهور الأفكار الضالة، وانتشار الغثاء الفكري، والتناقض في الآراء والمناهج على شاشات الفضائيات، وعلى شبكة الإنترنت، مما يجعل المسلم العامي في حيرة واضطراب، حتى وصل الأمر ببعضهم أن يقول شاكًا متحيرًا: «من أُصَدِّق، ومن أُكَذِّب؟!».

٩) إن طلب العلم الشرعي يملأ على الشاب وقته: فلا ينصرف ذهنه إلى الشهوات والمعاصي، ولا يجد فراغًا في وقته يمكن أن يدفعه إلى الإثم.

١٠) نطلب العلم الشرعي؛ لأن العلم من المصالح الضرورية التي تقوم عليها حياة الأمة: بمجموعها، وآحادها، فلا يستقيم نظام الحياة مع الإخلال بها، بحيث لو فاتت تلك المصالح الضرورية لآلَ حال الأمة إلى الفساد، ولحادت عن الطريق الذي أراده لها الشارع.

١١) وأخيرًا.. فنحن نتعلم العلم فرارًا من عار الجهل؛ لأن الأمة التي ترضى بالجهل، وتتقاعس عن العلم، وتنصرف عن العناية به وبأهله، لَخَليقة بأن تدفع الثمن غاليًا، والضريبة مُضاعفة، ومما يؤكد صدق هذا الكلام: أنه قد شَهِدَتْ السنن الربانية، وسَطَّر التاريخ، ونطق الواقع، بأن للجهل آثارًا ضخمة وخيمة على الأمة؛ سواء على المستوى الفردي، أو على مستوى المجتمع، **ومن أبرزها(*):**

(*) لمعرفة آثار الجهل، ومدى خطورته على الفرد والجماعة يمكنك مراجعة بحث «ذم الجهل» للشيخ د./ محمد سعيد رسلان -جزاه الله خيرًا-.

أ- ضعف الإيمان، وقلة التقوى؛ لأن الجاهل لا يدري ماذا يتقي؟، ولا يعلم ماهو الطريق الذى يؤدى إلى نجاته؟! والسبب الرئيسى فى ذلك هو فقد البصيرة.

ب- ازدياد نسبة المعاصي، وانتشار الكثير من الفواحش والفتن.

ج- الجهل يؤدي إلى ضعف الهيبة أمام الأعداء.

د- الجهل يؤدي إلى انتشار المذاهب الهدَّامة، والنِّحَل الباطلة، وما حدث ذلك إلا لأنها وجدت قلوبًا خالية، وعقولًا خاوية؛ فتمكنت منها، لأن الألباب والعقول التي لا تتحصَّن بالله تعالى ثم بالعلم الشرعي تكون عُرضة للانخداع بالضلالات، والوقوع في الانحرافات.

هـ- انتشار الخمول والكسل، وضعف الهمم، والقصور عن إدراك المعاصي، **وصدق القائل حين قال:**

ومن يتهيبْ صعود الجبال ... يَعِشْ أبد الدهر بين الحفر



العلم النافع.. ما هو؟!

قد تقول: جزاكَ الله خيرًا، لقد اقتنعت بأهمية طلب العلم، ولكن أيّ علم هذا الذي يستفيد به صاحبه؟!

والجواب: العلم الذي يستفيد به صاحبه، وينفع به نفسه وغيره من الناس، هو: العلمُ الشرعيُّ المنهجيّ، القائم على دراسة الوحيين الشريفين: (الكتاب، وصحيح السنة)، على فهم السلف الأوائل.. هذا **هو العلم المُرَغَّبُ فيه، جملةً وتفصيلًا.**

* واعلم -أخي الكريم- أنه لا نفع، ولا بركة لعلم لا يقوم أصله على الكتاب والسنة، بفهم سلف الأمة.

* **لذا أوصيك -أخي الحبيب-** أن تصرف همك وهِمَّتك في تعلُّم أمور دينك، وأن تسلك سبيل أسلافك في المُعتَقَد، والفهم، والعمل، والسلوك.

* **وإياك ثم إياك** أن تضيع زهرة عمرك في مُطالعةِ كتبِ الفلاسفةِ، والملاحدة، وأهل البدع الزنادقة؛ ولكن احرص على حفظ المتون العلمية، ودراسة الكتب الشرعية على أيدي العلماء الراسخين من أهل السنة والجماعة.





حكم تعلُّم العلم الشرعي



قد تقول: وهل يجب عليَّ أن أتعلَّم ديني؟!

والجواب: العلم الشرعي من حيث الحكم ثلاثة أقسام:

أولها: فرض عين: وهو تعلُّم المُكَلَّف ما لا يتأدَّى الواجب الذي يتعين عليه فعله إلا به: كأركان الإسلام، فيجب عليكَ أن تتعلم «كيف تتطهر من الحدث الأكبر؟!، وكيف تتوضأ للصلاة؟!، وكيف تصلي صلاة صحيحة؟!، وكيف تُزَكِّي؟!، وكيف تصوم؟!».

ثانيها: فرض كفاية: وهو تحصيل ما لا بد للناس منه في إقامة أمور دينهم ودنياهم، فإذا قام به بعضهم سقط عن الباقين.

ثالثها: المستحب: وهو التبحُّر في أصول الأدلة.

[نقلًا عن: العلم ضرورة شرعية، د/ ناصر العمر (ص ١٣). ط دار الوطن].

من هو العالِم؟!

قد تقول: إذا كان من الواجب علينا أن نتعلم ديننا على أيدي العلماء الراسخين، فهلا وضعت لي ضوابط وقواعد لأتعرف من خلالها على وصف العالم الذي أتلقَّى العلوم الشرعية على يديه؛ خاصةً في هذا الزمان الذي تبدَّلت فيه الموازين، واختلت فيه الأفكار، وأقبل الناس على المسيء، وأعرضوا عن المُحسِن، بل كُمِّمَت أفواه أهل العلم والذكر والقول والبيان، وتعالت أصوات من ليس لهم في عير العلم ولا نفير الفهم، وَوُسِّد الأمر إلى غير أهله، وغاب أهل الحلِّ والعقد عن الأسماع والأنظار، حتى أصبح الواحد في حيرة من أمره، فهو لا يعرف «مَنْ يُصَدِّقُ، ومن يُكَذِّبُ؟!»، ومن هو العالم الذي ينبغي أن يؤخذ منه العلم»؟!.

والجواب: نعم.. إنَّ كلَّ ما ذكرته -أيها الأخ الكريم- واقع مرير، تحياه الأمة؛ لذا فنحن ننادي أمتنا المسلمة أن تأخذ العلم من أهله المتخصصين، ممن لهم اليد الطولَى في تحصيل العلوم الشرعية.

ويؤكد على ذلك الإمام الشاطبيُّ رحمه الله، فيقول: (إنَّ من أنفع طُرُق العلم الموصِّلة إلى غاية التحقق به: أخذه عن أهله المتحققين به على الكمال والتمام). [الموافقات (١/ ٩١)].

إذن- فالأصل في التعلم: هو الدراسة على الشيوخ، وقراءة الكتب على يد العلماء المتحققين المتقنين، فإنهم -بعد عون الله تعالى- عون للطالب على فهم العلوم على وجهها الصحيح.

أما عن الإجابة على سؤال: «من هو العالم؟!» فأقول:

إن الموصوفين بالعلم -ولشديد الأسف- عند عامة الناس على أصناف:

فمن الناس من يظنُّ أن كلَّ رجل يُشار إليه بالبنان - لأنه من البلغاء، أو الفُصَحاء في خطبه ومحاضراته، ونحو ذلك - يقال له: «عالم».

ومن الناس من يتوهَّم أن العلماء هم هؤلاء الساسة الذين يخوضون في الأحداث، يتكلَّمون فيها بما يُسَمُّونه «فقه الواقع»، أو «فقه الجرائد والمجلات»، يفتئتون على الأمراء والحُكَّام والعلماء الصادقين، بلا هدى أو بصيرة.

ومن الناس من يُطلِق لفظ العالم على كل من أطلق لحيته، وقصَّر



ثوبه، وقام ببعض المهامِّ الدعوية.

✍ **ومن الناس** من يُطلِق لفظ العالم على كل من حصَّل شيئًا من سماكة جلدة وجه كتاب.

✍ **ومن الناس** من لا يُفرِّق بين العالم المُجتَهِد، والرجل المُقلِّد، وبين الطالب والعالم، وبين القاضي، والواعظ، فالكل عنده علماء يستفتيهم، ويأخذ عنهم.

✍ **فكان من الواجب أن نحدد المفهوم الصحيح لمن يطلق عليه لفظ العالم**؛ لنقضي بذلك على التنازع والاختلاف والجدل السفسطائي، وهذا من أعظم الطرق لجمع كلمة المسلمين.





✍ **العالم:** هو من يخشى الله تعالى، ويعمل بمقتضى علمه.

✍ **ويُعرَف العالم بأنه:** رجلٌ ربَّانيّ..؛ قال ابن عباس -رضي الله عنهما-: «الربانيُّ هو: الحكيم الفقيه»، وقال مُجاهد: «الربَّانيّ: الفقيه»، وقال مسعود بن مالك أبو رزين الأسدي: «الربَّانيّ: الحكيم العالم»، وقال قتادة: «الربَّانيّ: العالم الجليل».

إذن فالعالم الربَّانيّ: هو العالم الفقيه الحكيم البصير العامل، الذي يدل الخلق على الحق بحق، ويأخذ بأيديهم إلى الجنة -بأقواله وأفعاله-].

✍ **ويُعرَف العالم:** بجده في طلب العلم، واجتهاده في التفقُّه في الدين، والتلقي عن المشايخ، وملازمتهم زمنًا معتبرًا.

✍ **كما يُعرَف العالم** بشيوخه، من هم؟ وكيف هم؟ كذلك فإنه يكون ممن رباه الشيوخ في ذلك العلم؛ لأخذه عنهم، وملازمته لهم،



ثم بشهادتهم له برسوخ قدمه في هذا العلم، أو إجازتهم إياه.

✍ **ويُعرف العالم** بتركه التقليد.

✍ **كما يُعرف العالم** بكبر سنه؛ لأن الشيخ زالت عنه متعة الشباب، وحدَّته، وعجلته، وسفهه، واستصحب التجربة والخبرة.

✍ **ويُعرف العالم** بآثاره: من الإنتاج العلمي، والتصنيف، والدروس، والفتاوى، وكذا تلاميذه، ويُعرف بتميزه، ورسوخ قدمه، في مواطن الشبهات، حين تضل الأفهام، وتتزلزل الأقدام، وبمواقفه العلمية والعملية، وثباته في الفتن والابتلاءات، وأخذه بحظ وافر من الأمر بالمعروف، والنهي عن المنكر.

✍ **ويُعرف العالم** بأنه ممن كملت أهليته، وصحَّت عقيدته، وتحققت ثقته، وظهرت مروءته، كما يُعرف بمحاسن الأخلاق عمومًا.

✍ **ويُعرف العالم** بالعبادة، والتنسُّك، والورَع، والخشوع، كما يُعرف بأنه يوضع له القبول في الأرض.

✍ **وقد عقد ابن عبد البر في كتابه الماتع:** «جامع بيان العلم وفضله» **فصلًا بعنوان:** «من يستحق أن يُسمَّى فقيهًا أو عالمًا حقيقةً لا مجازًا»، **فليراجعه من شاء، ففيه فرائد وفوائد**

✍ فإذا علمت سمات العالم المحقق، فإنك ستدرك من هم العلماء على الحقيقة، ومن الذين يتزيون بزيِّ العلماء زورًا وبهتانًا؟!

وستسقط أمام عينيك أقنعة عن وجوه أناس كانوا يُحسبون عند الناس من أجِلَّة أهل العلم، فإذا هي بادية الصفرة، تضطرب على صفحاتها ذُبالات أفناها الغرور، وأماتها الجهل الفاضح.

✍ **أخيرًا..** فاحذر -عبد الله- أمثال هؤلاء المزورين المضلين، ولا تغُرَّنك -أخي الحبيب- الأسماء اللامعة، ولا المناصب العالية الرفيعة؛ ولكن اتَّبع العلماء الربانيين السلفيين، واسلك سبيلهم، وتدرج على أثرهم، وتتبع فهمهم، فهم زوامل دين رب العالمين، الذين نطق بهم الكتاب، وبه نطقوا، وبهم قامت السنة، وبها قاموا، واحذر الدعاة المضلين، والعلماء المزورين، وأنصاف المتعلمين.

الحذر.. الحذر!!

قد يقول قائل: وما الداعي إلى الذهاب إلى العلماء، ولماذا لا أقرأ الكتب الشرعية وحدي، وأستفيد منها، وأنهل من كنوزها العلمية؟!

والجواب: نقول لمن أراد دراسة العلوم الشرعية وحده: ستضيع عمرك ووقتك هباءً، وستُفسِد أكثر مما تُصلِح، والواقع خير شاهد على صدق ما أقول فما ظهر هذا التمزق الفكري، والتشتت الدعوي، والانقسام الحركي؛ إلا بعد ظهور طلاب الكتب، وتلاميذ الصحف،فأصبحتَ ترى الفهم الأعوج، والفتاوى الشاذة، والتعالم المقيت، والجرأة على العلماء بغير دليل رشيد، ولا فهم سديد.

.. ويرحم الله الشافعي إذ يقول: (من تفقَّه من بطون الكتب ضيَّع الأحكام)، وقال أحد السلف: (من دخل في العلم وحده، خرج منه وحده).

إذن.. فالمسلك الصحيح الرشيد: هو أخذ العلم عن أهله، وهذا من أنفع وأحسن الطرق في طلب العلم.

كيف تتعلم؟!

١-عليك بتقوى الله ﷻ؛ إذ هو القائل -سبحانه-: ﴿وَاتَّقُوا اللَّهَ وَيُعَلِّمُكُمُ اللَّهُ﴾[البقرة:٢٨٢].

٢- يستحب سؤال العبد لربه أن يرزقه العلم النافع؛ فلقد كان نبيك ﷺ يدعو فيقول: «اللهم انفعني بما علمتني، وعلِّمني ما ينفعني، وزدني علمًا». [رواه ابن ماجه والترمذي، وصححه الشيخ الألباني في صحيح ابن ماجه (١/ ٤٧)].

٣-اجتنب جميع المعاصي؛ صغيرها وكبيرها؛ قال ابن مسعود ؓ: «إني لأحسب أن الرجل ينسى العلم يعلمه بالذنب يعمله».

٤- إياك أن تنشغل بالأحاديث والآثار عن كلام رب العالمين بل اجعل الحظ الأكبر والنصيب الأوفر لكتاب ربك تلاوة وحفظًا وتدبرًا وفهمًا، واعلم أن كل ما شغلك عن القرآن فهو شؤم عليك.



٥- **اجتهد في طلب العلم بمنهجية:** عن طريق ملازمة العلماء والشيوخ في المساجد، واعلم أنه لا يهلك العلم حتى يكون سرًّا.

٦- **إن استطعت الالتحاق بمعهد من معاهد إعداد الدعاة، أو بحلقة من الحلقات العلمية فافعل.**

٧- **أكثر من الاطلاع، والقراءات الخاصة المرتبة المنتقاة،** واحرص على الاسترشاد في هذا السبيل بآراء ذوي العلم والرأي من الراسخين في العلم، مع لزوم الحزم في التنفيذ والمتابعة.

٨- **تعلم** كيف تقرأ؟ ولمن تقرأ؟وكيف تنتقي الكتب؟ وكيف تكون مكتبة قيمة؟ وما هي الفروق الدقيقة بين الطبعات؟! ومن هم أفضل المحققين في زماننا؟

٩- **احرص على المحافظة على الأوقات،** وأحسن ترتيبها، واحرص على استغلالها، بحيث تعطي كل ذي حق حقه، بدون غلوٍّ، ولا جفاء.

١٠- **أكثر من الاستماع إلى أشرطة التسجيل،** خاصةً المحاضرات والندوات والدروس العلمية، فهي وسيلة مُعِينة على طلب

العلم، خاصةً لعلمائنا الأجلاء:

كسماحة الشيخ/ ابن باز -رحمه الله-، وفضيلة الشيخ/ ابن عثيمين -رحمه الله-، والشيخ/ الألباني -رحمه الله-، والشيخ/ صالح الفوزان -حفظه الله-، وفضيلة الشيخ/ ابن جبرين -شفاه الله-، والشيخ/ عبد الكريم الخضير -حفظه الله-، وفضيلة الشيخ/ بكر أبو زيد -رحمه الله-،... وغيرهم.

.. واستمع إلى شرائط مشايخنا المبرزين في بلادنا: كشيخنا د/ محمد بن عبد المقصود -حفظه الله-، وشيخنا د/ محمد بن إسماعيل -حفظه الله-، شيخنا د/ سعيد عبد العظيم -حفظه الله تعالى-، وشيخنا محمد صفوت نور الدين، وشيخنا/ أبي إسحاق الحويني -حفظه الله-، وشيخنا/ مصطفى بن العدويّ -حفظه الله-، وشيخنا د/ أحمد فريد -حفظه الله-، وشيخنا/ محمد بن حسان -حفظه الله-، وشيخنا/ وحيد بن عبد السلام بالي -حفظه الله-، وشيخنا/ محمد بن حسين يعقوب -حفظه الله-،.. وغيرهم.

ويمكنك متابعة هذه الأشرطة عبر الشبكة العنكبوتية على المواقع الإسلامية الآتية : (موقع صيد الفوائد ، موقع الدرر السنية، وموقع أنا السلفي، وملتقى أهل الحديث ...) .

١١- احرص على التحلي ببعض صفات طالب العلم

كالإخلاص لله تعالى: بأن تبتغي بعلمك وجه الله والدار الآخرة، والمجاهدة، والصبر، وتحمُّل المشاق، وسعة الصدر، والتواضع في طلب العلم، والإقبال على العلم، والجدّ في تحصيله، والبعد عن الجدال العقيم والمراء بالباطل، كذلك فاحرص على التحلي بالورع والتقوى، وبذل العلم للناس، والجرأة في الحق، والاستمرار في طلب العلم حتى المات، وكذلك يمكنك أن تراجع كتاب: «**شرح حلية طالب العلم**» للشيخ/ ابن عثيمين -رحمه الله-.

١٢- احذر الآفات التي قد تصيب بعض طلاب العلم:

كالغرور، والتعالي، والقول على الله بلا علم، والتحاسد، والتباغض، والحقد، وقد وَضَّحَ الشيخ/ أحمد بن أبي العينين -جزاه الله خيرًا- صاحب كتاب «**سبائك الذهب في كشف آفات الطلب**» هذه الأمور وغيرها بجلاء، فأنصح بمراجعة هذا الكتاب.

١٣- عليك بتوقير العلماء واحترامهم، وحفظ مكانتهم، وعدم تجريحهم، أو انتقاصهم؛ قال الشيخ صالح الفوزان -حفظه الله-: (إن أعزَّ شيء في الأمة هُم العلماء، فلا يجوز أن ننتقصهم، أو

نتهمهم بالجهل، والغباوة، والمداهنة، أو نسميهم علماء سلطة، فإن هذا يحمل في طيَّاته خطرًا عظيمًا على الأمة). [«وجوب التثبُّت في الأخبار، واحترام العلماء» للشيخ/ الفوزان (ص٤٥)]

١٤- احرص على الاهتمام بدراسة الأصول الواجب تعلمها في كل علم، ولا تتفرع منذ البداية، واعلم بأن التفرع عطب.....

١٥- احرص على قراءة كتب المتقدمين والمتأخرين من أهل العلم، ولكن اجعل الأولوية لقراءة كتب السلف الصالح واحذر أن تتعصب لشيخ بعينه، أو لمذهب بعينه، أو لجماعة بعينها.

ماذا أقرأ؟!

قد تقول: لقد وضحتَ لي -ولله الحمد- الطريقة الصحيحة لطلب العلم، ولكن -ولشديد الأسف- تَعُجُّ الأسواق بالكتب؛ فمنها النافع المفيد، ومنها غير ذلك، فهلا قمتَ بذكر الكتب أو المراجع النافعة التي أرجع إليها في بداية طلب العلم، حتى لا أتخبَّط تخبُّطًا عشوائيًّا؟!

والجواب: هذا جدول مُبسَّط، يعينك -بعد الله- على دراسة العلوم الشرعية، دراسة هادفة أصيلة متدرجة متأنية:

المادة	المرحلة الأولى	المرحلة الثانية	المرحلة الثالثة
القرآن الكريم	احفظ خمسة أجزاء مجوَّدًا الآيات، مع دراسة كتاب: «البرهان في تجويد لقرآن» للشيخ/ القمحاوي.	حفظ ١٥ جزء، مع قراءة كتاب «غاية المريد في علم التجويد» للشيخ/ عطية قابل.	إتمام حفظ كتاب الله، مع قراءة كتاب «التبيان في آداب حملة القرآن» للنووي بتحقيق الشيخ/ أحمد بن أبي العينين، وكتاب «أخلاق حملة القرآن» للآجري -رحمه الله تعالى-.

المادة	المرحلة الأولى	المرحلة الثانية	المرحلة الثالثة
التفسير وعلوم القرآن	«أيسر التفاسير» للجزائري، و«زبدة التفسير» أو قراءة «تفسير السعدي» مع قراءة كتاب «مباحث في علوم القرآن» للشيخ/ منّاع قطّان.	«تفسير ابن كثير» المُحَقَّق، مع حفظ «غريب القرآن» مع قراءة «مقدمة في أصول التفسير» لابن تيمية، ولا بأس بمراجعة شرحها للشيخين الفاضلين/ الشيخ/ محمد بن صالح العثيمين، والشيخ د./ عمر بازمول، ثم الإطلاع على رسالة «كيف تتكون ملكة التفسير» للشيخ/ صالح صالح آل الشيخ	تفسير الشنقيطي، قراءة كتب الشيخ د/ مساعد الطيار، ثم تفسير القاسمي، و«نظم الدرر» للبقاعي، ومن بعد ذلك «تفسير الطبري»، مع قراءة كتاب «الإتقان» للسيوطي، «الصحيح المُسنَد من أسباب النزول» للشيخ/ مقبل بن هادي.

المادة	المرحلة الأولى	المرحلة الثانية	المرحلة الثالثة
العقيدة	«شرح ثلاثة الأصول» لمجموعة من أهل العلم [ط. دار الإيمان بالإسكندرية] ، وحفظ «كتاب التوحيد» لابن عبد الوهَّاب -رحمه الله-، مع قراءة كتب الشيخ/ محمد بن جميل زينو، «سلسلة كتب العقيدة» للشيخ/ الأشقر.	حفظ متن درة البيان فى أصول الإيمان، د/ محمد يسرى . «الإرشاد إلى صحيح الاعتقاد» للشيخ/ الفوزان، «شرح الواسطية» لابن عثيمين، «القول المفيد في كتاب التوحيد» لابن عثيمين، «التوسُّل» للألباني، و«فتح المجيد في شرح كتاب التوحيد»، والإطلاع على جميع شروحات الإمام العلامة محمد بن صالح العثيمين -رحمه الله- .	«معارج القبول»، «شرح العقيدة الطحَّاوية»، «الشريعة» للآجُرِّي، «اعتقاد أهل السنة والجماعة» للالكائي، وكتب العقيدة المسندة..مع قراءة كتاب «الفرق بينَ الفِرَق» للبغدادي، «الملل والنِّحَل» للشهرستاني، «التقارب بين السنة والشيعة» للقفاري، «أصول مذهب الشيعة» للقفاري، الصارم المنكي في الرد على السبكي» لابن عبد الهادي، الفكر الصوفي للشيخ/ عبد الرحمن عبد الخالق ثم قراءة المجلدات الخاصة بالاعتقاد من مجموع الفتاوى لشيخ الإسلام -خاصة -المجلد الثالث «مجمل الاعتقاد».

المادة	المرحلة الأولى	المرحلة الثانية	المرحلة الثالثة
الفقه	«الوجيز في فقه السنة والكتاب العزيز» لـ د/ عبد العظيم بدوي، «تيسير العلام شرح عمدة الأحكام» للبسام، و«حفظ رسالة الإجماع» لابن المنذر.	«الروضة الندية» للشيخ/ صِدِّيق حسن خان، ثم «منار السبيل» للضويان، «توضيح الأحكام شرح بلوغ المرام» للشيخ البسام.	«نيل الأوطار» للشوكاني، ثم يقرأ أقوال العلماء والترجيحات والتعليلات في «المُغْنِي»، و«المجموع» للنووي، وبالنسبة للنساء يقرأنَ «جامع أحكام النساء» للشيخ/ مصطفى بن العدوي، «فقه النوازل» للجيزاني، الواضح في أصول الفقه للأشقر، مذكرة أصول الفقه للشنقيطي، شروح الورقات، كتب د/ عبد الكريم النملة – خاصة المهذب في الأصول

المادة	المرحلة الأولى	المرحلة الثانية	المرحلة الثالثة
الحديث الشريف	يحفظ «حصن المسلم»، أو «قَبَسٌ مختار من صحيح الأذكار» للشيخ/ مصطفى بن العدوي، ثم «الأربعين النووية»، ثم «عمدة الأحكام»	يقرأ «رياض الصالحين» بشرح ابن عثيمين، مع قراءة «شرح صحيح مسلم» للنووي -رحمه الله-، ويجتهد في حفظ كتاب «اللؤلؤ والمرجان بما اتفق عليه الشيخان»، ثم اطلع على كتاب «تيسير علوم الحديث للطحان، وشرح ابن عثيمين لمنظومة البيقونية، وأسئلة وأجوبة في المصطلح للشيخ مصطفى بن العدوي	قراءة صحيح البخاري، مع شرحه للحافظ ابن حجر، وقراءة «شرح السنة» للبغوي، فإن كنت ذا همة عالمية فأقبل على قراءة شروحات كتب السنة جميعها لتنتفع بذلك، وتظهر بركة السنة عليك، ثم اطلع على كتاب الباعث الحثيث، تدريب الراوي بتحقيق أبي معاذ/ طارق عوض الله، ثم مقدمة ابن الصلاح. وتعلم التخريج والتحقيق من المتخصصين في هذا الفن، مطلعًا كتب الأئمة سلفا وخلفا خاصة كتب الشيخ الألباني رحمه الله تعالى

المادة	المرحلة الأولى	المرحلة الثانية	المرحلة الثالثة
السيرة	«جوامع السيرة» لابن حزم، ثم اقرأ «وقفات تربوية» للشيخ/ أحمد فريد، حفظ متن «الخلاصة البهية في أحداث السيرة النبوية» للشيخ/ وحيد بالي.	«الرحيق المختوم»، «صحيح السيرة النبوية» لإبراهيم العلي، كتاب «السيرة النبوية» للشيخ/ الصلابي.	«السيرة النبوية» لابن هشام، «الروض الآنف» للسهيلي، «السيرة النبوية الصحيحة» للشيخ/ أكرم العمري، ثم بعد ذلك اجتهد في الاطلاع على «سبل الهدى والرشاد في سيرة خير العباد».

المادة	المرحلة الأولى	المرحلة الثانية	المرحلة الثالثة
الهدي النبوي	«زاد المعاد» لابن القيم، «تقريب الوصول إلى معرفة الرسول» للشيخ/ أحمد فريد.	«مختصر الشمائل المحمدية» للألباني.	«كشف الغمة ببيان خصائص رسول الله والأمة» للشيخ/ أبي الحسن مصطفى بن إسماعيل، وامحمداه. د./ سيد العفاني.

المادة	المرحلة الأولى	المرحلة الثانية	المرحلة الثالثة
البدع والمنكرات، ومبادئ هدامة	«البدعة» للشيخ/ الفوزان، «الإبداع في كمال الشرع وخطر الابتداع» للشيخ/ العثيمين، «الإبداع في مضار الابتداع» للشيخ/ علي محفوظ، «الأخطاء الشائعة» للشيخ/ وحيد بالي.	، ثم قراءة «الباعث على إنكار البدع والحوادث»، و«الاعتصام» للشاطبي، «حقيقة البدعة» للغامدي، «قواعد في معرفة البدع» للجيزاني، «أباطيل وأسمار» للشيخ/ محمود شاكر، العلمانية د/ سفر الحوالي	«مذاهب فكرية في الميزان» د/ علاء بكر، «أساليب الغزو الفكري» علي جريشة، «حصوننا مهددة من الداخل» محمد حسين، «الموسوعة الميسرة في المذاهب والأديان المعاصرة»، ضوابط التبديع. الشيخ/ محمد سعيد رسلان، نظرات شرعية في فكر منحرف. للشيخ/ سليمان بن صالح الخراشي ، خميني العرب حسن نصر والرافضة الشر الذي اقترب د سيد العفاني.

المادة	المرحلة الأولى	المرحلة الثانية	المرحلة الثالثة
الرقائق، وتزكية النفس	«أصول الوصول إلى الله»، «التخلص من رواسب الجاهلية»، «الجدية في الالتزام» كلها للشيخ يعقوب، «البحر الرائق» للشيخ/ أحمد فريد، «معالم السير إلى الله» للشيخ الأسمري.	«الداء والدواء» لابن القيم، «البحار الزاخرة في أسباب المغفرة وترطيب الأفواه بذكر من يظلهم الله، وسكب العبرات، وأعلى النعيم كلها للدكتور/ سيد العفاني، «مفتاح دار السعادة»، و«طريق الهجرتين» كلاهما لابن القيم.	«الأذكار» للنووي، «الزهد» لأحمد بن حنبل، «الأخوة أيها الإخوة» للشيخ/ يعقوب، «زهر البساتين»، و«فرسان النهار» كلاهما لـ د/ سيد العفاني، «فضل الله الصمد» للجيلاني، «مدارج السالكين» لابن القيم، «صلاح الأمة»، و«رهبان الليل»، و«رهبان الليل»، والجزاء من جنس العمل» ثلاثتهم للدكتور/ سيد العفَّاني.

المادة	المرحلة الأولى	المرحلة الثانية	المرحلة الثالثة
الدعوة والفتاوى	«منطلقات طالب العلم» للشيخ/ يعقوب، «الأصول العلمية للدعوة السلفية» للشيخ/ عبد الرحمن بن عبد الخالق.	«أصول الدعوة» د/ عبد الكريم زيدان، «٣٠ طريقة لخدمة الدين» للشيخ/ رضا صمدي، «ضوابط وتوجيهات للصحوة الإسلامية» للشيخ ابن عثيمين، ثم قراءة «فتاوى إسلامية» جمع وترتيب/ محمد المسند، ثم عليك بقراءة رسالة أسئلة وأجوبة حلول السلفية د/ علاء بكر ثلاثة قرون على دعوة الإمام محمد بن عبد الوهاب د. علاء بكر	«لماذا اخترت المنهج السلفي» للشيخ/ سليم الهلاليّ، «مجموع فتاوى ابن باز»، «فتاوى ابن عثيمين»، «مجموع فتاوى ابن تيميَّة». فتاوى اللجنة الدائمة للبحوث العلمية والإفتاء بالمملكة العربية السعودية.

وأحذرك -أخي الحبيب- من الانتقال من كتاب لآخر، حتى تضبط الكتاب الأول، واعلم أن طلب العلم درجات، ومناقب، ورتب، لا ينبغي تعدِّيها، ومن تعدَّاها جملةً فقد تعدَّى سبيل السلف، ومن تعدَّى سبيلهم عامدًا ضلَّ، ومن تعدَّاه مجتهدًا زلَّ.

قد يقول قائل: هذه الكتب كثيرة جدًّا، وأنا لا أستطيع شراءها، فأرجو أن تُحدِّد لي كتبًا سهلة ميسرة ومحددة لأتمكن من اقتنائها؟!

والجواب: أرجو من الأخ الكريم أن يكون مغرمًا بالقراءة حريصًا على شراء الكتب الشرعية؛ لأن حاجتنا إلى العلم أحوج من حاجتنا إلى الطعام والشراب، فإن كنتَ فقيرًا مقدمًا، ولا تستطيع شراء كل هذه الكتب، **فأنا أنصحك باقتناء بعض الكتب والتي ينبغي ألا يخلو منها بيت مسلم، فضلاً أن يكون سالكًا إلى الله -تعالى-:**

✍ **في باب علوم القرآن:** اقتنِ «مباحث في علوم القرآن» للشيخ/ مَنَّاع قَطَّان، «البرهان في تجويد القرآن» للقمحاوي.

✍ **في باب التفسير:** اقتنِ «أيسر التفاسير» للجزائري.

✍ **في باب العقيدة:** اقتنِ «حقيقة التوحيد» للشيخ/ محمد حسَّان، «تسهيل العقيدة الإسلامية» د/ عبد الله بن جبرين، شرح العقيدة

الواسطية للشيخ العلامة/ محمد بن صالح العثيمين.

✍ **في باب الفقه:** اقرأ «فقه السنة»، مع كتاب «تمام المِنَّة» للشيخ/ الألباني.

✍ **في باب الحديث:** راجع «شرح رياض الصالحين» للشيخ/ ابن عثيمين.

✍ **في باب السيرة:** احرص على قراءة «وقفات تربوية» للشيخ/ أحمد فريد، «زاد المعاد» لابن القيِّم.

✍ **في باب الرقائق والفتاوى:** اقرأ «الداء والدواء» لابن القيِّم، «نزهة الفضلاء وتهذيب سير أعلام النبلاء» إعداد/ محمد بن حسن بن عقيل بن موسى، «وفتاوى إسلامية» جمع/ محمد المُسند.

يا صاحب المال...

لا تنشغل عن العلم

هذه نصيحة إلى أصحاب رؤوس الأموال، أن يحرصوا قدر استطاعتهم على تعلم العلم، وحضور مجالس أهل العلم، وأهل الفضل..

وقد عقد ابن القيم -رحمه الله- مقارنة بين العلم والمال، بيَّن فيها **فضل العلم على المال من وجوه، أهمها:**

❋ أنَّ العلم ميراث الأنبياء، والمال ميراث الملوك والأغنياء.

❋ أن العلم يحرس صاحبه، وصاحب المال يحرس ماله.

❋ أنَّ العلم يزداد بالبذل والعطاء، والمال تُذهِبه النفقات -عدا الصدقة.

❋ أن العلم يُرافِق صاحبه حتى قبره، والمال يُفارقه بعد موته، إلا ما كان من صدقة جارية.

❋ أن المال يحصُل للبر والفاجر، والمسلم والكافر، أما العلم النافع فلا

يحصُل إلا للمؤمن.

❋ أنَّ العالم يحتاج إليه الملوك ومَنْ دونهم، وصاحب المال يحتاج إليه أهل العَدَم، والفاقة، والحاجة.

❋ أنَّ صاحب المال قد يُصبح مُعدَمًا فقيرًا بين عشيَّة وضُحاها، والعلم لا يُخشى عليه الفناء، إلا بتفريط صاحبه.

❋ أنَّ المال يُعبِّد الإنسان للدنيا، والعلم يدعوه لعبادة ربه.

❋ سعادة العلم دائمة، وسعادة المال زائلة.

❋ العالِم قدره وقيمته في ذاته، أما الغنيّ فقيمته في ماله.

فإياك أخي المكرم

أن تنشغل عن طلب العلم الشرعي وتحصيله

لا تحرم نفسك

فيا عبد الله: اعلم أن لهذا الدين حصونًا، وعليه ثُغُورًا، ويلزم لهذه الحصون وتلك الثغور مُرابطين يحمونها من كيد الكائدين، وهجمات المُعتَدين، ويلزم لهذه الثغور، وتلك الحصون حُماة ومرابطين يحفظ الله بهم الدين.

* ولا شك أن من أخطر ثغور الإسلام على الإطلاق: **ثَغر العلم الشرعي الأصيل**، على منهاج النبوة.

* وكم أُتِيَ المسلمون من هذا الثغر وأوذوا، فرابط -أخي الكريم- على هذا الثغر بكل قوة وعزم، حتى تحمي حوزة الدين، وتحرس حِياض الشريعة من كلِّ مُعتَدٍ مُبتَدِعٍ ضالٍّ.

وإياك أن تقول كالجُهَّال: «**علقها في رقبة عالم، واطلع سالم**»، فهذا كلام مغلوط باطل، لا أساس له من الصحة..

خامسا



كن بعلمك عاملًا

* **إن ثمرة العلم النافع:** العمل الصالح، وكل علم لا يُثمِر عملاً **في القلب، أو في الجوارح** فهو علم يُلزِم صاحبه الحجة أمام الله ﷻ.

* **والسائر إلى الله -تعالى-** لا يكفيه أن يحوز القوة العلمية جمعًا وتحصيلًا، كي يفوز بالنجاة، ويسعد بالفوز، بل ينبغي أن تتآزر لديه القوة العملية، حتى يكون سيره إلى الله -تعالى- سيرًا صحيحًا مُثمِرًا.

نصيحة ذهبية:

وإني أنصحك بما نصح به **الخطيب البغدادي** في كتابه «**اقتضاء العلم العمل**» [ص١٨، ١٩] **حيث يقول -رحمه الله-:** [إني موصيك -يا طالب العلم- بإخلاص النية في طلبه، وإجهاد النفس على العمل بموجبه، فإن العلم شجرة، والعمل ثمرة، وليس يُعَدّ عالمًا من لم يكن بعلمه عاملًا].



وقيل: (العلم والد، والعمل مولود، والعلم مع العمل، والرواية مع الدراية).

❋ فلا تأنس بالعمل، ما دُمتَ مستوحشًا من العلم، ولا تأنس بالعلم ما كنتَ مُقصرًا في العمل، ولكن اجمع بينهما، وإن قلَّ نصيبك منهما.

❋ وما شيء أضعف من عالم ترك الناس علمه لفساد طريقته، وجاهلٍ أخذ الناس بجهله لنظرهم إلى عبادته، فالعلم يُراد للعمل، كما العمل يُراد للنجاة، فإذا كان العمل قاصرًا عن العلم، كان العلم كَلًّا على العالم، ونعوذ بالله من علم عاد كَلاً، وأورث ذُلاً، وصار في رقبة صاحبه غلًّا.

ثم اعلم -عبد الله- أنه كما لا تنفع الأموال إلا بإنفاقها، كذلك لا تنفع العلوم إلا لمن عمل بها، وراعى واجباتها، فلينظر امرؤ لنفسه، وليغتنم وقته، فإن الزاد قليل، والرحيل قريب، والناقد بصير، والله تعالى بالمرصاد، وإليه المرجع والمَعَاد] أ.هـ.

❋ ويرحم الله الإمام ابن قتيبة إذ يقول: كان طالب العلم فيما مضى يسمع ليعلم، ويعلم ليعمل، ويتفقه في دين الله لينتفع وينفع، وقد صار

الآن يسمع ليجمع، ويجمع ليذكر، ويحفظ ليغلب ويفخر نقلاً عن: (اختلاف اللفظ والمعنى ص١٨).

فيا أخانا.. (اعلم أن المسكين كل المسكنة: من ضاع عمره في علم لم يعمل به، ففاتته لذة الدنيا، وخيرات الآخرة). [«صيد الخاطر» لابن الجوزي (ص١٦٨)].

الجزاء

من جنس العمل

أما إذا كنتَ بعلمكَ عاملًا، فإن الله ﷻ لا يضيع عملك هباءً منثورًا، بل يجعل لكَ مميزات قلَّ أن تجدها في الناس، **منها على سبيل المثال:**

- أن الله –تعالى- يرفعك ببركة هذا العلم، ويقذف حبك والهيبة منك في قلوب الخلائق.
- أن الخيرية تكون وصفًا لك.
- النضارة، والوضاءة، في الدنيا والآخرة، تكون نصيبًا لك نتيجة بركة إخلاصك وعلمك وعملك.
- التعديل والتزكية، لا من البشر القاصرين المُخطِئين، ولكن من رسول الله ﷺ؛ حيث قال: **«يحمل هذا العلم من كلِّ خلف عدوله، ينفون عنه تحريف الغالين، وانتحال المُبطلين، وتأويل الجاهلين»** [رواه الطبري، وابن عدي، والدارقطني، وأبو نعيم، والبيهقي، وله طرق أخرى بها يحسن الحديث، وقد استوفى تخريجه الإمام ابن القيم في كتابه «مفتاح السعادة» (١/ ٤٩٧)].

هيا بنا نرفعُ شعار

«طلب العلم النافع، والحرص على العمل الصالح».

سادسا

كن لله عابدًا



إن العبودية لله -ﷻ- شرفٌ عظيم لا يدانيه شرف، ونعمة عظيمة لا تدانيها نعمة؛ لأنها حق للمنعم -ﷻ-.

مفهوم العبادة

لأجل هذا كان لزامًا على العبد أن يتعرف على المعنى الصحيح للعبادة –خاصة– في هذا الزمان الذي تبدلت فيه المعايير، واضطربت فيه المفاهيم.

- **فالعبادة لغة:** تتضمن معنى الخضوع، والذل، والإذعان والطاعة، أو هي «الطاعة مع الخضوع»، وعَبَدَ الله، أي: تأله له، بمعنى: لجأ إليه وأحبه، وعظمه ودعاه، «والتعبد: هو التنسك». (لسان العرب ٣/ ٢٧٠).
- **واصطلاحا:** كما يقول ابن تيمية: «العبادة: هي اسم جامع لكل

ما يحبه الله ويرضاه من الأقوال والأفعال الظاهرة والباطنة».

- **إذن** ليست العبادة أمرًا على هامش حياتنا كما يتصور البعض، كذلك فليست العبادة محصورة في صلاة، أو صيام، أو زكاة، أو حج - فحسب - فهذا فهم قاصر للعبادة، ولكن العبادة مفهومها أوسع وأشمل من ذلك.

فالصلاة والصيام والزكاة والحج صحيح أنها كلها عبادات، بل هي أجل العبادات -بعد توحيد الله-، ولكن هناك عبادات أخرى كثيرة أيضًا كـ: بر الوالدين، وصلة الأرحام، والإحسان إلى الجار، وصدق الحديث، وأداء الأمانة، وأيضًا فالأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، والجهاد للكفار والمنافقين، والإحسان لليتيم، والمسكين، وابن السبيل، والمملوك من الآدميين، ورحمة الحيوانات كلها عبادات.

- كذلك فالدعاء، والذكر، وقراءة القرآن، وغير ذلك...كلها من العبادات الظاهرة.

- كذلك حب الله ورسوله، وخشية الله، والإنابة إليه، وإخلاص الدين له، والصبر لحكمه،والشكر لنعمه، والرضا بقضائه، والتوكل عليه، والرجاء لرحمته، والخوف من عذابه، وأمثال ذلك نفدُّ من

العبادات الباطنة.

- وحتى الطعام والشراب والنوم .. حتى الجماع.. قد يكون كل ذلك عبادة، إذا صحت النية، وكان العمل على هدي النبي ﷺ.





إذن يتضح من ذلك مدى الشمول الذي تتسم به العبادة في الإسلام، فهي لا تقتصر على مجرد «طقوس معدودة محدودة»، أو «شعائر شكلية»، وإنما هي حياة تعبدية شاملة تتضمن الفرائض وما يتعلق بها «كالصلاة والحج والصوم»، كما تتضمن الأخلاق؛ كالأمانة والصدق، ويدخل فيها كذلك: المعاملات التي تحكم علاقة المرء بأهله وبمجتمعه من الناس، [كالبيع، والشراء،..].

فالعبادة بمفهومها الصحيح الشامل تحكم تعامل الفرد المسلم مع ربه، ومع نفسه، ومع سائر الناس، حتى المخلوقات الأخرى كالبهائم وما أشبهها.

وبالإضافة إلى ذلك فإن العبادة تشمل حتى القلب وأحواله: فحب الله ورسوله، والخوف منه وخشيته، والشكر لنعمائه، والصبر على

قضائه، والإنابة إليه، والتوكل عليه، وما إلى ذلك.. «**كل ذلك يدخل تحت طائلة مفهوم العبادة**».

وبذلك يكون مفهوم العبادة شاملا يسع الحياة كلها بما فيها من مشاعر واعتقادات وأعمال وعبادات ومعاملات، وسلوك، وهذا هو مقتضى شرعة الإسلام: يعني أن يسلم العبد حياته كلها لله -عز وجل- ولرسوله ﷺ؛ ليقوداه إلى برّ الأمان، قال تعالى: ﴿**قُلْ إِنَّ صَلَاتِي وَنُسُكِي وَمَحْيَايَ وَمَمَاتِي لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ * لَا شَرِيكَ لَهُ وَبِذَٰلِكَ أُمِرْتُ وَأَنَا أَوَّلُ الْمُسْلِمِينَ**﴾ [الأنعام: ١٦٢، ١٦٣].



شبهة

قد يقول قائل: ولماذا يأمرني ربي بأداء العبادات والتكاليف والشرعية، أليس في هذا شيءٌ من التعنت الإلهي؛ لأنه يأمرني بالخضوع له لمجرد أن أكون ذليلًا؟!.

والجواب: إن من الكوارث الكبرى، والمصائب العظمى: أن نسمع هذه الكلمات الإلحادية الكفرية من شاب ينتسب ظاهريًّا إلى الإسلام، ولشديد الأسف، فإن مثل هذا الشاب يعيش معنا وبيننا، ويتكلم بألسنتنا، لكنه جَهلَ حقيقة دينه وأمور دنياه، فراح يستقي العلم من أخبث الخلق، وأفسدهم، من على شاشات الفضائيات، ومن بعض المواقع على شبكة الإنترنت؛ حيث تنتشر المواقع [الإلحادية، والتنصيرية، والعلمانية]، والتي تسعى لاصطياد الشباب المسلم لتفسد هويته الإسلامية -نسأل الله السلامة والعافية-.

وابتداءً أقول لهذا المعاند المكابر:

✍ اعلم بأن الله -تعالى- غني عني، وعنك، وعن العالمين؛ قال

ماذا يريد الله منك؟

تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا النَّاسُ أَنتُمُ الْفُقَرَاء إِلَى اللَّهِ وَاللَّهُ هُوَ الْغَنِيُّ الْحَمِيدُ * إِن يَشَأْ يُذْهِبْكُمْ وَيَأْتِ بِخَلْقٍ جَدِيدٍ * وَمَا ذَلِكَ عَلَى اللَّهِ بِعَزِيزٍ﴾ [فاطر:١٥-١٧].

فهو -سبحانه وبحمده- لا حاجة له بنا، فلو أعرضنا جميعًا عن عبادته ﷻ، فإنه يعبده ويسبحه كل من في السموات والأرض بلغة نجهلها، لقصور إدراكنا، وضعف علمنا..؛ قال -تعالى- ﴿وَإِن مِّن شَيْءٍ إِلاَّ يُسَبِّحُ بِحَمْدَهِ وَلَكِن لاَّ تَفْقَهُونَ تَسْبِيحَهُمْ إِنَّهُ كَانَ حَلِيمًا غَفُورًا﴾ [الإسراء:٤٤].



✍ بل حتى لو لم يعبده أحد، فهو غني عن هذه العبادة، إذ هو -سبحانه- لا تنفعه طاعة الطائعين، ولا تضره معصية العاصين.. فعن أبي ذر رضي الله عنه، أن النبي ﷺ قال -فيما يرويه عن ربه ﷻ-: «يا عبادي، إنكم لن تبلغوا ضري فتضروني، ولن تبلغوا نفعي فتنفعوني، يا عبادي لو أن أولكم وآخركم وإنسكم وجنكم كانوا على أتقى قلب رجل واحد منكم ما زاد ذلك في ملكي شيئًا، يا عبادي.. لو أن أولكم وآخركم وإنسكم وجنكم كانوا على أفجر قلب رجل واحد منكم ما نقص ذلك من ملكي شيئًا» [رواه مسلم].



وعنده -جل شأنه- ملائكة عابدون، ﴿لَا يَعْصُونَ اللَّهَ مَا أَمَرَهُمْ وَيَفْعَلُونَ مَا يُؤْمَرُونَ﴾ [التحريم: ٦]، فمنهم القائم الذي لا يَفْطُر، والراكع الذي لا يرفع، والساجد الذي لا يملّ من سجوده، ومع كل ذلك، ورغم أنهم لا يغفلون -طرفة عين ولا أقل من ذلك- عن تسبيح الله، أو عن ذكره، أو عن طاعته، رغم كل هذا تراهم يقولون لربهم إذا قامت الساعة: سبحانك ربنا، ما عبدناك حق عبادتك. فلو تخلى أهل الأرض جميعًا عن تلك الغاية التي من أجلها خلقوا، فليعلموا أن الله غني عنهم..

فليعلموا...

أن الله غني عنهم



فإذا أيقنت بذلك، فاحذر أن يستزلك الشيطان، فيوهمك أن الله يريد لك الشر، أو أنه -سبحانه- يريد لك السوء، أو أنه -ﷻ- يلزمك بأداء التكاليف الشرعية لمجرد أن تكون ذليلاً.

بل إن ربك -حاشاه- ما هو بظلام للعبيد .... بل اعلم -عبد الله- أنه عَرَّفَك أنه الغني عنك، وأشهدك موضع فقرك إليه، وأنه لابد لك منه، والمقصد من كل هذا إرادته إكرامك، وإيوائك في كنف إنعامه.

فاحمد الله على أن هداك لأجل نعمة بعد الإسلام، وهي نعمة العبودية له وحده.







قد تقول: إذا كان الله -ﷻ- غنيًّا عن عبادة العابدين، فلا تنفعه طاعة الطائعين، ولا تضره معصية العاصين، فلماذا نحن مطالبون بالعبادة؟!

والجواب: من الحسن أن يتعرف المرء على حكمة التكاليف الشرعية -إن كانت ظاهرة واضحة-، وذلك لأن العبد السالك إلى الله إذا أدرك بقلبه وعقله هذه الحقائق «لماذا خُلِق؟!»، «**ولماذا يُعْبَدُ هذا الخالق؟!**»؛ فإنه يكون ثابتًا راشدًا، وبالتالي فإنه لا يحزن، ولا يُغلَب، ولا يضطرب أبدًا.



وفي الحقيقة: فإننا نعبد الله تعالى لأسباب كثيرة، منها:

أولا



وحتى يتضح لكَ هذا الأمر بجلاء ووضوح **فدعني أسألك هذه الأسئلة:** إذا أحسن واحد من الناس إليكَ، أو كان له فضل عليكَ: **أليس من الوفاء أن يمتلئ قلبك بالحب له، والرضا عنه؟! أليس من حقه عليكَ أن تطيع أوامره؟!**

فإذا كنتَ تتذكر إحسان من أحسن إليكَ من البشر، أفليس من الجحود أن تنسى إنعام رب البشر عليك؟!.

❋ ثم ألا تستحي أن تبارزه بالمعصية، وتجاهره بالمخالفة، وهو ربك الذي كل فضل أنت فيه فهو من فضله، وكل ما يندفع عنك من سوء فمن عظيم رحمته، قال جل جلاله ﴿**وَمَا بِكُم مِّن نِّعْمَةٍ فَمِنَ اللهِ ثُمَّ إِذَا مَسَّكُمُ الضُّرُّ فَإِلَيْهِ تَجْأَرُونَ**﴾ [النحل: ٥٣].

شكر النعم

نعمة الإسلام

الإسلام والإيمان، نعمتان امتنَّ الله -تعالى- بهما علينا يقول تعالى: ﴿يَمُنُّونَ عَلَيْكَ أَنْ أَسْلَمُوا قُل لَّا تَمُنُّوا عَلَيَّ إِسْلَامَكُم بَلِ اللَّهُ يَمُنُّ عَلَيْكُمْ أَنْ هَدَاكُمْ لِلْإِيمَانِ إِن كُنتُمْ صَادِقِينَ﴾ [الحجرات:١٧].

* مَنْ منَّا شَكَرَ ربه ﷻ على نعمة الإسلام -وكفى بها نعمة-.

* مَنْ منَّا شَكَرَ ربه على نعمة الإيمان -وكفى بها نعمة-.

* من منَّا شكر الله ﷻ أن أبقاه على فطرة الإسلام، التي قال فيها ﷺ: «كلُّ مولود يولد على الفطرة، فأبواه يهودانه، أو يُنصِّرانه، أو يُمجِّسانه». [متفق عليه].

نعمة العقل:

من منَّا تفكَّر يومًا في «**نعمة العقل**»؟! -هذه النعمة الجلية- وشكر الله ﷻ عليها.

ماذا يريد الله منك؟

يا لها من نعمة منسية

* من منا تفكر في نعمة دخوله للخلاء على قدميه، وتطهيره لنفسه بيده؟!

* من منا فعل كأحد أسلافنا الذي كان إذا دخل الخلاء ثم خرج منه، وضع يده على بطنه ونظر إلى السماء، وقال: يا لها من نعمة منسية، غَفَلَ عن شكرها كثير من الناس!!

* ما أكثر نعم الله علينا وعلى عباد الله أجمعين، ولكن المقام لا يتسع لذكرها؛ ولقد صدق ربي إذ يقول: ﴿وَإِن تَعُدُّوا نِعْمَتَ اللَّهِ لَا تُحْصُوهَا إِنَّ الْإِنسَانَ لَظَلُومٌ كَفَّارٌ﴾ [إبراهيم:٣٤].

* ولكن يبقى السؤال قائمًا: من منا تفكر في نعم الله عليه؟!

ومن منا شكر المنعم ﷻ على هذه النعم الكثيرة الوفيرة؟!

* لهذا فنحن نعبد الله -تعالى-؛ لأن الله ﷻ هو المنعم المستحق للشكر على تلك النعم -وحده دون غيره-.

والعبادة تُعَدُّ من أجلِّ أنواع الشكر العملي لله ﷻ على نعمه العظيمة، وعطاياه الجزيلة.

ثانيا



وهذا الحق أحق الحقوق، وأوجبها، وأعظمها؛ لأنه حق الله -تعالى- الخالق العظيم المالك، المدبِّر لجميع الأمور، حق الملك الحق المبين، الحي القيوم، الذي قامت به السموات والأرض، والذي خلق كل شيء بحكمة بالغة فقدَّره تقديرًا -سبحانه وبحمده-.

* **العبادة حق الله عليك** فهو الذي أوجدك من العدم، ولم تكن شيئًا مذكورًا.

* **العبادة حق الله عليك** يا من ربَّاك ربُّك بالنعم وأنت في بطن أمك في ظلمات ثلاث، لا يستطيع أحد من المخلوقين أن يوصل إليكَ غذاءً، ومنحك مقومات نموك وحياتك، وأدرَّ لكَ الثديين، وهداكَ النجدين، وسَخَّر لكَ الأبوين.

* **هو سبحانه أمدك وأعدك**.. أمدك بالنعم والعقل والفهم،

وأعدَّكَ لقبول ذلك والانتفاع به..؛ قال ربنا في محكم التنزيل: ﴿وَاللهُ أَخْرَجَكُم مِّن بُطُونِ أُمَّهَاتِكُمْ لاَ تَعْلَمُونَ شَيْئًا وَجَعَلَ لَكُمُ السَّمْعَ وَالأَبْصَارَ وَالأَفْئِدَةَ لَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ﴾ [النحل:٧٨]، ولو حجب عنك فضله طرفة عين لهلكت، ولو منعك رحمته لحظةً لما عشت.

* **فإذا كان هذا فضل الله عليك**، ورحمته بك، فإن حقه عليك أعظم الحقوق؛ لأنه حق إيجادك وإعدادك وإمدادك.

إنه -سبحانه- لا يريد منك رزقًا، ولا إطعامًا؛ يقول جل شأنه: ﴿لَا نَسْأَلُكَ رِزْقًا نَّحْنُ نَرْزُقُكَ وَالْعَاقِبَةُ لِلتَّقْوَى﴾ [طه:١٣٢]،

إنما يريد منك شيئًا واحدًا مصلحته عائدة عليك، يريد منك: أن تعبده وحده لا شريك له، وفي هذا يقول الله تعالى: ﴿وَمَا خَلَقْتُ الْجِنَّ وَالْإِنسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ {٥٦} مَا أُرِيدُ مِنْهُم مِّن رِّزْقٍ وَمَا أُرِيدُ أَن يُطْعِمُونِ {٥٧} إِنَّ اللهَ هُوَ الرَّزَّاقُ ذُو الْقُوَّةِ الْمَتِينُ﴾ [الذاريات:٥٦ - ٥٨].

* **يريد منك** أن تكون له عبدًا بكل معاني العبودية، كما أنه هو لك رب بكل معاني الربوبية.

* **يريدك عبدًا** متذللًا له، خاضعًا له، ممتثلًا لأمره، مجتنبًا لنهيه، مصدقًا بخبره.

* **يريدك** عبدًا حييًا يرى نعم الله عليه سابغة؛ فيستحي أن يبدل هذه النعم كفرًا؟!

إن حق الله ﷻ علينا: يتمثل في أمور سهلة يسيرة؛.

عقيدة مثلى	**إيمان بالحق**	**وعمل صالح**
قوامها المحبة والتعظيم	وثمرته الإخلاص والمثابرة	مستمر لا ينقطع

* **صور من الأعمال الصالحة التي هي حق الله علينا أن:**

* **كهذه الصلوات** التي يُصليها العبد في يومه وليلته؛ حيث يُكفِّر الله بهن الخطايا، ويرفع بهن الدرجات، ويصلح بهن القلوب والأحوال.

وعلى الرغم من أهميتها البالغة فإن الله ﷻ أجاز للعبد أن يأتي بها

حسب طاقته واستطاعته؛ قال -تعالى-: ﴿فَاتَّقُوا اللَّهَ مَا اسْتَطَعْتُمْ﴾ [التغابن:١٦]، وقال النبي ﷺ لعمران بن حصين -وكان عمران مريضًا-: «صلِّ قائمًا، فإن لم تستطع فقاعدًا، فإن لم تستطع فعلى جنب». [رواه البخاري وغيره].

* **وكالزكاة** التي هي جزء يسير من مالك الذي أعطاك الله إياه، من غير حول منك ولا قوة، وهذه الزكاة تدفع في حاجة المسلمين (الفقراء -والمساكين- وأبناء السبيل -والغارمين-، وغيرهم من أهل الزكاة).

* **وكالصيام..** فإننا -نحن المسلمين- نصوم شهرًا واحدًا في السنة، وعلى الرغم من ذلك رفع الله الحرج عن أصحاب الأعذار؛ فقال: ﴿وَمَن كَانَ مَرِيضًا أَوْ عَلَىٰ سَفَرٍ فَعِدَّةٌ مِّنْ أَيَّامٍ أُخَرَ﴾ [البقرة:١٨٥].

* **وكحج البيت الحرام** مرة واحدة في العمر للمستطيع، فمن تعذر عليه الحج أو كان عاجزًا عن أدائه سقط عنه.

* هذه هي أصول حق الله، وما عداها فإنما يجب لعارض: **كالجهاد** في سبيل الله؛ أو لأسباب توجبه: **كنصرة المظلوم**.

* **فانظر يا أخانا** إلى هذا الحق اليسير عملًا، الكثير أجرًا، إذا

قمت به كنت من السعداء في الدنيا، الفائزين في الآخرة، ونجوت من النار، ودخلت الجنة؛ قال الله -تعالى-: ﴿فَمَن زُحْزِحَ عَنِ النَّارِ وَأُدْخِلَ الْجَنَّةَ فَقَدْ فَازَ وَمَا الْحَيَاةُ الدُّنْيَا إِلاَّ مَتَاعُ الْغُرُورِ﴾ [آل عمران:١٨٥]. [نقلًا عن: «حقوق دعت إليها القطرة وقررتها الشريعة» للشيخ ابن عثيمين، من صفحة ١٠ إلى ١٦ ط مكتبة الإيمان].



ثالثا:



* وهي الغاية التي خلق الله لأجلها الخلق، وهي الغاية التي من أجلها أرسل الله الرسل، وبعث الأنبياء -عليهم جميعًا صلوات الله وسلامه-؛ يقول الله ﷻ: ﴿وَلَقَدْ بَعَثْنَا فِي كُلِّ أُمَّةٍ رَّسُولاً أَنِ اعْبُدُواْ اللّهَ وَاجْتَنِبُواْ الطَّاغُوتَ﴾ [النحل:٣٦]



رابعًا:

لأن الكون كله يعبد ربه

.. فالعبادة ليست متعلقة بالثقلين «الإنس والجن» فحسب، وليست محصورة فيهم فقط؛ بل إن الكون كله، وما فيه من مخلوقات -دقيقة كانت أو جليلة، خاضعة لله- متجهة إليه، قانتة له، كما وردت بذلك الأدلة القرآنية الكثيرة.

وعبادة الكون وما فيه لله ﷻ تتمثل في الآتي:

١- قنوت الكون وخضوعه وعبادته لله ﷻ؛ قال الله -تعالى-: ﴿وَلَهُ مَن فِي السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ كُلٌّ لَّهُ قَانِتُونَ﴾ [الروم:٢٦].

ويظهر قنوت الخلق لله فيما يأتي:

(أ) طاعة المخلوقات لله، وتحركها حسب مشيئته وأمره؛ يقول الله ﷻ: ﴿مَّا مِن دَابَّةٍ إِلَّا هُوَ آخِذٌ بِنَاصِيَتِهَا﴾ [هود:٥٦].

(ب) اعترافهم بربوبية الله -تعالى- لهم؛ يقول ﷻ: ﴿وَإِذْ أَخَذَ رَبُّكَ مِن بَنِي آدَمَ مِن ظُهُورِهِمْ ذُرِّيَّتَهُمْ وَأَشْهَدَهُمْ عَلَىٰ أَنفُسِهِمْ أَلَسْتُ بِرَبِّكُمْ قَالُوا بَلَىٰ شَهِدْنَا أَن تَقُولُوا يَوْمَ الْقِيَامَةِ إِنَّا كُنَّا عَنْ هَٰذَا غَافِلِينَ﴾ [الأعراف:١٧٢].

(جـ) اضطرار الخلق ورجوعهم إلى الله وقت الشدة والكرب.

(د) الخضوع لسنن الله وأوامره، ولو بشكل جزئي اضطرارًا، وإن كان على كره من المخلوق.

٢- **إسلام الخلق له؛** يقول -تعالى-: ﴿أَفَغَيْرَ دِينِ اللَّهِ يَبْغُونَ وَلَهُ أَسْلَمَ مَن فِي السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ طَوْعًا وَكَرْهًا وَإِلَيْهِ يُرْجَعُونَ﴾ [آل عمران:٨٣].

٣- **تسبيح المخلوقات لله تعالى؛** حيث يقول: ﴿تُسَبِّحُ لَهُ السَّمَاوَاتُ السَّبْعُ وَالْأَرْضُ وَمَن فِيهِنَّ وَإِن مِّن شَيْءٍ إِلَّا يُسَبِّحُ بِحَمْدِهِ وَلَٰكِن لَّا تَفْقَهُونَ تَسْبِيحَهُمْ إِنَّهُ كَانَ حَلِيمًا غَفُورًا﴾ [الإسراء:٤٤].

٤- **السجود له سبحانه؛** إذ يقول: ﴿أَلَمْ تَرَ أَنَّ اللَّهَ يَسْجُدُ لَهُ مَن فِي السَّمَاوَاتِ وَمَن فِي الْأَرْضِ وَالشَّمْسُ وَالْقَمَرُ وَالنُّجُومُ وَالْجِبَالُ وَالشَّجَرُ وَالدَّوَابُّ وَكَثِيرٌ مِّنَ النَّاسِ وَكَثِيرٌ حَقَّ عَلَيْهِ الْعَذَابُ وَمَن يُهِنِ اللَّهُ فَمَا لَهُ مِن مُّكْرِمٍ إِنَّ اللَّهَ يَفْعَلُ مَا يَشَاءُ﴾ [الحج:١٨].

❋ **وعلى ذلك: فعبادة الله هي** الفطرة التي فطر الله الناس عليها، لا تبديل لخلق الله، وهي الناموس الذي يسير الكون على نسقه ومقتضاه؛ قانتًا له، خاشعًا، مسلمًا، ساجدًا، مسبحًا، فعبادة الله هي القاعدة، والطريق السويّ، وما عداها فهو الشذوذ والانحراف.

خامسًا



بل هي سببٌ لسعادة الإنسان في الدنيا والآخرة؛ يقول تعالى: ﴿مَنْ عَمِلَ صَالِحًا مِّن ذَكَرٍ أَوْ أُنثَىٰ وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَلَنُحْيِيَنَّهُ حَيَاةً طَيِّبَةً وَلَنَجْزِيَنَّهُمْ أَجْرَهُم بِأَحْسَنِ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ﴾ [النحل:٩٧].





سادسًا



هو الدليل الحقيقي على تعظيم أمره ﷻ

❋ إذ إنه من المعلوم أنه على قدر المعرفة يكون تعظيم الرب ﷻ في القلب؛ لهذا فإن أعرف الناس به أشدهم له تعظيمًا، وإجلالاً.

وكلما زاد قدر المعرفة في القلب، كلما اجتهد العبد في أنواع الطاعات المختلفة.

- وقد ذمَّ الله من لم يُعظِّمه حقَّ عظمته، ولا عرَفَه حق معرفته، ولا وصفه حق صفته، قال تعالى: ﴿مَّا لَكُمْ لَا تَرْجُونَ لِلَّهِ وَقَارًا﴾ [نوح:١٣]، قال سعيد بن جبير: ما لكم لا تعظمون الله حق عظمته!!

إذن.. روح العبادة: هو الإجلال والمحبة، فإذا تخلى أحدهما عن الآخر؛ فسدت العبادة وضعفت.

سابعًا



والعبادة تحرر صاحبها من العبودية لغير الله (لأن العبادة الصحيحة تقوم على الإخلاص لله -تعالى-)..

* **فمن أخلص عبادته لله**، فقد قَصَرَها عمن سواه، وبذلك يكون قد تحرر من عبودية الطواغيت، ومن عبودية الإنسان للإنسان، **ومن عبودية** الأوثان والأحجار والشيطان، **ومن عبودية** الأنا والذات، **ومن عبودية** المال، والجاه والسلطان، والزوجة والولد، والشرف والسمعة، **ومن عبودية** الأشخاص والأحزاب، والقَبَلِيَّات والقوميات، **ومن عبودية** الأفكار الباطلة، والأحكام الوضعية، والتحاكم إلى غير شرع الله - تعالى-.

* **ولما كان الإنسان مفطورًا على حب العبادة والحاجة إليها**؛ كان لابد أن يُشبعَ رغبته وفطرته، عن طريق العبادة الخالصة، فإذا لم تُشْبَعْ هذه الحاجة الطبيعية لديه بعبادة الله، سلك العبدُ مسلكًا معوجًا

لإشباع هذه الفطرة، عن طريق صرف العبادة لغير الله.

وبذلك لا يحصل له التحرر، والانطلاق، والاستغناء عن الخلق، الذي سيحصل لمن أخلص عبادته لله ﷻ.



ثامنا

لأن العبادة أرقى صور التسليم لله عز وجل

❋ **فإن العبد المعترف لربه بالربوبية**، المجتهد في عبادة سيده، وطاعة مولاه، المستسلم لحكم ربه، المنقاد لشرعه، السائر على أوامره، المجتنب لنواهيه، الراضي بقضائه وحكمه؛ هو العبد المؤمن الذي وفقه الله لأَجَلِّ مقامات الإيمان، وأعلى طرقه الخاصة.

لأن التسليم لله هو محض الصدِّيقية، التي هي بعد درجة النبوة، وأكمل الناس تسليمًا أكملهم صدِّيقية. [تهذيب مدارج السالكين (ص٣٤٩)]

تاسعًا



فالعبادة ركن رئيسي من أركان التربية الشمولية، لا تقوم إلا به.

● **فالعبادة**: أعظم الأسباب لتربية العقول والقلوب، تربية ربانية إيمانية، إذ الإيمان وحده لا يكفي لتربية الروح تربية حقيقية؛ بل لابد أن يكون مصحوبًا بالعمل، والعمل إنما يتمثل في العبادة، فعن طريقها تتربى الروح فتصفو النفوس، وتَرِقُّ القلوب، وتوجد الحساسية في قلب الإنسان إزاء ما يحدث من مواقف، أو ما يُضطر إليه من تصرفات، فيصبح لديه معيار أو ميزان قويم يَزِنُ به الأعمال والأقوال والتصرفات والمواقف وأنواع السلوك المختلفة.

● **كذلك فالعبادة تربي الجسم**: لا من ناحية عضلاته وأجزائه وأحشائه وأعصابه فحسب، بل تعني أيضًا بدوافع الإنسان الفطرية، وأحاسيسه وحاجاته الطبيعية.





- **كذلك فالعبادة تساعد على تقوية الأواصر الاجتماعية بين أفراد المجتمع المسلم:** عن طريق الهيئة الجماعية المشروعة التي تؤدي بها معظم العبادات في الإسلام؛ كصلاة الجماعة، وصلاة الجمعة، وصلاة العيد، وصيام شهر رمضان.

- **إذن فالعبادة تربي المسلم تربية شاملة كاملة،** كذلك فهي تُنظم علاقاته، وروابطه بشكل متلاصق متين، ويأتي على رأس هذه الروابط والصلات صلة **«العبد بالله»** ربًّا، وإلهًا، وبصفته هو مخلوقًا له عابدًا، خاضعًا، محتاجًا إليه في كل ظروفه وأحواله.

وكذلك علاقته بنفسه، وهي علاقة المسؤولية، وتوظيف القوى والطاقات النفسية والعقلية والبدنية والمادية، لتحقيق الغرض الذي من أجله وُجد الفرد، وهو عبادة الله.

كذلك العلاقات الاجتماعية متمثلة في علاقة الولد بوالديه، ورب الأسرة بأفرادها، وكذلك علاقة الجوار، والرحم، والقرابة، وعلاقات المسلم بالمسلمين -عامة-، وعلاقته مع غير المسلمين أيضًا.

ماذا يريد الله منك؟

عاشرًا



لما كانت العبادة هي الصلة المباشرة بين الإنسان الفاني ومولاه الباقي.

وهي: مفتاح الكنز الذي يُغني ويُقْنِي ويفيض.

وهي: زاد الطريق، ومدد الروح، وجلاء القلب.

ولما كانت هي التي تُوثق الصلة، وتُيسر الأمر، وتُشرق بالنور، وتفيض بالعزاء والسلوى، والراحة والاطمئنان، لما كان للعبادة كل هذا الفضل والجلال والعَظَمَة، كان على العبد أن يعرف أن العبادة ليست تشريفًا له فقط، **وإنما هي أمانة وتكليف وامتحان،** ائتمنَ اللهُ ابنَ آدم على أدائها، وكلفه القيام بها؛ امتحانًا وابتلاءً له؛ لينظر ﷻ -وهو العليم بما كان وما سيكون-:

❋ هل سيستجيب الإنسان لأمر ربه فيشكر، أم يتنكب عن الطريق الصحيح فيكفر؟! وفي هذا يقول تعالى:

﴿إِنَّا عَرَضْنَا الْأَمَانَةَ عَلَى السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَالْجِبَالِ فَأَبَيْنَ أَن يَحْمِلْنَهَا وَأَشْفَقْنَ مِنْهَا وَحَمَلَهَا الْإِنسَانُ إِنَّهُ كَانَ ظَلُومًا جَهُولًا﴾

[الأحزاب: ٧٢].





الحادي عشر



❋ من المعلوم لكل ذي عينين أنه في زمان الغربة يكون الإسلام الحقيقي غريبًا جدًّا بين عموم الناس، وكيف لا تكون جماعة واحدة قليلة جدًّا، غريبة بين اثنتين وسبعين فرقة، ذات أتباع ورئاسات ومناصب وولايات؟!

❋ هذه الفرق الكثيرة والمتشعبة تقوم أسسُ اعتقاداتها وأفكارها على البدع والنظريات والخرافات والافتراءات، ولا شك أن هذه الأسس هي خلاف ما جاء به رسول الإسلام ﷺ.

قد تقول: ولماذا لا يتبع هؤلاء المنهج الإسلامي الصحيح: المتمثل في كتاب الله، وصحيح سنة رسول الله ﷺ؟!

والجواب: إن هؤلاء القوم استزلهم الشيطان؛ فظنوا أن اتباع الشرع أمر عسير لأنه يُضاد أهواءهم، ويفسد لذاتهم، ويُقيد مناصبهم، ويضيع

ما هم عليه من الشبهات والبدع التي هي منتهى فضولهم وعملهم، ويقيد الشهوات التي هي أعلى مقاصدهم، وأغلى إرادتهم.

وبالتالي تنكبوا عن الصراط المستقيم، وأعرضوا عن كتاب الرب العلي الأعلى، وسنة النبي المصطفى ﷺ، واتبعوا أهوائهم؛ فأعملوا عقولهم في النصوص الشرعية؛ فقدموا العقل على النقل؛ وبدلوا وحرّفوا وخالفوا النصوص الشرعية، وأفسدوا القواعد العلمية المحكمة التي تمكن المرء من فهم دلالات النصوص فهمًا صحيحًا رشيدًا، وقَعَّدوا لأنفسهم قواعد محدثةٍ مبتدعة ما أنزل الله بها من سلطان؛ فضلوا وأضلوا.

❋ **فإذا كان هذا هو حال أكثر الناس في هذا الزمان؛ فكيف لا يكون المؤمن المتبع لدين النبي المصطفى ﷺ -ظاهرًا وباطنًا- غريبًا؟!**

❋ **لا شك أنه غريب في دينه لفساد أديانهم، غريب في تمسكه بالسنة لتمسكهم بالبدع، غريب في اعتقاده لفساد عقائدهم، غريب في صلاته لسوء صلاتهم، غريب في طريقه لضلال وفساد طرقهم، غريب في نسبته لمخالفة نسبهم.**

❋ وبالجملة. فهو غريب في أمور دنياه وآخرته، لا يجد من العامة مساعدًا ولا معينًا.

❋ كذلك، فإن اشتداد الفتن المختلفة قد تؤدي إلى غياب الغاية والهدف الذي من أجله خُلق الإنسان.

لأن انهماك المرء في دوامة الحياة والعمل، والسير في دروبها المتعددة، قد ينحرف بمسيرة هذا الفرد عن منهج الله وفطرته، فإذا ما انحرفت المسيرة -ولو يسيرًا- فإن زاوية الانحراف والانفراج -مع مُضي الوقت، واستمرار السير -تكبر وتتسع، خاصة في هذه الأزمنة التي طغت فيها جوانب المادة على كل شيء، وتخطت كل الحدود، وتضخمت على حساب القلب.

بل -لشديد الأسف- على قدر ما استنارت العقول، ونالت من شتى الثقافات والعلوم، بقدر ما بردت القلوب وتجمدت، وفقدت عاطفتها الإيمانية وحرارتها -إلا من رحم ربي-، حتى سار التمتع بحطام الدنيا الزائل -بكل سبيل ممكن- هو غاية الغايات عند كثير من هؤلاء، وفي سبيل التوصل إلى ذلك يسلك المرء شتى السبل، ويبذل الغالي والرخيص لتحقيق هذه الأهداف...

❋ **ولا سبيل لتدارك الأمر إلا بوقفات مستمرة للتصحيح والتقييم والترشيد للاستدراك وذلك لا يتم إلا عن طريق الإكثار من التعبد، قبل أن يمضي المسير قدمًا في المسار المنحرف.**

الثاني عشر



منها:

◄ الرجولة والشجاعة والإقدام، حتى أن صاحبها يستعذب الصعاب في سبيل الله.

◄ كما أن العبادة ترفع من همة العبد، وتدفعه دفعًا إلى التنافس الشريف، شعاره في ذلك قول ربه: ﴿وَفِي ذَلِكَ فَلْيَتَنَافَسِ الْمُتَنَافِسُونَ﴾ [المطففين:٢٦]، وقوله سبحانه: ﴿فَاسْتَبِقُوا الْخَيْرَاتِ﴾ [البقرة:١٤٨]، وقول النبي ﷺ: «بادروا بالأعمال الصالحة؛ فستكون فتن كقطع الليل المظلم، يصبح المرء فيها مؤمنًا ويمسي كافرًا، ويمسي مؤمنًا ويصبح كافرًا، يبيع دينه بعرَضٍ من الدنيا قليل». [رواه مسلم].

◄ وشعاره أيضًا: «إذا رأيت الرجل ينافسك في الدنيا فنافسه في الآخرة».



الثالث عشر:



❋ إنه من المعلوم للقاصي والداني أن أعداء الله -تعالى- قد تسلطوا على بلاد المسلمين، فأفسدوها، وأهلكوها بكل أنواع الغزو، فأصبحت الكلمة والسيادة لهم في عالمنا المعاصر، وإلى الله المُشتكَى!!

❋ وأمام هذا الأمر.. وبعد أن جفّت منابع الانتصار في هذه الآونة، ترى السؤال الحائر الذي يتردد على ألسنة الكثيرين:

«لماذا وقع المسلمون في هذا الهوان؟!».

والجواب: لأننا لسنا عبيدًا لله تعالى.

❋ وبذلك ندرك خطورة أمر العبادة، وكيف أنها أهم أسباب التمكين؛ يقول الله تعالى - مبينًا جزاء الطاعة المخلصة، والإيمان الكامل في هذه الأرض قبل يوم الحساب الأخير-: ﴿وَعَدَ اللَّهُ

الَّذِينَ آمَنُوا مِنكُمْ وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ لَيَسْتَخْلِفَنَّهُم فِي الْأَرْضِ كَمَا اسْتَخْلَفَ الَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ وَلَيُمَكِّنَنَّ لَهُمْ دِينَهُمُ الَّذِي ارْتَضَىٰ لَهُمْ وَلَيُبَدِّلَنَّهُم مِّن بَعْدِ خَوْفِهِمْ أَمْنًا يَعْبُدُونَنِي لَا يُشْرِكُونَ بِي شَيْئًا﴾ [النور: ٥٥].

* ذلك وعد الله للذين آمنوا وعملوا الصالحات من أمة محمد ﷺ: أن يستخلفهم في الأرض، وأن يُمَكّن لهم دينهم الذي ارتضى لهم، وأن يبدلهم من بعد خوفهم أمنًا.

* ذلك وعد الله، ووعد الله حق، ووعد الله واقع، ولن يُخلِف الله وعده...

ولكن وعد الله لا يتحقق إلا لمن توفرت لهم الأهلية من هذه الأمة؛ علمًا، وعملًا، واعتقادًا، وسلوكًا.

* إذن.. فالنصر والتمكين والاستخلاف قد يتخلف ويتباطأ لتخلف الشروط المذكورة في الآية الكريمة، حتى إذا انتفعت الأمة بالبلاء، وجازت الابتلاء، وخافت فطلبت الأمن، وذلَّت فطلبت العزة، وتخلفت فطلبت الريادة، كل ذلك بوسائله المشروعة التي أرادها الله، وبشروطه التي قررها الله، تحقق وعد الله -تعالى-.

* ولنعلم أنه ما من مرة سارت فيها هذه الأمة على نهج الله، وارتضته في كل أمور الحياة، إلا تحقق وعد الله بالاستخلاف والتمكين والأمن، وما من مرة خالفت هذا المنهج، إلا تخلَّفت في ذيل القافلة، وذلَّت، وتخلَّفت عن الهيمنة على البشرية، واستبدَّ بها الخوف، وتخطَّفها الأعداء.

* فلتعرف يا أخي الكريم أن وعد الله كان، وما زال، وسيظل، قائمًا، وإن شرط الله معروف...، فمن أراد تحقق الوعد فليقم بالشرط، ومن أوفى بعهده من الله؟!



وأخيرًا..



- ثورة على الشيطان: والذي من أخص خصائصه: أنه بطيء مِلحاح، لا ينام، مهمته أن يُعرقل سيرك في طريقك لربك وخالقك.

كذلك فإنه يجري منكَ مجرى الدم، فإذا وسوس إليكَ فاستجبتَ له: سَعِدَ سعادة غامرة؛ لأن كلَّ ذنب منك يسعده، وكل معصية تقع فيها تُفرحه؛ لأنك بفعلها تكون قد تساويت معه في المعصية، والمعاصي بريد الكفر، والكفر طريق النار، وهو لا يريد الخلود فيها وحده.

❋ لهذا.. فكل ما أريده، وأسعى سعيًا حثيثا له: أن أوقع العداوة والبغضاء بينكَ وبين شيطانك، فتنقلب مودته لكَ بُغضًا، وتغدو صحبتكَ له عداوة، وتصير أوامركَ له نواه لقلبك، فتضطرم نار الحرب بينكما، فترميه ويرميك.

فإن عاد وَجدَكَ قد أغلقت في وجهه أفكارك وإرادتك، ثم ترميه رمية لا يقوم بعدها أبدًا، فما ثَمَّ بعد ذلك إلا فوزًا ونصرًا في الحياة الدنيا، وجنة ورضا في الحياة الآخرة.

❋ وحتى تفوز عليه: ما عليكَ إلا أن تضع لبيت أفكاركَ حارسًا إيمانيًّا مسلحًا بكل أنواع العبادة، حتى لا يُخرج الشيطان من بيت أفكارك خاطرة شيطانية.

لأن الخاطرة تصبح فكرة، ثم شهوة، ثم عزيمة، ثم عملًا سيئًا، فيكون الإنسان حينها كالذي استهوته الشياطين في الأرض حيران، ثمَّ أرغم أنف شيطانك بإدمان السجود، وإطالة الركوع، وظمأ الهواجر؛ حتى يظل باكيًا في الدنيا قبل الآخرة.

❋العبادة ثورة على الأخلاق السيئة، والعادات القبيحة، العبادة ثورة على التقاليد الفاسدة، والنفوس السيئة المتمردة، والأرواح الطاغية.

❋العبادة ثورة على الشركيات والبدعيات، بحيث تقضي هذه الثورة على كل فسادٍ ومُفْسِد، وباطل ومُبطل، تتحقق فيها معاني العبودية الحَقَّة، يوقن فيها العبد ألَّا ملجأ من الله إلا إليه.. ولا مخرج منه إلا له..

فيقضي على سوء الحياة بهذه العبادة السليمة، ويمحو سوء النفوس

بهذه العبادة، ويُبطل وسوسة الشيطان بعبادته.

فإذا ما عاش كذلك في مدرسة العبودية، وقد جنى تقوى الله في حركاته وسكناته، وخطراته وخلواته، ويومه، وأمسه، وغده، إذا ما وصل لهذه الدرجة؛ فإنك تراه طيِّب النفس، قويّ الإيمان، وقد غرقت سيئاته وسوء أخلاقه في بحار من الحسنات وحسن الخُلُق.

العبادة ثورة على المظهرية الجوفاء، والأداء الآلي للعبادات، البعيد عن استحضار المعاني، والذي يحول بين أداء العبادة الصحيحة، واستصحاب القلب فيها.

❋ كل شيء في هذه الثورة التعبُّدية في صالحك عبد الله.. فيا ترى...

هل ستنبعث هذه الثورة في نفسك؟!

❋ ❋ ❋

هل ستزكيها وتنمِّيها وتشعلها؟!

❋ ❋ ❋

وهل ستُعلى نارها وتضيء نورها؟!

❋ ❋ ❋

ماذا يريد الله منك؟



١ـ الاتصال المباشر برب الأرض والسماء دون وسيط.

٢ـ التوسط والاعتدال:

بحيث يحرص العبد على العبادة (من غير إفراط أو تفريط).

٣ـ اليسر وسهولة التطبيق:

إن الله -تعالى- لَمَّا أوجب على العباد طاعته واتباع أوامره، ألزمهم بذلك بغير قصد تعنيت البشر، أو فرض المشقة عليهم، أو إيذائهم، أو تحميلهم ما لا يطيقون بل على العكس لقد جاءت التكاليف الشرعية في حدود الطاقة البشرية، وفي مقدور الناس في حالاتهم العادية، ومن ضعف عن أداء ذلك -بسبب مرض، أو عذر شرعي مماثل- فقد جعل الله له تيسيرًا ورخصًا فوق ذلك في أداء العبادات: كالصلاة، والصيام، والوضوء، وغيرها.

ولهذا فقد قعد علماؤنا -رحمهم الله- بعض القواعد الدالة على رفع الحرج، والتيسير على المكلف، والمستنبطة من

كتاب الله، وصحيح سنة رسول الله ﷺ؛ فقالوا: «المشقة تجلب التيسير، وإذا ضاق الأمر اتسع»، وغيرها، [مستفاد من كتاب: «العبادة وآثارها في تربية النفس الإنسانية»، لـ أ.د/ عبد العزيز بن عبد الرحمن، (من ص: ٤٠، ٥٠، ٥٦)] ط وزارة الأوقاف وشئون الدعوة والإرشاد بالمملكة العربية السعودية].

استراحة إيمانية

قال شيخ الإسلام ابن تيمية:

«من أراد السعادة الأبدية فعليه بذل العبودية»



شروط العبادة السليمة

وحتى تكون صحيح العبادة -أخي الكريم- فلابد من توفر شروط ثلاثة:

١- أن تكون صادق العزيمة: ونعني بذلك: ترك التكاسل والتواني، وبذل الجهد في أن يصدق القول الفعل؛ قال تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لِمَ تَقُولُونَ مَا لَا تَفْعَلُونَ {٢} كَبُرَ مَقْتًا عِندَ اللهِ أَن تَقُولُوا مَا لَا تَفْعَلُونَ﴾ [الصف: ٢، ٣].

- كذلك فصدق العزيمة يعني: أنك لا تُوزع إرادتك على رغبات شتى، فتضعف إرادتك فيما تريد وجه الله به، بل الصادق هو من صدق الله في قوله وفعله، وفي إرادته وقصده وطلبه، كذلك فهو صادق مع ربه في عمله..

- وضد صدق العزيمة: الكذب على النفس، عن طريق التردد في فعل الخير، والكذب على الخلق، بهدف التجمل في أعينهم.

٢- أن ترفع شعار: «إياك أريد، وفق ما تريد»:

أ- وأعني بالشق الأول: (أنه لا يعبد إلا الله)؛ لأن العبادة هي الترجمة العملية للإيمان، والإيمان لا بد أن يكون خالصًا لله، لا شريك معه فيه غيره، كذلك فالعبادة لا تُصرف إلا لله؛ قال تعالى: ﴿وَمَا أُمِرُوا إِلَّا لِيَعْبُدُوا اللَّهَ مُخْلِصِينَ لَهُ الدِّينَ حُنَفَاء﴾ [البينة:٥].

إذن فالإخلاص لله: هو قارب النجاة من الغرق في بحر النفاق، والشرك والرياء، وحب الظهور، وبوار الأعمال.

لذا، فإن المؤمن في عمله وعباداته، وفي أقواله ونشاطاته: أحوج ما يكون إلى الإخلاص؛ حتى لا يكون ممن عناهم الله بقوله: ﴿وَقَدِمْنَا إِلَى مَا عَمِلُوا مِنْ عَمَلٍ فَجَعَلْنَاهُ هَبَاء مَّنثُورًا﴾ [الفرقان:٢٣].

فلابد للمؤمن قبل كل عمل من تصحيح النية، وتقويم القصد، وتصفية النفس؛ لأن الإخلاص هو صمام الأمان في حياة المؤمنين، به تزكو أعمالهم، وتُضاعف أجورهم، وترفع درجاتهم.

لهذا فإن المسلمين المخلصين: مدعوون للخروج من ذواتهم، وحظوظ أنفسهم ومدعوون إلى تنقية السرائر قبل الظواهر. لأنهم يعلمون يقينًا أنه كم من أعمال كبيرة أفسدتها خواطر صغيرة وحقيرة؟!

وكم من مكابدة ومجاهدة ضَيَّعتها رغبات مشوبة فاسدة؟!

ولذلك قال ابن الجوزي: (إنما يتعثر من لم يخلص). [«صيد الخاطر» (ص٣٥٥)].

فعدم الإخلاص مانع من موانع قبول الأعمال، وحاجز لرحمة الله بكل صورها: من نصر، وتمكين، وسكينة، وطمأنينة، ووحدة، ووفاق، وتوفيق في الاتجاه والحركة نحو الله ﷻ.

ب- وأعني بالشق الثاني من الكلمة: (أنه لا يعبد الله إلا بما شرع): لأنه لما كان الله هو المعبود -وحده دون غيره-، وكان هو الذي يشرع للعباد ما يتعبدهم به، وما يكلفهم بأدائه، إذ هذا حق خالص له وحده سبحانه، لا يشاركه فيه أحد من خلقه، كائنًا من كان.

لذا كان من الواجب على من أراد أن يعبد الله حقًّا: أن يعبده وفق المنهج الذي شرعه في كتابه، أو على لسان رسوله ﷺ، وهذا هو ما أصَّله علماؤنا -رحمهم الله- بقولهم: (إن الأصل في العبادات الحظر والمنع)، وقولهم: (إن العبادة توقيفية)، أي: أنها تتوقف على النص والدليل، وتقف عنده لا تتعداه، إذ إن العبادات ليست مجالًا للإبداع، أو الابتكار، وكذلك فلا مجال فيها للزيادة والنقص، وإنما تؤخذ وتُطبق كما جاءت صفتها بنصوص القرآن والسنة، وكما طبقها رسول الله ﷺ، بدون تعديل، أو حذف، أو إضافة.

واقع محزن:

والناظر إلى واقع المسلمين اليوم يجد أن أكثر الناس قد اتفقوا على تحقيق الإخلاص في أثناء السير إلى الله، إلا أنهم اختلفوا في تحقيق الكلمة الثانية اختلافًا واسعًا؛ فمنهم المُبتَدع، ومنهم المتَّبع.

فإذا تقرر لديك -عبد الله- أن الله لا يقبل من العباد إلا ما كان خالصًا لوجه الله، صوابًا، على سنة رسوله ومصطفاه ﷺ، كان لزامًا عليك أن تراعي هذين الشرطين عند أداء أي عبادة، حتى يكون عملك صالحًا مقبولًا.

واحذر أخي:

أن تكون عبادتك وطاعتك وفقًا لمرادك، أو تحقيقًا لهوى طبعك، أو مسايرة لإلفك، بل قدِّم ما قدمه الشرع، ولو كان في ذلك مخالفة للرأي والإلف والطبع، لتحقق الاتباع الذي غابت أنواره عن أكثر الناس في هذا الزمن.

كذلك فاحذر:

الابتداع في دين الله، سواء كان [في القول، أو العمل، أو في

الاعتقاد، أو في الفعل والترك]، واعلم أنه ما عُصِيَ الله - تعالى- بأشرَّ من البدعة، لعظم جنايتها، وكثرة أخطارها ومفاسدها على الفرد والأمة كافة.

فاتبع نبيك -عبد الله-، ولا تبتدع في دين الله، واعلم أنَّ السعادة والهدى في متابعة رسول الله ﷺ إذ أن خير الهدي هدي محمد ﷺ، وأن الشقاء والضلال في مخالفته ﷺ؛ وليكن منهجك في حياتك الدنيا هو قول ربنا تبارك وتعالى «وإن تطيعوه تهتدوا..» وليكن شعارك في حياتك قول أحد السلف: «**إن استطعت ألَّا تحُك رأسك إلَّا بأثرٍ فافعل**».





إنه من المعلوم لكل عاقل، ناقد، بصير، أن بيتًا بلا أركان لا يمكن أن يقوم، كذلك **فإن للعبادة أركانًا لا تتحقق إلا بها.**

وأجنحة العبادة ثلاثة



١- المحبة: وهي ها هنا محبة العبودية، المستلزمة للذل والخضوع، وكمال الطاعة، وإيثار المحبوب على غيره. فهذه المحبة يجب أن تكون خالصة لله، ولا يجوز أن يشرك معه فيها أحد، قال تعالى: ﴿وَمِنَ النَّاسِ مَن يَتَّخِذُ مِن دُونِ اللهِ أَندَاداً يُحِبُّونَهُمْ كَحُبِّ اللهِ وَالَّذِينَ آمَنُواْ أَشَدُّ حُبًّا للهِ﴾ [البقرة:١٦٥].

أنواع المحبة:

* **هناك محبة طبيعية**، كمحبة الجائع للطعام.

* **ومحبة إشفاق**، كمحبة الوالد لولده.

* **ومحبة أنس وألفة**، كمحبة الشريك لشريكه، والصديق لصديقه، وهذه المحبة لا يؤاخذ أحد بها، وإن زاحمت المحبة المختصة، فلا يكون وجودها شركًا؛ لكن لابد أن تكون المحبة المختصة مقدمة عليها.

علامات المحبة الصادقة:

١. تقديم ما يحبه الله على ما يحبه العبد.

٢. اتباع الرسول ﷺ ظاهرًا وباطنًا.

٣. التنعُّم بالطاعة، وعدم استثقالها، والاجتهاد في تجويدها وتحسينها.

٤. الجهاد في سبيل الله: بالنفس، والمال، واليد، واللسان.

٢- الخوف: قال حاتم الأصمُّ: (لكل شيء زينة، وزينة العبادة: الخوف).

والخوف المقصود هنا: هو الخوف من الله -تعالى-، والخوف من أليم عقابه ﷻ، خلافًا لما يزعمه بعض الصوفية: «نعبد الله لا طمعًا في جنته، ولا خوفًا من ناره».

أنواعه :

١) **الخوف [المعروف بخوف السرِّ]: وهو:** أن يخاف العبد من غير الله -(من وثن، أو طاغوت، أو ميت، أو غائب)- أن يصيبه بمكروه، وهذا لا شك أنه مُوقِع في الشرك؛ لأن الخوف من أعظم مقامات الدين وأجلّها، فمن صرفه لغير الله فقد أشرك بالله شركًا أكبر.

٢) **الخوف** الذي يحمل بعض العباد على ترك ما يجب عليهم فعله خوفًا من بعض الناس: ولا شك أن هذا محرم، وهذا شرك أصغر.

٣) **الخوف الطبيعي:** وهو الخوف من عدو، أو سبع، أو غير ذلك، وهذا ليس بمذموم.

فالواجب عليك -عبد الله-: أن تظل خائفًا وَجِلًا من ذنوبك، وإياكَ ثمَّ إياكَ أن تُعجب بكثرة العمل، فإنك لا تدري أَقُبِلَ منكَ أم لا؟!

إياك ثم إياك أن تخدع بتزكية بعض الخلق لك فإن الممدوح حقيقة هو من مدحه ربه.

ولا تأمن ذنوبك، فإنك لا تدري أكُفِّرت عنك أم لا؟!

٣- الرجاء: هو من أجلِّ منازل السائرين، وأعلاها، وأشرفها، وهو يعني أنك تُحسِن الظن بربك، وترجو ثوابه.

فعليه وعلى الحب والخوف مدارُ السير إلى الله.

لذا قال بعض السلف: (من عبَدَ الله بالحب وحده فهو زنديق، ومن عبَدَ الله بالخوف وحده فهو حَرُورِيّ خارجي، ومن عبَدَ الله بالرجاء فهو مُرجِئ، ومن عبد الله بالحب والخوف والرجاء فهو: المؤمن الموحد)..

الحب والخوف والرجاء: بمثابة الأجنحة التي يطير بها المقربون إلى كل مقام محمود، وبها تُزال مِنْ طُرُق الآخرة كل عقبة كئود، فلا يقود إلى قرب الرحمن، وروح الجنان، مع كونه بعيد الأرجاء، ثقيل الأعباء، محفوفًا بمكاره القلوب ومشاق الجوارح، إلا [الحب، والرجاء] .

ولا يصد عن نار الجحيم، والعذاب الأليم -مع كونه **محفوفًا بلطائف الشهوات، وعجائب اللذات- إلا سياط التخويف، وسطوات التعذيب.**

نسأل الله أن يرزقنا من فضله العظيم

شبهات شيطانية

قد يقول قائل: أنا حرٌّ، أعبد الله، أو لا أعبده، أفعل الخير، أو لا أفعله.. أنا حرٌّ!!

فإذا أمره آمرٌ بالمعروف، أو زجره زاجرٌ عن المنكر، تراه يرد عليه متبجحًا معاندًا قائلا: **يا أخي أنا حر، فأنت لن تحاسبني، وإنما الذي سيحاسبني على سائر أعمالي هو الله؛ إن خيرًا فخير، وإن شرًّا فشرّ؛ فاتركني وشأني.**

والجواب: إن كلمة «**أنا حرٌّ**».. فشت، وانتشرت على ألسنة الكثيرين من أهل الجهل والسفسطة؛ تقليدًا للعلمانيين والملحدين، و محاكاة للجاحدين المُعرِضين عن طريق رب العالمين، بسبب شهوة أو شبهة، أو هوى نفس، أو عناد وتكبر، أو اختيال من الشيطان.

والحقيقة: أن هؤلاء جميعًا لم يفهموا حقيقة معنى هذه الكلمة، فمعنى [أنا حر] **عند هؤلاء = أنا مُتَفَلِّت، مُعرِض عن دين الله.**

ولكن الحقيقة: أن الواقع يُكَذِّبُ زعمهم هذا، وإذا أردت أن تُدرك صدق ما أقول فانظر إليهم إذا نزلت بهم مصيبة، أو حدثت لأحدهم كارثة..؛ **هل سيقول أحدهم:** أنا حر. أما تراه يُضطر للجوء إلى الله، يدعوه، ويتضرع إليه، بعد أن تنازل عن عناده وغطرسته وعُتُوِّهِ تحت وطأة الموقف الصعب الذي يتعرض له.

لماذا إذن...؟ لأن النفس البشرية السَّوِيّة فُطرت على الإيمان بالله، والعبادة تُعَدُّ الإشباع الحقيقي لهذه الفطرة، تلبيةً لهذه الحاجة.

فيا من تقول: **أنا حرٌّ في فعل المعاصي والذنوب، وترك الطاعات.**

نقول لك: خالفت نداء الفطرة السليمة التي فطر اللهُ الناسَ عليها.

ثم نقول لك: إننا لسنا أحرارًا؛ نفعل ما نشاء في أي وقت، بل نحن عبيد لله ﷻ، شئنا أم أبينا!!

قال تعالى: ﴿إِن كُلُّ مَن فِي السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ إِلَّا آتِي الرَّحْمَٰنِ عَبْدًا﴾ [مريم: ٩٣].

فنحن جميعًا عبيد لله بالسنن الكونية أو بالسنن الشرعية، بالجبر والاضطرار أو بالرضا والاختيار.

فلماذا ترضى أن يكون الجماد، والحيوان، خيرًا منك؟!

ثم ألا تعلم -عبد الله- أن اعتقاد الإنسان أنه يملك نفسه، يُعدُّ من أخطر مظاهر الشرك في قضية المِلك والمُلك. التي هي من أخص خصائص الربوبية..

فالإنسان الذي يظن نفسه حرًا مع أوامر الله -تعالى- إن شاء قَبِلَها وإن شاء ردَّها، وأنه لا سلطان لأحدٍ عليه هو على خطرٍ عظيم قد يصل به إلى الفسوق والكفر -عياذًا بالله من الخذلان-

شبهة والرد عليها

وذلك لأن الأصل أن يرى الإنسان نفسه فقيرًا مع الله -تعالى- فمن رأى نفسه مستغنيًا عن ربه -عز وجل- فإنه قط يطغى ويكفر، كمن وهبه الله سمعًا وبصرًا وحياة، وعقلًا، وبدنًا، ويدًا، ورجلًا، وبطنًا، وفرجًا... ثم هو يزعم أن له الحق المطلق في التنعم بهذه المنن وتلك النعم من غير قيود، فإذا قيل له: الزم تقوى الله، وعليك بالصلاة، وحافظ على الصيام.. رد قائلًا: أنا حر، قال تعالى: {وقل الحق من ربكم فمن شاء فليؤمن ومن شاء فليكفر} [الكهف: ٢٩].

ولا شك أن استدلاله على هذا الباطل بهذه الآية الكريمة استدلالٌ فاسد، وذلك لأن الغرض من أسلوب الأمر في هذه الآية الكريمة هو للتهديد والوعيد، وليس المقصود منه الإباحة، ومما يدل على ذلك بقية سياق الآية: {إنا اعتدنا للظالمين نارا أحاط بهم سرادقها وإن يستغيثوا يغاثوا بماء كالمهل يشوي الوجوه بئس الشراب وساءت مرتفقا} [الكهف: ٢٩].

فالمقصود من الآية: هو ألا نكره الناس على الدخول في الإسلام، وليس في الآية دليل على أن الإنسان له الحرية المطلقة في الإيمان أو الكفر بلا تبعة، وبلا عقاب، بل كما ذكرنا سلفًا: إن الأمر جاء هنا بالتهديد، كقولك «افعل كذا وسترى عاقبة فعلك» فليست هذه في الحقيقة حرية، بل هو مسئول عن تصرفاته بعد ذلك...



ولهذا نقول لك –أخي الشاب–:



تفعل ما تريد، في أيِّ وقت تريد

أبدًا.. ولكنك عبد لله، لا تستطيع أبدًا أن تخرج عن حول الله وقوته وسلطانه؛ بل لا تستطيع أن تُحرِّك ساكنًا، ولا أن تُسكِّن متحركًا، إلا بإذن ربِّك لك، وهذا من أعظم الدلائل على أنك مربوب مخلوق ضعيف محتاج للعبودية..

فإذا أيقنت بهذا.. فكن مفتقرًا إلى الله في كل أحوالك، فإنك لا تملك الاستقلال عنه، ولا تستطيع الاستغناء عنه ﷻ؛ لأنه هو ربُّك الذي ربَّاك..، فإياك إياك أن تعصي ربك بدعوى «الحرية».

أما إذا جحدت أنك مربوب مخلوق لله تعالى[1]؛ وخلعت

(١) وعلى هذا فمن جحد ربوبية الله تعالى فاعتقد أن للإنسان الحق في التصرف المطلق في ماله أو جسمه أو حياته من غير التزام بأحكام الشريعة فقد خرج من ملة الإسلام..

ربقة ألوهيته وربوبيته من عنقك فعليك الاستغناء عن هذا الإله إن استطعت، فلا تأكل من رزقه، ولا تستظل بسمائه، ولا تَعِشْ فوق أرضه، وإذا نَزَلَ بكَ كرب، أو حَلَّت بك مصيبة، فلا تدعوه، أو ترجوه..

هل تستطيع ذلك؟! أو هل تقوى عليه؟!

إذن.. فالحرية التي تدعيها حرية كاذبة، أما الحرية الصحيحة فهي أن تكون مما سوى الله حرًّا..



كذلك.. فمن سار على درب دعاة لغرب فزعم أنه حر في فكره أو معتقده، وأن له الحرية الكاملة في الطعن في الدين، أو سب الله أو سب الأنبياء بدعوى «حرية الفكر» فقد كفر كفرًا مخرجًا عن ملة الإسلام.



وقد يقول آخر: أنا أفضل من غيري؛ فأنا أصلي، بينما غيري لا يصلي، أنا أصوم، بينما كثيرٌ من زملائي لا يصوم.. فلماذا أكثر من التعبد؟!

والجواب: إن الكمال الزائف الذي يشعر به كثير من الناس إنما هو مدخل من مداخل الشيطان على العبد.

حيث إنه يجعلك تنظر إلى من هو دونك في الأعمال الصالحة، وما ذاك إلا ليُثَبِّطُكَ عن العمل الصالح.

فإذا عزمت على المنافسة فى طاعة من الطاعات، تراه يوسوس لك قائلًا: سيشفع لكَ عملك الصالح الذي قدمتَه، فلا تُتعِبْ نفسك، ودعْ هذا الأمر.

ثم يشغلك بعمل بعض المباحات، ويوسوس إليك قائلًا: لا بأس استرح قليلًا، فأنت مشغول، أنت أحسن من غيرك.. ويظل يوسوس لك.. وهكذا: ليجعلك تقعد عن الطاعات ولا تَجِدْ فيها.

والمطلوب منك عكس ذلك:

يُطلب منك -عبد الله- أن ترفع من همة نفسك؛ لتكون دائمًا صاحب همة عالية، يطمح في الوصول إلى المعالي، ويتطلع إلى الأعالي، ولا يرضى بالدون أو الدور الأخير، أو العمل الحقير.

يرمي الخبيث بالطيب، والدرن بالصيِّب، ويسمو كل يوم إلى طاعة، ويرنو كل ساعة إلى نفائس البضاعة، يستزيد من كل خير، ويتخفف من أيِّ شرٍّ.

وحتى تصل إلى المراد:

فاجعل لنفسك كل يوم هاتفا يهتف فيك: لأكونن اليوم أسبق السابقين إلى الله.

لن يسبقني إلى الله بشر؛ ذكرًا كان أم أنثى، عبدًا كان أو حرًّا، عربيًّا كان أو أعجميًّا..

كلا. اليوم أنا الأول

وحيث يكون المكان أو الزمان فأنا الأول.

شبهة ثالثة

ومن الناس من يزين له الشيطان هواه، ويدعوه إلى تأجيل بعض العبادات وتسويفها؛ فتراه يقول لك: «سوف أصلي غدًا، سوف أصوم غدًا»؛ متعللا بأنه شاب صغير، ولن يعيش سوى مرة واحدة، وينبغي أن يُحصّل الكثير والكثير من متاع الدنيا بغير قيود.

فإذا ذكّرته بالله تعالى، وبأهمية التوبة، وبخطورة أن يداهمه الموت وهو على هذا الحال؛ تراه يقطع عليك الطريق، ويروغ روغان الثعالب في مكر ودهاء، ويقول: «إذا تقدّم بي السن، وبَلَغْتُ من العمر عِتِيًّا، وأحسست بدنو الأجل: تبتُ وندمتُ».

وإلى هذا نقول:

اعلم أن هذا هو الخذلان المبين؛ لأن الموت يأتي بغتة، فلا يُفرِّق بين صغير وكبير، ولا بين غنيّ أو فقير، ولا بين عظيم أو حقير.

بل -يا من سوّفت وأسرفت- اعلم أن تأخير التوبة ذنب يجب التوبة منه.

ماذا يريد الله منك؟

واعلم أن تسويفك لأعمال الخير إنما نَتَجَ عن طول أملك، ومزيد حبك للدنيا، والرغبة للبقاء فيها، فاسْتَغفِرِ الله -تعالى-، وتُبْ إليه.

ثم إني أتوجه إليك بهذه الأسئلة:

- كيف يضمن الإنسان أجله وروحه بيد غيره، يقبضها إن شاء، وكيف شاء؛ للحساب والجزاء؟!

- وكيف يسوغ التسويف في حق من يعلم أنه مسئول عن طاعة ربه؛ من يوم تكليفه، إلى يوم موته؟!

فيا مؤخِّر التوبة بمطل التسويف، لأي يوم أجلتَ؟!

كل يوم تضع قاعدة الإنابة؛ ولكن على شفا جرف، كلما صَدَقَت لك في التوبة رغبة، حَمَلَت عليها جنود الهوى حملةً فانهزمت.

فيا ليت شعري..

أين أنتَ يا مسكين حتى تُعرجَ على التوبة؟!

ومتى يَحِنُّ قلبك إلى منحنى الأحباب؟!

شبهة رابعة

قد يقول قائل: ظاهر كلامك أنك تريد مني أن أترك عملي، ووظيفتي، وبيتي، وأظلَّ عاكفًا مُتعبِّدًا في المسجد!!

والجواب: من الذي أدخل عليكَ أن الإسلام أقرَّ الترهبن والانقطاع عن الدنيا، وترك الطيبات من الرزق، إنَّ هذا ليس من الإسلام في شيء.

ولقد سبق أن ذكرتُ لكَ أنَّ العبادة تتسع للحياة كلها، **فليست العبادة داخل المسجد فقط -كما يزعم أعداء الإسلام-**، فإذا خرج المسلم من المسجد فهو حرٌّ طليق، يفعل ما يشاء كيف يشاء؛ بدعوى [أن هذه نقرة، وهذه نقرة].

❋ ولنعلم أنه بسبب هذا الفهم الخاطئ حصل **«الانفصام والانفصال في شخصية كثير من المسلمين هذه الأيام»**؛ حيث إنك قد تجد المرء محافظًا على الصلاة، والحج، والعمرة، وأحيانًا يكون له وِردٌ من القرآن، وهو في الوقت ذاته يسرق الناس، ويغشهم، ويظلمهم؛ بل لا

يرتدع عن اقتراف المحرمات، ولا يكترث بفعل المنهيات، وهو يظنُّ أنه مسلمٌ كامل الإسلام.

ومن هنا نشأت المشكلة: حيث ظنَّ كثيرٌ من الناس أن للعبادة مكانًا محددًا، ووقتًا معينًا، فإذا انقضت هذه العبادة انتهت علاقة المسلم بإسلامه وشرع ربه.



كيف نحل المشكلة؟!

الخطوة العملية لحل هذه المشكلة هي: أن نُصحِّح مفاهيم الناس، ونعلمهم ونعرفهم ما ننادي به، فإننا لا ندعو الناس لهجر الدنيا.

بل على العكس، ندعو لتعميرها وإصلاحها، وفق مراد الله ورسوله.

وفي الوقت ذاته نُحذِّر الناس من هجر القربات، وتناسى الطاعات؛ بل نطالب جميع المسلمين بالثبات على عباداتهم، وطاعاتهم.

ولا أعني بذلك: التفرُّغ التام للاعتكاف في المساجد لإقامة الشعائر، إذ ليس هذا من مقاصد الشرع، وإنما أدعو إلى تنسيق ساعات الليل والنهار في مختلف العبادات.

ولن أقول لك ـ كما يقول البعض ـ: [عليكَ بتنسيق ساعات الليل والنهار بين أعمال الدين وأعمال الدنيا، أو بين العمل والعبادة].

فكل هذا مجانب للصواب، والعلة فى ذلك أنه يجب على المسلم أن

يكون مُشتغلًا بالعبودية لربه ومولاه في كلِّ نَفَسٍ يتنفَّسه، فلا يجوز له أبدًا أن يخرج عن عبوديته لربه طرفة عين ولا أقلَّ من ذلك.

فإن هو فعل ذلك: كان مخالفًا لقوله تعالى: ﴿وَمَا خَلَقْتُ الْجِنَّ وَالْإِنسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ﴾ [الذاريات:٥٦].

إذ الله ﷻ لم يخلقنا إلا لأداء وظيفة واحدة، وهي: العبادة -فحسب-؛ فلا يجوز لنا الانشغال بسواها.

واعلم -أخي المكرّم- أن حاجتك وحاجة العباد إلى التدين والتعبد أعظم من حاجتك إلى الطعام والشراب والدواء، إذ قصارى نقص ذلك أو عدمه تلف الأبدان، أما التدين والالتزام ففيهما حياة القلوب والأبدان....

وأخيرًا:

أنصحك -أخي الحبيب- فأقول: إن التدين والتعبد أمران ضروريان لإصلاح العبد في معاشه ومعاده، فكما أنه لا صلاح للمرء في آخرته إلا باتباع الرسالة، فكذلك لا صلاح له في دنياه ومعاشه إلا باتباع أمر الله ورسوله، كما قرر ذلك شيخ الإسلام ابن تيمية -رحمه الله- في المجموع (١٩/ ٩٩).

فهيا..

-أخي الكريم- شمر عن ساعديّ الجد، واجتهد في إصلاح دينك ودنياك بالإكثار من التعبد، وأكثر من سؤال الله أن ييسر لك سبل الطاعات، وأن يعينك على أداء سائر العبادات والقربات.. على الوجه الذي يرضيه -سبحانه وبحمده-.



كيف يكون العمل عبادة؟!

١- أن يكون العمل مشروعًا؛ بالكتاب، والسنة، لا يشوبه أدنى شبهة شرك، أو أقل درجة شك.

٢- أن يستحضر صاحب العمل النوايا الصالحة الخالصة؛ قبل العمل وبعده[1].

٣- أن يكون هذا العمل وفق ما شرع الله بالوحي على رسوله، بعيدًا

---

(١) قال الشيخ ابن عثيمين -رحمه الله-: ينبغي أن تستحضر النية في جميع الأحوال، وفي جميع العبادات.

فينوي مثلاً: الوضوء، وأنه توضأ لله، وأنه توضأ امتثالاً لأمر الله.

فهذه ثلاث أشياء:

١- نية العبادة. ٢- نية أن يكون لله -تعالى-. ٣- ونية أنه قام بها امتثالاً لأمر الله.

وهذا هو أكمل شيء في النية...

راجع كتاب «حقيقة شهادة أن لا إله إلا الله وأن محمدًا رسول الله» للأخت/ رابعة الطويل.

تقديم سماحة الشيخ/ عبد العزيز آل الشيخ ص٥٨ ط. شركة بيان الخير، وتسجيلات الاستقامة الإسلامية بالكويت.

كل البعد عن الابتداع والاستحسان من البشر.

٤ - ألا يشغله عمله هذا عن طاعة أهم وأوجب؛ كصلاة الجماعة، أو طلب العلم الشرعي الواجب تعلُّمه.

فمثلا: السعي في طلب الرزق الحلال، الذي لا شبهة فيه، يُعدُّ من أقدس العبادات -إن توفرت فيه الشروط السابقة-، وهكذا.

وعلى هذا فالسائر إلى الله -تعالى- يلزمه أن يجتهد فى ألا يعمل عملا ولو مباحا إلا بنية صالحة لكى يثاب عليه، فإن أَكَلَ استحضر له نية، وإن نام استحضر لذلك نية، وكذلك إن باع أواشترى، أو جالس إخوانه وغير ذلك من الأعمال، وأعلى منه درجة من يستحضر للعمل الواحد عدة نوايا، فينال من الأجر على قدر نياته لقوله ﷺ: **«وإنما لكل امرئ ما نوى»** متفق عليه.

وإن شاء الله يصيب الأجر حتى وإن لم يتمكن من تنفيذ بعض هذه النوايا لقوله ﷺ: **«مَنْ هَمَّ بحسنة فلم يعملها كتبها الله عنده حسنة كاملة»** متفق عليه.

قد تقول: اذكر لي عددًا من النوايا الصالحة، التي ينبغي لي أن أستحضرها عند عملي؟!

والجواب: إذا أنت أخلصتَ الوجهة لله تعالى، فيُستحبُّ لكَ أن

تستحضر عددًا من النوايا الصالحة التي تبارك العمل، وتُكثر من أجر فاعله، ومن ذلك:

➢ أنه نِعْمَ المال الصالح للعبد الصالح... فإذا رُزِقتَ مالًا، فلتكن نيتك أن توجهه في إصلاح الخَلْقِ، ودعوتهم إلى ربهم، ومساعدة المجاهدين المرابطين على الثغور في سبيل الله.

- كذلك فلتكن نيتك هي: برّ أهلك، وأبيك وأمك، عن طريق شراء ما يحتاجون إليه، وتزويدهم بكل ما يطلبونه.

- ولتكن نيتك أيضا: أن تكفل يتيمًا، وأن تسعى على أمور الأرامل والمساكين.

- ولتكن نيتك أيضا: إذا فتح الله لكَ باب المال أن تقضي حوائج الفقراء المعوزين، وأن تخفف آلام المرضى والمحتاجين.

- ولتكن نيتك أن تستر به العورات، وأن تصون به الأعراض، عن طريق مساعدة الشباب المسلم الفقير في أمور الزواج الحلال.

- ولتكن نيتك أن تعف نفسك وأهلك وأولادك بالحلال.

- ولتكن نيتك أن تكفل طالب علم فقير، أو أن تشتري كتبًا

شرعية؛ لتوزع حسبةً لله تعالى؛ لينشر العلم الصحيح في ربوع الأرض.

➢ فإذا أخلص العبدُ لله النيةَ في طلب الرزق بهذه الصورة، كان عمله هذا عبودية من أقدس العبادات، وطاعةً من أجلِّ الطاعات.

وبذلك تصبح حياة المسلم كلها عبادات، فلا يخرج من عبادة إلا ليدخل في غيرها.

ونسأل الله الكريم...

أن يطلق جوارحنا فى طاعته

وأن يستعملنا فى مرضاته







شكوى

أخي الحبيب.. كأني بكَ أسمع شكواك من نفسك، وأنك كلما هممت بفعل الخير، أَقْعَدَتْكَ تلك النفس، وكلما أردتَ ترك المعاصي، لم يُطِعكَ هواكَ.

نعم.. تلك هي شكوانا جميعًا، وإن اختلفت صورها.

لذا فأنصحك ونفسي بالاستعانة بالله -تعالى-: واعلم -يا عبد الله- أن الاستعانة بالله كنز عظيم، من حصَّله ربح، وفاز فوزًا عظيمًا.

● ثمَّ إننا بحاجة إلى روح جديدة، تبثُّ فينا الإيمانيات، وتعيننا على جهاد أنفسنا، وقهر أهوائنا، وتدفعنا دفعًا لفعل الخيرات، وهجر المعاصي والمنكرات.



معالم مضيئة

- إن العبد المؤمن يعلم أنه منذ استقرت قدمه في هذه الدار، وهو مسافر فيها إلى ربه، ومدة سفره هي عمره الذي كُتِبَ له، والأيام والليالي مراحلُ لسفره، فكل يوم وليلة مرحلة من المراحل، فلا يزال يطويها مرحلة بعد مرحلة، حتى ينتهي السفر.

- فالكيس الفطن هو الذي يجعل كل مرحلة نُصْبَ عينيه، فيهتم بقطعها سالمًا غانمًا، فإذا قَطَعَها جعل الأخرى نُصْبَ عينيه، ولا يطول عليه الأمد، فيقسو قلبه، ويمتد أمله، فيُحَاصر بالتسويف والوعد والتأخير والمطل.

- ولا يزال كذلك، فإذا انتهى من مرحلة، استقبل المرحلة الأخرى التي تليها من عمره، فلا يزال هذا دأبه حتى يطوي مراحل عمره كلها، فيُحْمَد سعيه، ويبتهج بما أعده ليوم فاقته وحاجته، فإذا طَلَعَ صبح الآخرة، وانقشع ظلام الدنيا، فحينئذٍ يُحْمَد سُراه، وينجاب عنه كُراه، فما أحسن ما يستقبل يومه، وقد لاح صباحه، واستبان فلاحه.

[نقلًا عن: «طريق الهجرتين، وباب السعادتين» (ص ١٧٤)].

- الخلاصة: أن العبد في هذه الحياة هو بمثابة المسافر في طريق

طويل شاق، والسفر يحتاج إلى: زادٍ، وأمنٍ، وقوةٍ، وراحلةٍ، وأخذٍ بأسباب النجاة؛ ليصل إلى هدفه.

- ولما كانت الجنة محفوفة بالمكاره، والنار محفوفة بالشهوات، وقد يعترض المسلم في أثناء سيره إلى ربه بعضُ العقبات والمُعوِّقات؛ كان لزامًا على هذا العبد السالك إلى ربه أن يتعرف على هذه المعوقات ليكون منها على حذر...

معوقات السفر إلى الله

١	٢	٣	٤
قلة الزاد الإيماني، وضياع رأس المال التربوي والتعبدي، مما يجعل العبد ضعيفًا أمام نفسه	عدم إدراك فضل العبادة في وقت الفتن	الآفات القلبية التي تعرض للسائر إلى الله: كالرياء، وحب الظهور	الغفلة عن الأسلحة الإيمانية
٥	**٦**	**٧**	**٨**
عدم الاستعانة بالله المعين، والاعتماد الكلي على الذات	نسيان الهدف والغاية من السفر، واستطالة الطريق	الاستجابة لوساوس شياطين الإنس والجن	كثرة الفتن: كفتنة المال، والزوجة، والجاه....

هذه بعض المعوقات، التي تعرقل سير المسافر إلى ربه.

علامات على الطريق

وإليك هذه العلامات الهامة، والتي تُعينك -بعد الله- على السير القوي المنتظم في طريق العبودية لرب البرية:

١- استعن بربك وخالقك على الدوام: فإنه من أعانه الله فهو المُعان، ومن خذله فهو المخذول.

ثم إياك أن تنشغل عن الملك، أقصد: «قلبك»

فالقلب هو محل منازل الإيمان، وهو أعظم عضو في الإنسان، وهو مكان الوعي، ومحل الفكر والتدبر والعلم...

القلب ملك الجوارح: لهذا فإن أعظم وظيفة له معرفة فاطره، ومحبته والابتهاج بحبه، والرضى عنه، والتوكل عليه، والحب فيه، والمعاداة فيه، ودوام ذكره، وأن يكون أحب إليه من كل ما سواه، وأرجى عنده من كل ما سواه، وأجل بقلبه من كل ما سواه، ولا نعيم ولا سرور له، ولا لذة، ولا حياة إلا بذلك.

وكما أن الجوارح لها غذاء وصحة وحياة، كذلك القلب له غذاء وصحة وحياة، فإذا فقد غذاءه وصحته وحياته، فالهموم تُسارع من كل صوب إليه، والأحزان تتكالب غالبًا عليه.... نقلاً عن «إغاثة اللهفان من مصائد الشيطان» لابن القيم ص ٢٢٤.

ولهذا أوصيك أن ترفع هذا الشعار.. قلبي..... ثم قلبي....

٢- حافظ على صلاح قلبك: سبق أن ذكرنا أن: القلب هو محل منازل الإيمان، وهو أعظم عضو فانشغل بإصلاح قلبك، فهو المخاطَب والمعاقَب والمُطالَب، واعلم بأن المرء يوزن بقلبه يوم القيامة، فحافظ على قلبك، فإنه بمنزلة الملك من الرعية، وعليه واجبات ووظائف. واذكرك أخي الكريم بكلامٍ قيّم للإمام ابن القيم إذ يقول في كتابه «الوابل الصيِّب من الكلم الطِّيب» ص٤٥.

واعلم بأن الأعمال لا تتفاضل بصورها وعددها، وإنما تتفاضل بتفاضل ما في القلوب:

- فتكون صورة العملين واحدة .. وبينهما تفاضل كما بين السماء والأرض..

- ويكون مقام الرجلان في صف واحد... وبين صلاتيهما كما

بين السماء والأرض...

وإذا أردت الإيضاح لهذا المعنى فانظر:

*إلى ذكر من قلبه ملآن بمحبتك أهل يكون ذكرهما واحدا؟ أم هل يكون ولداك اللذان هما بهذه المثابة، أو عبداك أو زوجتاك، عندك سواء؟!

* وذكر من هو معرض عنك غافل ساه مشغول بغيرك وقد انجذبت دواعي قلبه إلى محبة غيرك وإيثاره عليك.

...فاحرص على قلبك -أخي الحبيب-، واجتهد في إصلاحه... ما استطعت إلى ذلك سبيلا

تفقد قلبك دومًا:

* واحذر إهمال العبادات القلبية فإنه مَن أهمَلَ العبادات القلبية كان كمن أسقط التكاليف عن «الملك»، وانتظر من الرعية التفاني في العمل والإنتاج.

* لذا أنصحك ألا تهمل قلبك أبدا، وألا تغفل عن إصلاحه طرفة عين، وإن كلفك هذا الشيء الكثير، حتى وإن كنت ستجوب الأرض كلها بحثا عن دواء ناجح لإصلاح هذا القلب.

٣ـ أقبل ولا تخف: أقبل على ربك، مفتقرًا إليه، متذللًا بين يديه، مستسلمًا لأمره ونهيه، متجردًا من كل حظوظ نفسك وأهوائها.

واعلم أن الافتقار إلى الله حادٍ يحدو العبد إلى ملازمة التقوى، ومداومة الطاعة، ويتحقق ذلك بأمرين متلازمين، هما:

✍ إدراك عظمة الخالق وجبروته.

✍ إدراك ضعف المخلوق وعجزه.

٤- انكسر لربك: فإن الانكسار له -سبحانه- من أعظم

القربات، وأعلى العبادات؛ لأنه يُذكر الإنسان على الدوام بأنه عبد.. عبد ضعيف فقير عاجز..

لا يملك حتى أن يطعم نفسه ويسقيها، أو أن يرزقها قوتها، وإن كان معه كنوز المال، وأسباب الغنى والإجلال، ومسببات القوة: من المركز، والمنصب، والمئونة، والزاد، والمركب.

إن أنت حققت ذلك فتذكر:

- إن وقفت يومًا في منصبك تأمر وتنهي، ولا تُؤمَر ولا تُنهَى، فتذكر أن ربك هو الذي منحك هذا المنصب وأعطاك إياه، وإن شاء سلبك بعد العطاء... فعندها ستنكسر.

- إن وقفت يومًا تصلي فَسَرَحَ عقلك، وطاش لُبُّك، وهِمْتَ في الدنيا كلها بقلبك، وكثر التحرك بجسدك..، فتذكَّر أنك تقف أمام ملك الملوك، الذي سَوَّاك وخَلَقَكَ وعدَّلك... فعندها ستنكسر

إن دَعَوْتَ يومًا إلى خير، أو نَشَرْتَ فضـ[illegible]، أو حاربت بدعة، أو ثُرتَ على منكر، أو قاومت فسادًا أو باطلًا..، فـ[illegible]ـكَّر نعمة واحدة مما أنعم الله عليكَ بها، وأنك مهما فعلت، ومهما اجتهدت ما وفَّيت ذرة من حق شكر هذه النعمة... فعندها ستنكسر.

دعوة للانكسار

فهيا -عبد الله- انكسر لربك.. طأطئ له رأسك، وغُضَّ له طرفك، واجمع عليه همَّك، ثم عليكَ بدوام الصمت، وسكون الجوارح، والمبادرة بفعل الأمر، واجتناب النهي، وقلة الاعتراض على القَدَر.

واجتهد في: مداومة الذكر، وملازمة الفكر، وإيثار الحق على الباطل، والإياس على الخلق، والخضوع تحت الهيبة، والانكسار تحت الحياء، والسكون عن حيل الكسب ثقةً بالضمان، والتوكل على فضل الله ﷻ معرفة بحسن الاختيار.

وهذا كله ينبغي أن يكون شعارك، في جميع ليلك ونهارك.

٥- خف الله على قدر قربه منك، وقدرته عليك: واعلم أنه ما استعان عبد على دينه بمثل الخشية من الله، والخوف منه.

٦- عظم الآمر الناهي: وهذا هو مقتضى العبودية، فإن العبودية: أن يقول الرب: أمرت ونهيت، وأن يقول العبد سمعت وأطعت.

٧- عبِّد جوارحك كلها لربك: **فعلى سبيل المثال ....**

ليكن لسانك عامرًا بالذكر والنصح، والأمر بالمعروف، والنهي عن المنكر، ورَدِّ السلام.

واجعله كالمسلول عند مواطنِ الغيبة، والنميمة، والسب، والاستهزاء، والغناء، وما لا يرضي الله تعالى.

وليكن بصرك متجهًا دائمًا وأبدًا إلى الخير، فلا تستعمله إلا في خير؛ كتعهد مصحفك، والقراءة المنتظمة فيه، وقراءة الكتب المفيدة النافعة، والنظر والتأمل في عظمة السماء والأرض وما فيهما من المخلوقات؛ كالقمر، والحيوانات، والحشرات، والجبال، والبحار، والسحاب، والبشر، وكيف خلق الله العظيم هذه الأشياء العجيبة؟!.

فتعرف من خلال إطالة النظر، وتعمُّق الفكرة، عظمة الله المطلقة، فتكُفَّ بصرك عن جميع ما حرَّم الله؛ كالنظر إلى النساء الأجانب..... وهكذا.

٨- كن سبَّاقا بالخيرات، ومُسارعًا في مختلف الطاعات، مخلصًا لرب البريات.

٩- اجعل لك خبيئة من عمل صالح، لا يعلمها إلا الله.



صلاة الليل:

إن قيام الليل عبادة جليلة، تصل القلب بالله، وهو صفة المؤمنين المخلصين، فقلما سهر الليل منافق.

في وقت هدأت فيه الأصوات، ونامت العيون، وتقلَّب النوم على الفُرُش.

بينما كثير من الناس كذلك، هبَّ قُوَّامُ الليل من فُرُشهم الوثيرة، وسررهم المريحة، وكابدوا الليل، فلم يناموا إلا القليل.

قال عمرو بن ذر: (لمَّا رأى العابدون الليل قد هجم عليهم، ونظروا إلى أهل الغفلة قد سكنوا إلى فُرُشهم، ورجعوا إلى ملاذهم من النوم، قاموا إلى الله فرحين مستبشرين بما قد وهب لهم من حسن عادة السهر، وطول التهجُّد، فاستقبلوا الليل بأبدانهم، وباشروا الأرض

بصفائح وجوههم، فانقضى عنهم الليل وما انقضت لذتهم من التلاوة، ولا ملَّت أبدانهم من طول العبادة، فأصبح الفريقان وقد ولَّى عنهم الليل بربح وغَبن (خسارة)، فأصبح هؤلاء متطلعين إلى مجيء الليل للعادة).

فشتان ما بين الفريقين!!

- فأين أنت منهم؟!

- وإلى أي الفريقين تنتسب؟!).

١٠- رتِّب أولوياتك التعبدية وفقًا لما شرَّع الله ورسوله[1]:

فلا تقدِّم الاجتهاد في التعبد على الاهتمام بتصحيح العقيدة.

كذلك فلا تجتهد في أداء النوافل بإتقان، وأنت مضيعٌ للفرائض، أو تارك لبعضها.

لا تتوسع في الأعمال المباحة (كزيارة الأصدقاء، أو ممارسة الرياضة...)، وأنت مُقصِّر في أداء الواجبات (كصلاة الفجر في المسجد جماعة).

---

[1] إنَّ التشريع بالأولويات أمر ثابت، ولكن – ولشديد الأسف- فهم كثير من الناس هذا الأمر فهمًا خاطئًا، ومن ثَمَّ رتب بعضهم الأولويات الشرعية وفقًا لنظرتهم العقلية المجردة، ورؤيته السطحية البعيدة عن فهم حقيقة الأحكام الشرعية ودلالتها، وكيفية تنزيلها على الواقع بما يُعرف «بتحقيق المناط»، بل لم يتوقف الأمر عند هذا الحد، بل تطاول بعضهم على دين الله، فعَمِدَ إلى تقسيم دين الله تقسيمًا مُحْدَثًا: إلى قشور ولباب،

لا تُقدِّم أمرًا مستحبًا على أمرٍ واجب إذا تعارضا..

لا تقتصرْ على عبادة واحدة دون بقية العبادات؛ ولكن اجعل لكَ نصيبًا موفورًا من كلِّ عبادة -على حسب الأولوية-، ولتكن كالنحلة تجمع الرحيق من كل الزهور، ثم تخرجه عسلًا مُصفًّى شهيًّا سائغًا للآكلين.

١١- الزم الاستغفار والتوبة قبل بدء العمل، وفي أثنائه، وبعده: فابدأ طاعتك بالتوبة إلى الله، والإنابة إليه، والاعتراف بالتقصير، والوقوع في الذنب والإساءة.

فإذا كانت البداية هي: التوبة النصوح، والاعتراف لله تعالى بالعجز والنقص والتقصير قبل أداء الطاعات، فإن هذا يعود على العابد بطهارة الروح، وسمو القلب، وبالتالي يحدث الاجتهاد المطلق لأداء المطلوب من التكاليف الشرعية التعبدية على الوجه المرغوب؛ بكمال الحب، مع كمال الذل.

فإن جدَّد العبد التوبة إلى الله في أثناء العبادة، واجتهد في أدائها على الوجه المُرضي، وَوَفقهُ الله -تعالى- فيها للخشوع والخضوع لله رب العالمين، فهذه علامة خير

فإن سقطت الدموع، وأفاق القلب الغافل النائم من سُباتِه، فَسَبَّح بحمد ربِّه واستغفره وتاب إليه، فللمرء أن يفرح ويسعد، لأن بُشريات القبول قد بدت تلوح في الأُفُق.

فإذا انتهيت من عبادتك: فتب إلى الله تعالى، واستغفره.

وهذا الفعل قد حثَّ ربنا عباده عليه عقيب العبادات، فقال عزَّ من قائل في الحج: ﴿ثُمَّ أَفِيضُواْ مِنْ حَيْثُ أَفَاضَ النَّاسُ وَاسْتَغْفِرُواْ اللَّهَ إِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ﴾[البقرة:١٩٩]، وقال تعالى: ﴿وَبِالْأَسْحَارِ هُمْ يَسْتَغْفِرُونَ﴾[الذاريات:١٨]. قال الحسن: (مدوا الصلاة إلى السحر، ثم جلسوا يستغفرون).

وسن لك رسول الله ﷺ أن تقول بعد الصلاة: «استغفر الله» ثلاثًا، إلى غير ذلك.



فأكثر من الاستغفار بعد الطاعة

قد تقول: ولماذا أُكثر من الاستغفار بعد أداء الطاعات؟!

والجواب:

لتقصيرك في الإتيان بها على الوجه اللائق به ﷻ.

حتى لا يتسرب العُجب إلى قلبك، فتُسَرُّ بالعمل، وترضى به، وتنسى أن ربك ومولاك هو الذي امتنَّ عليكَ به، ولولاه لما أُعِنتَ على أداء هذه العبادة، لو ما وفقت لإتمامها.

١٢- كن على وجل.. من عدم قبول العمل:

فمع شدة إقبال العبد على الطاعات، والتقرُّب إلى الله بأنواع القربات، ينبغي على العبد أن يكون حريصًا مُشفقًا على نفسه أشد الإشفاق، يخشى أن يُحرَم القبول. فعن عائشة -رضي الله عنها- قالت: سألت رسول الله ﷺ عن هذه الآية: ﴿وَالَّذِينَ يُؤْتُونَ مَا آتَوا وَّقُلُوبُهُمْ وَجِلَةٌ﴾[المؤمنون:٦٠]، أهم الذين يشربون الخمر ويسرقون؟! قال: «لا يا ابنة الصدِّيق، ولكنهم الذين يصومون ويصلون ويتصدقون، وهم يخافون أن لا يُقبل منهم، أولئك الذين يسارعون في الخيرات». [رواه أحمد والترمذي وابن ماجه، وصححه الألباني في السلسلة الصحيحة (رقم ١٦٢)].

فعلى الرغم من حرصهم على أداء هذه العبادات الجليلات، فإنهم لا يركنون إلى جهدهم، ولا يمتنُّون بها على ربهم، بل يزدرون أعمالهم، ويُظهرون الافتقار التام لعفو الله ورحمته، وتمتلئ قلوبهم مهابةً منه ووجلًا، يخشون أن تُرد أعمالهم عليهم -عياذًا بالله-، ويرفعون أكُفَّ الضراعة ملتجئين إلى الله، يسألونه القبول.

لهذا أكد السلف الصالح على هذا الأمر غاية التأكيد:

- فهذا عليّ بن أبي طالب رضي الله عنه يقول: «كونوا لقبول العمل أشد اهتمامًا منكم بالعمل، ألم تسمعوا بقول الله يقول: ﴿إِنَّمَا يَتَقَبَّلُ اللَّهُ مِنَ الْمُتَّقِينَ﴾ [المائدة:٢٧]».

- وهذا عبد العزيز بن أبي رواد يصف حال إخوانه فيقول: (أدركتهم يجتهدون في العمل الصالح، فإذا فعلوه وقع عليهم الهم؛ أيُقبل أم لا؟).

فيا أخي.. ماذا عساك أن تفعل بعد هذه الأخبار؟!

وتتأكد حقيقة الوجل من عدم قبول العمل عند أهل الإيمان بأربعة أمور:

١ - أن الله عز وجل غني عن طاعات العباد.

٢ - أن قبول الأعمال إنما هو من فضل الله ورحمته.

٣ - أن المنة لله جميعًا، والفضل لله وحده دون غيره.

٤ - أن الحي لا يأمن على نفسه أن تجرفه رياح الأهواء والفتن؛ لهذا كان من دعاء النبي ﷺ: **«اللهم مُصرِّف القلوب صَرِّف قلوبنا على طاعتك»**. [رواه مسلم].

١٣ - احرص على تحصيل بركات الطاعة وثمرات العبادة:

واعلم أن بركات الطاعة أعظم من أن تُحصى؛ ولكن يكفي أن تعلم أنه سيصلك من الله كل بر، وستصل بكَ طاعتك إلى كل خير، فإن الطاعة ودودٌ ولود، تحب أختها، وتستوحش لوحدها، ولا تحب البقاء على حالها، ولكنها تستدعي حسنة وحسنة، وتضم أجرًا إلى أجر، وثوابًا إلى ثواب، وهي دليل الوصول، وعلامة القبول.





الطاعة وأخواتها

✍ كذلك فإن العبد إذا عَمِلَ بطاعة الله، ابتدره المَلَك، وابتعد عنه الشيطان، فلا يدله المَلَك إلا على طاعة وخير وتزكية وبرٍّ، ولذلك قالوا: (ثواب الطاعة.. الطاعة).

١٤ـ اجتهد في الدعاء بالثبات على نعمة التعبد. واعلم أن نبيك ﷺ قال: «عبادة في الهرج كهجرة إليَّ». [رواه مسلم]

✍ وإياك:

أن تتحول عبادتك إلى عادة، ولعل السبب فى ذلك هو: إلف العبادة الشكلية، المجردة من الروحانيات، حتى يصل الأمر بالعبد أن يفقد حلاوة هذه العبادة ولذتها، فلذلك تراه لا يستشعر أجرها، فتصبح العبادة عنده مجرد حركات آلية، لا أثر لها في السمت، أو في القول، أو في العمل.

✍ واحذر: أن تتجمل في عيون الخلق، فإن هذا يسقطك من عين الحق.

✍ احذر آفة العُجْب:

العجب آفة قلبية تنتج عن أشياء، وهي:

- ملاحظة العمل
- نسيان التقصير في العمل
- الرضا عن العمل
- الاطمئنان لقبول العمل

= إعجاب المرء بنفسه

✍ نتائج العجب:

(١) الكسل والخمول في أداء العبادات والتكاليف الشرعية.

(٢) الأمن من مكر الله.

(٣) مفتاح لكثير من الآفات القلبية: كالغرور، والكِبْر، وحب الظهور.

(٤) تجعل صاحبها على شفا جرف من الضلال والانتكاس -والعياذ بالله-.

علاجه:

ينقسم إلى

علاج علمي — علاج عملي.

أولا: العلاج العلمي

1- الاستعانة بالله تعالى.

2- سؤال الله أن يُطهر القلب من آفاته، وأمراضه -عامة-، وهذا المرض -خاصة-.

3- أن يستصغر العبد عبادته، وأن يستقل طاعته، بجانب آلاء الله ونعمه.

4- أن يعلم هذا المعجب أن عمله غير مقبول حتى يتوب ويخلص لله العمل.

لهذا ينصح ابن القيم -رحمه الله- هذا المريض بالعجب، **فيقول:** (إنك إن تبيت نائمًا، وتصبح نادمًا، خير من أن تبيت قائمًا، وتصبح

معجبًا، فإن المعجب لا يصعد له عمل، وإنك إن تضحك وأنت معترف، خير من أن تبكي وأنت مدل...، وأنين المذنبين أحبُّ إلى الله من زَجَلِ المسبحين المدلين، ولعلَّ الله أسقاه بهذا الذنب دواءً استخرج به داءً قاتلًا، هو فيك ولا تشعر). [مدارج السالكين (١/ ١٧٧)]

ثانيا: العلاج العملي:

(١) الإسرار بالطاعة كما يكتم الواحد أمر المعصية.

(٢) مصاحبة المخلِصين المُخلَصين.

(٣) رفع شعار «أريد حسنة»، مع السعي الحثيث لتحصيل الثواب والأجر.

كذلك فاحذر: **هجر التعبد بحجة الخوف من الرياء:** لأن ترك العمل خوفًا من الرياء يعد حبالة من حبالات إبليس، **وفي هذا يقول القاضي عياض:** (تركُ العمل لأجل الناس رياء، والعملُ لأجل الناس شرك).

يقول النووي معلقًا على كلام القاضي: (ومعنى كلامه -رحمه الله-: أنَّ من عَزَمَ على عبادة، وتركها مخافة أن يراه الناس: فهو مراء؛ لأنه ترك

العمل لأجل الناس، أما لو تركها ليصليها في الخلوة فهذا مستحب، إلا أن تكون فريضة، أو زكاة واجبة، فالجهر بالعبادة في ذلك أفضل...).

[راجع شرح الأربعين النووية (ص١١)].

إذا أصابك هذا الوسواس.. فماذا تفعل؟!

يشير عليك ابن حزم –رحمه الله–: (ألَّا تلتفت إلى هذه الشبهة، وأن تمضي في أداء عبادتك من غير تراجع؛ ويعلل ذلك قائلًا: لأن في مخالفتك لهواك وشيطانك قمعًا لهما، أمَّا إذا استجبت لهذه الشبهة، فإنك إذا أردت الإقبال على أي طاعة من الطاعات، أوشك الشيطان أن يعترضك عند كل عمل صالح «بالخَطَرات بالرياء»، وحينها تدع كل طاعة...). [نقلاً عن الأخلاق والسير (ص١٦)].



ماذا يريد الله منك؟

احذر الفتور

* الفتور هو شعور قد يحس به السالك إلى الله بعد فترة من الاستقامة، فتراه يشكو ويقول: لا أحسُّ بحلاوة التلاوة القرآنية كما كنت، ولا أشعر بسعادة قيام الليل كما كنتُ من قبل، ولا أجد متعة المناجاة كما كان حالي سلفًا.. أشعر بتآكل إيماني، فما الحل؟!

الجواب: عليك بالاستعانة بربك، ومن أراد العون فعليه أن يستمده من صاحب العون، وقد أرشدنا المولى ﷻ إلى طلب الاستعانة والتوفيق إلى الطريق المستقيم أثناء توجهنا إليه في صلاتنا، ووقوفنا بين يديه ﷻ، خاشعين خاضعين، قال تعالى معلمًا عباده إخلاص التوجه إليه في الطاعة والعبادة وطلب التوفيق منه للثبات على هذه الطاعة: ﴿إِيَّاكَ نَعْبُدُ وَإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ﴾ [الفاتحة:٥].

* فعندما تصاب النفس بالكسل والخمول عن الطاعة، وتنطفئ شعلة الحماس الإيماني، وتتعثر القدم، فلا خروج لكَ من هذه

الخطوات الجادة في الطريق إليه ﷻ[1]، كالتزود بالفرائض والنوافل، وظمأ الهواجر، وإدمان تلاوة القرآن، واستدامة الذكر، وتذكر أحوال الموت وما بعده، واستشعار المسئولية تجاه هذا الدين.

احذر التفلت والانقطاع

- لا يُتصور أبدًا أن تجتهد في التعبد حينًا من الدهر، ثم تنقطع عن ذلك بقية عامك، أو بقية عمرك، فإن ذلك من شِيَمِ اللئام!!

- فكيف يتصور أن تكون في وقت من الأوقات وتدًا من أوتاد المساجد، ثم بعد فترة تهجر المساجد بالكلية؟!

- كيف يُتصور أن تكون في ليلة من الليالي عابدًا تاليًا للقرآن، وقد تورمت قدماك من طول القيام، ثم بعد فترة نراكَ تقوم الليل أمام شبكة الإنترنت، تركع وتسجد لا لله؛ وإنما للممثلة «فلانة»، والمغنية «فلانة»؟

(١) وقد عالج هذه الظاهرة علاجًا شافيًا وافيًا فضيلة الشيخ المربى/ محمد بن حسين يعقوب، فى كتابه «إلى الهدى ائتنا»، فنتصح به كل من يحس بالفتور، ويشعر بالانتكاسة، وتظهر عليه أعراض الضعف أو الجفاف الإيمانى، كذلك أنصح المربين بمراجعة بحث «المنهج فى التعامل مع المتكسين» تأليف/ أبى عبد الإله صالح بن مقبل العصيمى التميمى.. فهو بحث جيد فى بابه.

- أما علمتَ أن المؤمن دائم الانتقال من طاعة إلى طاعة، ومن عبادة إلى عبادة، رائده في ذلك قوله تعالى لخير خلقه ﷺ: ﴿وَاعْبُدْ رَبَّكَ حَتَّى يَأْتِيَكَ الْيَقِينُ﴾ [الحجر:٩٩].. (أي: لا تنفك عن الطاعة، ولا تفارقها حتى الممات).

- **اعلم أن طريق الطاعة** صعبٌ وشاقٌّ على النفس؛ لأنه يمنعها من شهواتها وملذاتها، ولكني أُذكِّرُكَ بيوم طويل، كثير عطشه، طويل حرُّه، عظيم هوله، ينتظرك ولا يُخلف الله الميعاد، ألا وهو: يوم الموقف، حين تقف خمسين ألف سنة، والشمس فوق الرؤوس، **فلِمَ لا تكون من المقربين في ذلك اليوم؟!**

- **لن تكون معهم إلا** إذا كنت قد شابهتهم في طاعاتهم.

ثم.. أما تشتاق لشربة هنيئة من يد النبي محمد ﷺ، من حوضه يوم القيامة؟!

- ووالله إنه ليس عطشًا، وليس عذابًا، بل هو لذة لا يعرفها إلا المحبون، ويكفيكَ لتصبر على بعض المشاق التي قد تقابلكَ أثناء عبادتك أن تتذكَّر موقفًا آخر يطول معه البكاء والحزن، إنه موقف أناس بؤساء، طال عطشهم، وطال حزنهم، وبكوا الدم بدلًا من الدمع... إنهم أهل النار!!

ألا تذكرهم!!:

أيها المفرط في الطاعات! أما تستشعر شدة هذا الموقف؟!

افترض أنك منهم، وتخيل أن النارَ تحيطُ بكَ الآن، وأنت تستشعر حرَّها في وجهك، وتعيش مع هذه الآية، والتي حقيقتها: نداء من أهل النار لأهل الجنة: ﴿أَنْ أَفِيضُوا عَلَيْنَا مِنَ الْمَاءِ أَوْ مِمَّا رَزَقَكُمُ اللَّهُ قَالُوا إِنَّ اللَّهَ حَرَّمَهُمَا عَلَى الْكَافِرِينَ﴾ [الأعراف:٥٠].

كأني بكَ وبهم، يريدون أي شيء، ما دام من الجنة، وإنه لا يأتي منها إلا الطيِّب.

فلماذا تبعد عن الجنة؛ بتفريطك، وتقصيرك، وتفلُّتك؟!

وهذه صيحة حارة من عطاء الخرساني: (اجعلها أمام عينيك دائمًا)، فقد كان يحيي الليل ثم يخرج رأسه من خيمته، فيقول: (يا عبد الرحمن.. يا هشام بن الفار.. يا فلان.. قيام الليل وصيام النهار أيسر من شرب الصديد، ولبس الحديد، وأكل الزقوم، فالنجاة النجاة).

هل تصورت:

هل تصورت في يدك الآن كوبًا ممتلئًا بـ ....؛ لا ماءً، ولا مشروبًا

باردًا، بل صديدًا وقَيْحًا، أو عصارة من عصارات أهل النار.. فكيف تصبر على شربه؟! ألا فاختر لنفسك!!

لا تكن كالتي نقضت غزلها:

قال ربي في محكم التنزيل: ﴿وَلَا تَكُونُوا كَالَّتِي نَقَضَتْ غَزْلَهَا مِنْ بَعْدِ قُوَّةٍ أَنْكَاثًا تَتَّخِذُونَ أَيْمَانَكُمْ دَخَلًا بَيْنَكُمْ أَنْ تَكُونَ أُمَّةٌ هِيَ أَرْبَى مِنْ أُمَّةٍ إِنَّمَا يَبْلُوكُمُ اللَّهُ بِهِ وَلَيُبَيِّنَنَّ لَكُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ مَا كُنْتُمْ فِيهِ تَخْتَلِفُونَ﴾ [النحل:٩٢]، فإياك، ثم إياك من نقض الغزل بعد غزله!!

أرأيت لو أن امرأة غزلت غزلًا، فصنعت منه قميصًا أو ثوبًا، فلما نظرت إليه وأعجبها، جعلت تقطع الخيوط، وتنقضها خيطًا خيطًا، بدون سبب، فماذا يقول الناس عنها؟!

إن ذلك هو حال من يرجع إلى المعاصي، والفسق، والمجون، ويترك الطاعات، والأعمال الصالحات، فإنه بعد أن تنعَّم بنعيم الطاعة، ولذة العبادة، عاد إلى جحيم المعاصي والفجور.

نصيحة غالية:

ينصحك ابن القيم -رحمه الله- فيقول: «إن أنفاسك تُعد، ورحالك تُشد، والعارية ستُرد، والتراب من بعد ذلك ينتظر الخد، فاشتر نفسكَ اليوم، فإن السوق قائمة، والثمن موجود، والبضائع رخيصة، وسيأتي على تلك السوق والبضائع يوم لا تصل فيه إلى قليل ولا كثير، ﴿ذَٰلِكَ يَوْمُ التَّغَابُنِ﴾ [التغابن:٩]، ﴿وَيَوْمَ يَعَضُّ الظَّالِمُ عَلَىٰ يَدَيْهِ﴾ [الفرقان:٢٧]».

فيا من أعتقه مولاه من النار!!

وإياك أن تعود بعد أن صرت حرًّا إلى رقِّ الأوزار.. أيبعدك مولاك عن النار؛ وأنت ما زلت تقترب منها، وينقذك منها؛ وأنت توقع نفسك فيها، ولا تحيد عنها؟!

ألا فتُب، وأعلن توبتك من [التفلُّت والانقطاع].

- **وقُل لنفسك ولغيرك:**

لا بديل عن الطاعة

لا بديل عن نصرته ﷺ على أهوائنا وشهواتنا..

لا مناص أمامنا من طرد الدنيا من قلوبنا، وأن يكون الله ورسوله أحب إلينا من زوجاتنا، وأبنائنا، وأمهاتنا، وأموالنا، وعقاراتنا.

ولا بديل أيضًا عن هجر المعاصي، والمسارعة في الخيرات، والتنافس في أعمال الخير؛ لتكون من أبناء الآخرة.

لا بديل عن الفرار إلى الله، والعمل على استرضائه.

لا بديل عن الطاعات -وإن قلَّت-، فإنَّ أحبَّ العمل إلى الله أدومه وإن قلَّ.

لا بديل عن أن نكون من أوتاد المساجد، وفي الصفوف الأولى في الصلاة.

لا بديل عن أن نكون مستيقظين في ثلث الليل الأخير، صافِّين أقدامنا في محاريب الصلاة، نبكي ونتذلل لله تعالى، نسترضيه، ونرجوه، ونطلب منه العفو، والمغفرة، والفَرَج، والنصر على ذواتنا وأهوائنا وأعدائنا.

قد تقول: لقد حفزتني للاستقامة على أداء العبادات؛ ولكن العبادات كثيرة، فأرجو أن تضع لي تصورًا شاملًا لحياة المسلم المستقيم؟!.

والجواب: إليكَ هذا البرنامج الشامل لحياة المسلم، وهو مشتمل على:

البرنامج اليومي للمسلم من استيقاظه إلى نومه.

البرنامج الأسبوعي.

البرنامج الشهري.

البرنامج السنوي.

أعمال لحياة المسلم كلها.



أولا : البرنامج الإيماني اليومي للمسلم :

أعمال صالحة يومية سهلة عظيمة الأجر والنفع: (هي من أعظم الأعمال التي تزيد الإيمان وتزيل المعاصي المتأصلة من القلب).

العمل الصالح
١ - تقول أذكار الأذان عند سماعه (وهي أربعة أنواع ولها فضل عظيم)
٢ - ثم تتوضأ وضوء تامًّا حسنًا، ويتسوك عند المضمضة
٣ - ثم تقول بعد الوضوء: **(أشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له وأشهد أن محمدًا عبده ورسوله)**
٤ - ثم تمشي إلى المسجد بسكينة ووقار لأداء الصلاة جماعة، ولا بأس بالتسوك أثناء السير إلى المسجد.
٥ - حاول أن تبكر بالخروج للصلاة دون تأخير ليكون ممن ينتظر الصلاة .
٦ - وعند دخول المسجد قل: (اللهم افتح لي أبواب رحمتك)، ثم صلي ركعتين في الصف الأول خلف الإمام إن أمكن .
٧ - حافظ على السنن الرواتب (١٢ ركعة)، وإذا فاتك شيء منها فاقضه، ولا تدع ركعتي الفجر حتى ولو في السفر؛ فإنها **«خير من الدنيا وما فيها»**
٨ - احرص على قراءة الأذكار التي بعد الصلاة فأجرها عظيم.

العمل الصالح

٩ ـ اختم القرآن الكريم شهريًّا، بأن تقرأ جزءًا منه كل يوم، وأكثر من قراءة (قل هو الله أحد)، فإنها تعدل ثلث القرآن، واقرأ سورة البقرة فإن الشيطان يفرُّ من البيت الذي تقرأ فيه سورة البقرة.

١٠ – برنامج لراغبي تعلم القرآن الكريم: بأن يحفظه بإتقان مع فهم معانيه في ست سنوات (فهم معاني القرآن الكريم، وتدبره، لأن ذلك مُقَدَّم على حفظه بدون فهم)

ثانيا: برنامج المسلم من استيقاظه من النوم إلى صلاة الظهر:

(١) إذا استيقظ يقول: (الحمد لله الذي أحيانا بعدما أماتنا وإليه النشور) .

(٢) ثم يتسوك (٣) ثم يتوضأ (٤) ثم يصلي.

(٥) يقول أذكار الصباح بعد أذكار صلاة الفجر.

(٦) المكث في المسجد بعد صلاة الفجر حتى بعد شروق الشمس بربع ساعة لذكر الله.

(٧) صلاة الضحى:«أقلها ركعتان تبدأ من بعد شروق الشمس بربع ساعة إلى ما قبل أذان الظهر بخمس دقائق تقريبًا، وقد أوصى بها الرسول ﷺ أصحابه.

ثالثا: البرنامج من صلاة الظهر إلى صلاة العشاء

(١) بعد صلاة الظهر القيلولة (من ٤٥ ـ ٦٠ دقيقة) أو يجعلها بعد العصر ، أو يدعها.

(٢) بعد العصر يجعل وقتا لأعماله، ومشاغله، ويستحضر النية الصالحة فيها.

العمل الصالح

(٣) إذا حضر وقت المغرب يقول أذكار المساء.

رابعا: البرنامج من صلاة العشاء إلى صلاة الفجر:.

(١) جلسة إيمانية لمدة (**١٥ دقيقة على الأقل**) مع أهله وأبنائه. سواء كانت: قراءة من كتاب، أو كلمة طيبة، أو مسابقة، أو برنامج تربوي مبسط ..

(٢) السلامُ على والديه . وإذا لم يتمكن من الحضور إليهما فلا بأس بالاتصال الهاتفي.

(٣) قراءة كتاب قبل النوم لمدة عشرين دقيقة على الأقل: «كشرح رياض الصالحين -لابن عثيمين-، أو مجموع فتاوى ابن باز، أو ابن عثيمين، أو اللجنة الدائمة.

(٤) صلاة الليل والوتر (وهي مؤكدة الاستحباب حتى في السفر، ولا ينبغي تركها، ووقتها من بعد صلاة العشاء إلى طلوع الفجر، وأقلها ركعة، وإن صلى ثلاثا أو خمسا أو سبعا أو تسعا أو أحد عشر ركعة فهو أفضل فكل ذلك من السنة) .وليبدأ أولًا بثلاث ركعات، وبعدها خمس، وهكذا..

(٥) محاسبة النفس، وتجديد العزم على التوبة النصوح إذا أخل بواجب، أو فعَلَ محرمًا.

(٦) النوم المبكر، بحيث يكون النائم على وضوء، وينام على جنبه الأيمن، ويقول أذكار النوم، ويتفكر في الموت (وهو ضروري جدًّا لحياة القلب والاستمرار على العمل الصالح).

العمل الصالح

خامسًا: البرنامج الإيماني الأسبوعي (يوم الجمعة):

(١) الاغتسال. (٢) السواك. (٣) التطيب. (٤) ارتداء أجمل الثياب. (٥) المشي فهو أفضل من الركوب.

(٦) التبكير إلى صلاة الجمعة وعلى الأقل قبل دخول الإمام بساعة إلَّا ربع ثم يصلي ما شاء.. ركعتين أو أربعَ ركعات.

(٧) قراءة سورة الكهف في يوم الجمعة، ومن حفظ عشر آيات من أولها عُصِم من الدجال وفتنته.

(٨) والسنة بعد صلاة الجمعة: أن يصلي أربع ركعات في المسجد أو ركعتين في بيته.

(٩) الإكثار من ذكر الله بعد صلاة الجمعة والخروج من المسجد.

(١٠) الإكثار من الصلاة على الرسول ﷺ.

(١١) الدعاء ساعة الإجابة وهي آخر ساعة من عصر الجمعة، على الراجح من أقوال العلماء.

(١٢) زيارة المقابر للعبرة، والصلاة على الجنائز بالمساجد، إلا أن يكون مسجد به قبر أو مقام.

(١٣) صلة الأرحام والأقارب: بالزيارة، أو الاتصال الهاتفي بهم. وكذا إخوانه في الله من الصالحين، وكذا جيرانه .

العمل الصالح

سادسًا: البرنامج الإيماني السنوي:

أولًا: شهر الله محرم:

يستحب الإكثار من الصيام في شهر محرم وخاصة يوم العاشر، والمعروف بعاشوراء، مع صيام يوم التاسع أو الحادي عشر استحبابًا، ولا بأس بإفراد عاشوراء.

ثانيًا: شهر رمضان وشوال:

١- صيام رمضان بإيمان ٢- العمرة فيه، فهي تعدل حجة. ٣- قيام الليل مع الإمام فهو يعدل قيام الليلة كلها. ٤- الاعتكاف وخاصة في العشر الأواخر ٥ ـ تحري ليلة القدر. ٦- الإكثار من الصدقة. ٧- إخراج الزكاة الواجبة. ٨- ختم القران أربع مرات بمعدل ختمة كل أسبوع، أو على الأقل ختمة كل أسبوعين. ٩- إفطار صائم. ١٠- إخراج زكاة الفطر قبل صلاة العيد، ويجوز إخراجها قبل نهاية الشهر، ولا يجوز تأخيرها إلى بعد الصلاة، وهي صاع من الطعام (أرز، تمر، شعير، زبيب، ....وغيرها) ولا تجزئ القيمة فيها على الراجح من أقوال أهل العلم. ١١- التكبير ليلة العيد جهرًا بأن تقول: «الله أكبر، الله أكبر، لا إله إلا الله، الله أكبر، الله أكبر، ولله الحمد»، ويبدأ من غروب شمس ليلة العيد إلى أن يكبر الإمام لصلاة العيد. ١٢- أداء صلاة العيدين، ومن السنة: أن يأكل تمرات وترًا قبل الخروج لصلاة عيد الفطر دون الأضحى، ويعود من طريق آخر غير الذي سلكه لصلاة العيدين. ١٣-

العمل الصالح

صيام ستٍّ من شوال بعد رمضان «كصيام الدهر».

ثالثًا: عشر ذي الحجة وأيام التشريق (وهي الأيام من ١ إلى ١٢):

(١) الحج: وهو واجب في العمر مرة، ويستحب كل سنه لمن قدر عليه. (٢) الإكثار من الصلاة والصيام والذكر والأعمال الصالحة. (٣) التكبير في عيد الأضحى وقد سبقت صيغته، ويبدأ التكبير المطلق وهو في كل الأوقات من دخول العشر حتى غروب الشمس آخر أيام التشريق، وهو الثالث عشر، وبينما التكبير المقيد يكون بعد الصلوات ويبدأ من بعد صلاة فجر يوم عرفة حتى صلاة العصر آخر أيام التشريق. (٤) صيام يوم عرفة وهو اليوم التاسع من ذي الحجة. (٥) الأضحية: وهي سنة مؤكدة، وعليه إذا كان مضحيًا ألَّا يأخذ شيئًا من شعره أو ظفره حتى يذبح أضحيته بعد صلاة العيد وتوزع أثلاثًا «فيتصدق ويهدي ويأكل».

سابعًا: البرنامج الإيماني الشهري:

(١) صيام ثلاثة أيام من كل شهر، وذلك بصيام يوم الإثنين (٣ مرات)، أو الخميس (٣ مرات)، أو أول إثنَين وخميسين، أو الأيام البيض وهي: (١٣، ١٤، ١٥ من كل شهر).

العمل الصالح

(٢) ختم القرآن مرة واحدة في الشهر.

(٣) سنن الفطرة وهي: (حلق العانة، وتقليم الأظفار، ونتف الإبط، وقص الشارب)؛ (قال أنس: «وقت لنا فيهن ألَّا نترك أكثر من أربعين ليلة».

(٤) التصدق بشيء من الراتب، ولو كان المتصدق ذا مرتب ضعيف.

ثامنًا: أعمال لحياة المسلم كلها:

(١) أن يكون الهدف من أعمالك: جعل حياتك كلها لله، وفيما يرضيه؛ استعدادًا للرحيل عن الحياة.

(٢) توزيع أشرطة، أو كتيبات، والتبرع للجمعيات الخيرية بالمال.

(٣) القيام بعمل صالح يستمر أجره بعد الموت (إذا مات الإنسان انقطع عمله إلا من ثلاث: صدقة جارية، أو علم ينتفع به، أو ولد صالح يدعو له).

وكم من إنسان بليت عظامه والحسنات تنهال على صحائفه ليل نهار من أحد هذه الأعمال وأمثالها.

وأخيرًا .. ابتعد عن المحرمات الظاهرة المنتشرة، ومنها هذه العشر، وهي: الربا . الغيبة . النميمة . الكذب . عدم الصلاة في جماعة . حلق اللحية . سماع الأغاني . شرب الدخان . إسبال الثياب، ونحوه . ورؤية ما يحرم.



ونصيحتي لكَ

※ **اضرب مع** أهل كل عبودية بسهم، واعلم أنك عبد لا تنفكُّ عن هذا الوصف أبدًا، ولو لطرفة عين.

※ **كذلك فاعلم أن** عبوديتك لربك لا تتوقف أبدًا، ولا تنقضي بانقضاء أوقات معينة.

※ **بل اعلم أن** كل لحظة تمر عليكَ ينبغي أن تكونَ في عبادة، كذلك ينبغي أن تكون كل خطوة تخطوها إلى سيادة، وكل عمل تعمله إلى زيادة، وكل هدأة في رفادة، حتى إذا ما سعدتَ -بعد طول العمر- في القدوم إلى ربكَ، رأيتَ عوارف الجود، وحسنَ الوفادة.

الراحة غفلة

واعلم أن الراحة للرجال غفلة، كما يقول الفاروق رضي الله عنه: **«وأتعب الناس من جلَّت مطالبه»**.

النعيم لا يدرك بالنعيم

فاخلع عنك -عبد الله- الراحة، وليكن شعارك قول معلم الخير أحمد

بن حنبل لابنه: «يا بني... لقد أُعطيتُ المجهود من نفسي». رحمك الله يا إمام أهل السنة، وألحقنا بك فى الفردوس الأعلى فى الجنة.

• **واستمع إليه حين يسأل:** متى يجد العبد طعم الراحة؟! قال: «عند أول قدم يضعها فى الجنة».

• **لهذا فليكن شعارك:** قول ابن الجوزي -رحمه الله-: «من لمح فجر الأجر، هان عليه ظلام التكاليف».

• **حتى لو قال لك البطالون الكسالى:**

ارفق بنفسك. فقل لهم: الرفق أطلب.

أو قالو لك تفرغ لنا نلهو ونلعب ونضحك. فاقرع أسماعهم بقول عمر بن عبد العزيز -رحمه الله-: «وأين الفراغ؟! ذهب الفراغ، فلا فراغ إلا عند الله، لا مُستَراح للعابد إلا تحت شجرة طوبَى».

• **فإذا اشتد عطشك لما تهوى من الدنيا:** إلى معاكسة الفتيات، إلى السماع إلى الغناء المحرم، إلى محاكاة العصاة فى لهوهم غير البريء..، فقل لنفسك مُذكِّراً واعظاً:

طوبى لمن أظمأ نفسه ليوم الرّيّ الكامل.

طوبى لمن جَوّع نفسه ليوم الشبع الأكبر.

طوبى لمن ترك شهوات حياة عاجلة، إلى نعيم حياة آجلة، وموعد غيب لم يره.

• **فإذا وفقت لأداء هذه العبادات** على الوجه الشرعي المطلوب فأبشرك بلذة العبادة التي لا تُضاهيها لذة في الوجود كله، إنها لذة ربما لا تأتي للإنسان في عمره كله إلا دقيقة واحدة، وربما لحظة، وربما دقائق، وربما عاش ساعاته وأيامه ولياليه في هذه اللذة، التي هي أعظم من كل اللذات الوقتية الأخرى، التي يتهافت عليها الناس في هذا العصر: «كالمسكرات، والمخدرات» وهم يفعلون ذلك هروبا من مشاكلهم، ومن آلامهم، لكنهم لا يحسون اللذة، لأنهم كالمستجير من الرمضاء بالنار.

• **قد تقول:** أنا أصلي وأصوم، ولكن أشعر بشيء من التعب والمشقة وأنا أؤدي هذه العبادات، ولا أشعر بلذة العبادة!!.

والجواب: إنك لا تشعر بذلك لأمرين:

الأول: أن عبادتك لم تتم كما ينبغي، ولم تُفعل على الوجه الذي

أمر الله عَجَلَّ به، [فقد يكون الخلل في الخشوع، أو في الاستحضار، أو قد تكون هناك مخالفة ظاهرة في أثناء التعبد، وقد يكون الأمر متعلقا بالقلب ووظائفه، بحيث إنه لم يتوفر الإخلاص لهذه العبادة، أو حَصَلَ تقصير في الصدق، أو المتابعة...].

الثاني: لأن نصيب الإنسان من اللذة على قد تحقيق العبودية في قلبه، وعلى قدر قبول الله لها.

فإذا عقدت العزم قبل عبادتك، وتابعت نبيك ﷺ في أثناء أدائها، وأخلصت لله فيها، وحققت عبوديتك لربك.. فأبشر، فإن لذة العبادة ستكون من نصيبك بإذن -الله-.



ثمرات العبادة

قال بعض السلف: «من لم يعرف ثواب الأعمال، شقَّت عليه فى جميع الأحوال»....، فإليك ثمرات العبادة:

١. أنها امتثال لأمر الله تعالى، وما أعظمها من ثمرة!.

٢. أنها سببٌ لغفران الذنوب، وكفاية الله لعبده ما أهمه.

٣. أنها سببٌ للقرب من الله -تعالى- يوم القيامة.

٤. سببٌ لنزول البركة والرحمة، وسعة الرزق، ودفع العذاب والمصائب والبلاء.

٥. سببٌ لتفريج الهموم والمصائب والأحزان.

٦. تورث العبد الخشية، والسكينة، واليقين، وتداوى القلب من الشهوات والشبهات.

٧. أنها سببٌ لتكفير الذنوب والخطايا، وزوال الوحشة بين العبد وربه، وبالتالى تحصل محبة الله للعبد وإقباله عليه.



سابعا

كن لنفسك مربيا



إن التربية وفق المنهج الإسلامى هى: التى تصنع الرجال وتُحصِّن الأجيال، وتُهيئ الأشبال ليرتقوا ذرى الكمال، متسلحين بعقائد صحيحة، وأعمال صالحة، وأخلاق زاكية فى الدنيا، كما تُهيئهم لأنعم نعيم أهل الجنة فى الآخرة، وهو رؤية الله ﷻ.

التربية لماذا

إنه سؤال هام جًدا.. لماذا نُربى أنفسنا على امتثال أوامر الشريعة؟!

والجواب: إن التربيةَ أصلٌ ضخم، وأساس متين، لا يتم بدونه تغيير، ولا تنجح بدونه دعوة، وليس لها نهاية ينتهى عندها، ولا تستطيع البشرية الاستغناء عنها، فلا يستغنى عنها الكبير، فضلاً عن الصغير، ولا المنتهى، فضلا عن المبتدئ.

وتظهر أهمية التربية، والحاجة إليها، على مستوى الأمة، أفراداً وجماعات،

للآتى:

١) لأن التربية ترتبط ارتباطاً وثيقاً بالإنسان، منذ بزوغ فجر التاريخ، وظهور الإنسان على وجه الأرض.

٢) لأن التربية سببٌ رئيسى فى الحفاظ على قيم وقوانين الأفراد، والأمم، والشعوب.

٣) لأن الله أقسم أن الفلاح والنجاة يكون فى تزكية وتربية النفوس.

٤) لأن التربية مهمة الأنبياء -عامة-، ونبينا ﷺ -خاصة-.

٥) لأن تزكية النفوس، والدعوة إلى الإحسان، ومقت الباطل: شعبة من أهم شعب النبوة.

٦) لأن التربية تعصم من الفتن -بإذن الله-، خاصة فى هذه الآونة التى يتعرض فيها المسلمون لكل أنواع الفتن: (الإقتصادية، والاجتماعية، والسياسية، والعسكرية).

٧) لأن التربية وسيلة قوية للتحكم فى النفس البشرية.

٨) لأن التربية تعين صاحبها على دخول الجِنان.

٩) لأن التربية سبيل هام للحفاظ على الشباب من التساقط والانتكاس.

١٠) لأن التربية سبيل الخلاص وطريق التمكين.

إهمال تربية النفس وخطورة ذلك

سؤال هام: ماذا لو تخلَّى كل منَّا عن تزكية نفسه وتربيتها؟!

والجواب: إن مداومة تزكية النفس سبيل عظيم لحفظ الالتزام، وعلى العكس من ذلك فإن الغفلة عن التزكية والتربية سبيل خطير للشعور بالخواء النفسى والروحى، والتآكل الإيمانى، وهى خطوة أولى تأخذ بيد صاحبها إلى التراجع عن الالتزام بالكلية -عياذا بالله-.

• **لأجل هذا نقول:** إن الحقيقة الإسلامية التى تَعَبَّدَنَا الله -تعالى- بها، لا تتكون إلا من تناسق البواعث القلبية مع ظاهر السلوك والأعمال، ثم السير معاً على المنهج الإلهى، الذى اختطه لنا كتاب الله، وسنة رسوله ﷺ، فإن تَخلَّف أحدهما، فإن سير الآخر وحده لا يعبِّر عن أى حقيقة إسلامية، ولولا ضرورة هذا التناسق، لما كان للجهاد والتضحية أى معنى فى الإسلام، ولولا فقد هذا التناسق، لرأيت المسلمين اليوم فى أوج أحوالهم: من العزة، والوحدة، والقوة، فقد كان حسبُهم سلَّماً إلى ذلك مساجدهم العامرة، ومنابرهم الهادرة، وألسنتهم الداعية، وعلومهم الزاخرة، ولكن القلوب وحدها هى المختلفة، والبعيدة عن هذا كله،

فليس هناك تناسق بين الظاهر والباطن، بين الظاهر الذى تتخادع به، والحقيقة الخفية التى يطَّلع عليها علام الغيوب.

إذن.. فكل ما حلَّ بالمسلمين: من تأخُّر، وتخلُّف، إنما هو نتيجة حتمية لهجر تزكية النفوس، وتربيتها، ومحاولة إصلاحها.

✍ **ومما يدل على أهمية تزكية النفوس،** وخطورة إهمال ذلك الأمر: ما ذكره شيخ الإسلام، وحجة الأيام الشيخ/ محمد ناصر الدين الألبانى -رحمه الله-، حيث قال: (إذا أردنا استئناف الحياة الإسلامية، وإقامة المجتمع المسلم، فلا بد من القيام بهذين الواجبين: «التصفية والتربية»)، ويعنى -رحمه الله- بالتصفية: أى تصفية العقائد مما هو غريب عنها، كالشرك، وتصفية السنة من الضعيف والموضوع، وتصفية الأخلاق الإسلامية من العادات والتقاليد المذمومة، وتصفية الفكر الإسلامى من الاجتهادات الخاطئة المخالفة للكتاب والسنة، **ثم يقصد -رحمه الله- بالتربية:** أى تربية الجيل الناشئ على هذا الإسلام المُصفَّى من كل ما ذكرنا، تربية إسلامية نبوية صحيحة، منذ نعومة أظفاره، دون أى تأثر بالتربية الغربية الكافرة.

ثم ذكر رحمه الله، وقال: (وبدون هاتين المقدمتين «العلم

الصحيح»، و **«التربية الصحيحة على هذا العلم الصحيح»**، يستحيل فى اعتقادى أن تقوم قائمة الإسلام، أو حكم الإسلام، أو دولة الإسلام).

✍ **قد يقول قائل:** لقد اقتنعت بأهمية التربية، ولكننى لا أجد الشيخ المربى، الذى يقودنى إلى جانب السلامة، والذى يعلمنى كيف أرقق قلبى، وكيف أتخلق بالأخلاق الإسلامية؟!.

✍ **والجواب:** لا شكَّ أن الشيخ المربى بالغ الأثر فى تربية وتزكية المتربى.

✍ **ولكن،** ماذا سنفعل ونحن فى زمان نَدُرَ فيه وجود الشيخ المربى؟!، وكيف سيكون حالك إذا نَشَأْتَ فى بيئة ضعيفة الإيمان، ضعيفة التربية؟!.

✍ **لا بد من إيجاد بديل قوى،** حتى لا تترك نفسكَ فريسة للشهوات والشبهات، هذا البديل هو: **«التربية الفردية»، أو «التربية الذاتية».**

والسؤال الآن:



✍ إذا أردت النفس الزكية الطاهرة، فلا بد وأن تراجع نفسك، وتستدرك النقص الذى لحق بكَ، عن طريق جولة إيمانية طويلة، تصفِّى فيها عقائدك، وتزيد فيها من عبادتك، وتسمو عن طريقها بأخلاقك وذوقك، وتُثبِّت بها الإيمان فى فؤادك، ويعلو عن طريقها اليقينُ فى قلبك ووجدانك..».

✍ إذن.. فالطريق إلى تزكية النفس وتربيتها يكون بالحرص على:

١- تربية النفس **إيمانياً.**

٢- تربية النفس **سلوكياً، وأخلاقياً.**

٣- تربية النفس **عملياً.**

٤- تربية النفس **دعويًا وفكريا**

ماذا يريد الله منك؟

أولا التربية الإيمانية

ونعنى بهذه التربية: أن يداوم العبد على تقوية صلته بالله، فيعمل على مرضاة الله فى كل وقت، بما هو مقتضى ذلك الوقت ووظيفته، كذلك فإن التربية الإيمانية تعنى: الارتقاء بالقلوب حتى تجد حلاوة الإيمان، وتحب طاعة الرحمن، وتنأى عن الفسوق والعصيان.

✍ وانظر طريقة القرآن فى تعميق الإيمان بالآخرة فى قلوب الصحابة رضى الله عنهم، حتى صاروا كأنهم يعاينون الآخرة بعينى رؤوسهم، فهانت عليهم أنفسهم، وبذلوا جميع ما يملكون، طلبا لجنة الله ﷻ، ورغبةً فى رضاه.

• وهذا إن دل، فإنما يَدُلُّ على أهمية البدء بالتربية الإيمانية قبل غيرها، إذ أن هذا هو المنهج السماوىّ القرآنى، ومنهج النبى ﷺ مع أصحابه، حيث كان ﷺ يعمل على ربط قلوب أصحابه بالله أولاً، ويعمل على زيادة الإيمان فى قلوبهم.

• والإيمان كما قرر علماء السلف: يزيد وينقص، يزيد بكثرة

الأدلة وقوتها، وينقص بالجهل والغفلة والمعاصي.

✍ وكلما زاد الإيمان فى القلب، سَهُلَ على العبد فعل الطاعات، والبعد عن المعاصى والعَثَرات، وكلما نقص الإيمان تعثَّر العبد فى الخطيئات، وسقط فى الظلمات، وأعرض عن رب الأرض والسموات، ومما يؤكد ذلك قول النبى ﷺ: «لا يزنى الزانى حين يزنى وهو مؤمن» [متفق عليه].

✍ قال النووى رحمه الله: (القول الصحيح الذى قاله المحققون: إن معناه لا يفعل المعاصى وهو كامل الإيمان، وهذا من الألفاظ التى تُطلَق على نفس الشيء، ويُراد نفىَ كماله ومختاره، كما يُقال: لا علم إلا ما نفع، ولا مال إلا الإبل، ولا عيش إلا الآخرة) [راجع شرح صحيح مسلم (٢/ ٤١)].



أحوال الصحابة الإيمانية

• لقد كان الواحد من صحابة نبينا ﷺ يتعهد إيمانه، بل كان الواحد منهم يحرص على الإيمان قبل العلم وقبل العمل، فقد روى الحاكم عن ابن عمر -رضي الله عنه- قال: «عِشْنَا بُرهَةً من الدهر وكان أحدنا يُؤتَى الإيمان قبل القرآن» [إسناده صحيح].

وعن جندب بن عبد الله رضي الله عنه قال: كنا مع النبى ﷺ ونحن فتيان فتعلمنا الإيمان قبل أن نتعلم القرآن، ثم تعلمنا القرآن فازددنا به إيمانا. رواه ابن ماجه (٦١)، وإسناده جيد.

✍ وعند الإمام الطبرانى فى هذا الحديث.. «فإنكم اليوم تعلَّمون القرآن قبل الإيمان». وراجع المعجم الكبير (١٦٧٨) وإسناده جيد....

• بل كان الواحد منهم يقول لأخيه: «اجلس بنا نؤمن ساعة»، فيجلسون يذكرون الله عز وجل.

فهكذا تربى الإيمان فى قلوب الصحابة، حتى صار أرسخ من الجبال، وأعلى من السحاب، وظهرت بركات هذا الإيمان فى مواقفهم الإيمانية، فكانت على أعلى مستوى فى البذل والتضحية فى سبيل

الله، وصدق الأخوة، وصدق التوبة، والصدق مع الله ﷻ، ومع رسوله ﷺ، وكان من بركات هذا الإيمان كثرة الانتصارات فى كل ميدان، وأيضا العلوُّ والرِفْعَة والعِزَّة فى الدنيا والآخرة، ولقد صدق شيخ الإسلام ابن تيمية -رحمه الله- إذ يقول: (إن فى الدنيا جنة، من لم يدخلها لم يدخل جنة الآخرة).

• قد يقول قائل: إننى مقتنع بهذا كله لكنى لا أستطيع القيام به.. أريد أن أصلى الفجر فى المسجد ولا أقدر على ذلك..

• أريد أن أترك مشاهدة الأفلام والمسلسلات ولا أستطيع..أتمنى أن أترك الغيبة والنميمة والحسد والحقدعلى الآخرين ولا أستطيع..

• أتمنى أن أحافظ على إيمانى، وأن تسمو اهتماماتى وتزداد رغبتى فى الآخرة ولا أقدر على ذلك..

• أريد عمل أشياء كثيرة ولا أستطيع فعلها، لا أجد همة وقوة دافعة..، فكلما عزمت على ترك المعاصى وهجر الذنوب أجد مقاومة عنيفة من نفسى، وتكون النتيجة هى الهزيمة أمامها فما الحل؟؟؟!!

✍ والجواب: كلنا هذا الرجل، كلنا يشكو من ضعف الإيمان وغياب الروح الإيمانية، وكلنا يشكو من أن أقواله أحسن من أفعاله، وعلانيته خير من سريرته.. الكل يشكو من ذلك، ولكن ما الحل إذن؟!

✍ والحل: أنه لا بد من روح جديدة تسرى فى النفوس، وتدفعها لتغيير ما بها، وفعل كل ما يُرضى الله، لا بد من روح جديدة توقظنا من سباتنا، وتنشلنا من جواذب الأرض والطين، وترفع رؤوسنا إلى السماء، لا بد من الاجتهاد لتحقيق التربية الإيمانية عن طريق الوسائل الآتية:

أولا : الوسائل العلمية

١- الاستعانة الصادقة بالله ﷻ.

٢- مجاهدة النفس على إخلاص العمل لله تعالى.

٣- سلامة العقيدة، لأن سلامة العقيدة تقى الإنسان من الانحرافات والمهالك، وتمنحه السكينة والهدوء والاستقرار، مما يعين العبد على تحقيق هدفه.

٤- التفكر والتدبر فى أسماء الله وصفاته: لأن هذا يزيد العبد حبًّا لله ﷻ، وتوكلا عليه، وخشية منه، وإنابة له وحده.

✍ ومن قلل من شأن هذا الأمر أو قال عنه: إنه من قبيل (الترف العقلى)، أو أن الانشغال بغيره أولى منه، فهو ضالٌّ مبتدع.

ومما يتربى به الإيمان فى القلوب: استشعار الخوف من الله ﷻ، ومراقبته -سبحانه- فى السّر والعلن، بحيث يكون هو سبحانه المستولى على هموم العبد وعزماته وإرادته.

ثانيا: الأسباب العملية:

أ. إن أردت الحياة لقلبك، والسلامة لإيمانك: فاقرأ القرآن الكريم واسمعه بتدبر وتفكر، ولو ساعة واحدة يوميًّا، واجعل منهجك فيها هو سماع الآيات، وحفظها، وفهمها، والتأثر بها، والعمل بمقتضى ما فيها.

ب. كثرة ذكر الله ﷻ، فهو عبودية القلب واللسان، وهو الحصن الحصين من الشيطان الرجيم.

✍ لهذا قال أحد السلف: تفقدوا الحلاوة فى ثلاثة أشياء: فى الصلاة، وفى الذكر، وفى قراءة القرآن، فإن وجدتم القلب فاحمدوا الله وإلا فاعلموا أن الباب مغلق.

ج. الإكثار من العبادات وخاصة الفرائض -: لأن الفرائض

هى رأس مال العبد، فإذا استكمل العبد فرائضه، وأراد أن يرتقى فى درجات الإيمان.. فليفتح على نفسه أبواب النوافل، وليجتهد المرء على قلبه، فإن التفاضل عند الله ليس بصورة الأعمال، وإنما بما فى القلوب من أحوال.

د. مجالسة أهل الصلاح والتقى، والتعاون معهم على الخير.

هـ. احذر من تدمير حياتك بإضاعة الوقت فيما لا يفيدك.

و. صاحب النبى ﷺ فى سيرته العطرة، فإن هذا مما يحبب إليك نبيك كذلك فانظر فى سير الصالحين وأحوال المتقين، وَفَتِّشْ عن أحوال القوم، واجتهد فى متابعتهم، وبالغ فى اللحاق بهم، حتى تدركهم ﴿فِي جَنَّاتٍ وَنَهَرٍ {٥٤} فِي مَقْعَدِ صِدْقٍ عِندَ مَلِيكٍ مُّقْتَدِرٍ﴾ [القمر: ٥٤،٥٥]

ز. استحضر الموت وما بعده، وأنه أقرب إلى العبد من شراك نعليه، عن طريق زيارة القبور.

ح. أكثر من الاطلاع على الأحوال التى يلين بها القلب كأحوال [أهل الجنة، وصفاتهم، ونعيم هؤلاء]، وكذلك أكثر من الاطلاع على أحوال أهل النار [كالاطلاع على صفاتهم، وصفة عذابهم].

ط. التفكر في خلق الله ﷻ، وعجائب مصنوعاته.

ي. عاهد ربك إذا خلوت به أن تلتزم بمنهجه القويم، ثم حاسب نفسك على كل الأعمال، صغيرها وكبيرها، محاسبة الشريك الشحيح، وقل لها: هل أطعت الله على الوجه المراد أم لا؟

✍ هل أصبت بعد طاعتي بمرض من أمراض القلوب: كالعجب أو الغرور أو حب الظهور؟

✍ هل هذه الطاعة أورثتني ذلا واستكانة لله؟

قف مع نفسك

فهيا يا أخي في الله.. قف مع نفسك ولو لدقائق، ولتنظر ماذا قدمت لغد؟

وحاسب نفسك بنفسك، وانظر هل أعددت العُدة أم لا؟!

وهذا جدول عملي مقترح لمحاسبة النفس

العمل	دائمًا	أحيانًا	غالبًا	نادرًا
تقوى الله وخشيته				
الإنابة إليه والتوكل عليه				
الإخلاص				
الصلوات الخمس				
السنن الراتبة				
قراءة القرآن				
الحرص على الذكر والاستغفار				
الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر				
اتباع السنن				
بر الوالدين				
الدعاء لنفسك وللمؤمنين				
طلب العلم الشرعي				
الصدق في الأقوال والأعمال والأحوال				
الصلاة على النبي ﷺ				

• فإن وجدت خيرًا فاحمد الله، وإن وجدت غير ذلك فسارع إلى التوبة والاستغفار، ثم جاهد نفسك.. فاثبت على الخير والهدى، وتزوَّد



من الأعمال الصالحة، والطاعات والقربات.

- واعلم أنه بالمعاهدة يستقيم العبد على شريعة الله، وبالمحاسبة يتحرر العبد من آفات الذنوب ويتوب، وبالمجاهدة يخلص العبد لله فى الطاعات، ويقتل فى النفس الخمولَ والاسترخاء.

وأخيرا :

أكثر من الإلحاح على الله بالثبات والهدى والتقى، عن طريق: الدعاء، وقيام الليل، واعلم أن الله لا يملّ حتى تملَّ.

✍ **هذه بعض الأسباب** والمعالم التى تقوى الإيمان فى قلب العبد وتُغذيه، وتُنميه، وتُعمقه، وتُقويه.



ثانيا التربية السلوكية

✍ **وقد عرَّف بعض السلف الخلق الحسن** فقالوا: حسن الخلق هو: بذل المعروف، وكف الأذى.

✍ **مما يجب على المسلم الملتزم الالتزام به هو أن يكون مهذبا خلوقا.**

✍ **وقد عرَّف بعض السلف الخلقَ الحسن** فقالوا: حسن الخلق هو: بذل المعروف، وكف الأذى واحتماله.

✍ **وقال ابن المبارك** الخلق الحسن هو: بسط الوجه، وبذل المعروف، وكف الأذى.

✍ **وقال الإمام أحمد** الخلق الحسن: ألَّا تغضب ولا تحقد، وقيل هو التخلى عن الرذائل، والتحلى بالفضائل.

التربية السلوكية والأخلاقية لماذا؟!.

لمنزلة الأخلاق فى ديننا الإسلامى الحنيف: حيث إن الأخلاق تتبوأ مكانة عالية، ومنزلة رفيعة عظيمة، حظيت بها من البارئ اللطيف الخبير ﷻ، وجسَّدها قولاً وعملاً المصطفى ﷺ حتى نعته الله -تعالى- بأجمل الأوصاف وأسماها، فقال تعالى ﴿وَإِنَّكَ لَعَلَى خُلُقٍ عَظِيمٍ﴾. [القلم: ٤] (فقد أجمَلَ الخلق العظيم فى هذا الموضع، وهو من أهم ما امتدح الله ﷻ به رسوله، (راجع أضواء البيان للعلامة الشنقيطى ٨/ ٤٢١).

• بل إن من ينظر ويقرأ عن دين الإسلام -خاصة- فى باب الأخلاق والآداب، ليَعجَب أشد العجب من عظمة هذا الدين، ودقة مراعاته للمشاعر والعواطف.

• فاقرأ مثلاً حديث عائشة -رضى الله عنها- قالت: قال النبى ﷺ: «إذا أحدث أحدكم فى صلاته فليأخذ بأنفه ثم لينصرف» [رواه أبو داود وابن ماجه وصححه الألبانى فى صحيح الجامع (٢٨٦)].

✍ قد يقول قائل: ولماذا يأخذ بأنفه؟ وما علاقة الأنف بما صنع؟

✍ والجواب: إنها عظمة هذا الدين ودقة عنايته بمشاعر النفس، والحفاظ على أحاسيسها، فهو يأخذ بأنفه ليوهم من بجواره أن به رعافاً، فلا يفتضح أمره فيُحرج ويخجل.

• ويبين هذا الإمام الخطابى كما ورد فى «بذل المجهود شرح سنن أبى داود» فيقول: (إنما أمره أن يأخذ بأنفه، ليوهم القوم أن به رعافا، وفى هذا الباب من الأخذ بالأدب فى ستر العورة، وإخفاء القبيح، والتورية بما هو أحسن، وليس هذا داخلا فى باب الرياء والكذب، وإنما هو من باب التجمل واستعمال الحياء، وطلب السلامة من الناس).

(٢) لأن الله يحب التخلق بالأخلاق الحميدة: فنحن نُحسِّن من أخلاقنا تعبدًا وتقربًا لله ﷻ، إذ هو -سبحانه- العالم بما يُصلِحُ العباد ويُزكيهم ويطهرهم..، قال النبى ﷺ: «إن الله يُحبُّ معالى الأخلاق، ويكره سفاسفها» [رواه الطبرانى فى المعجم الكبير، وصححه الألبانى فى صحيح الجامع (١٨٨٩)].

(٣) ونحرص على هذا اتباعا لحبيبنا ونبينا ﷺ: حيث إن الأخلاق الحميدة كانت منهجا لحياة الرسول ﷺ، فلقد كان أحسن الناس خلقا، حتى شَهِدَ له بذلك أعداؤه قبل أصحابه وأحبابه..

✍ واليك شيئا من شمائله وأخلاقه ﷺ بإيجاز، رزقنى الله وإياك حسن الاقتداء والتأسى به:

كان ﷺ أشد الناس حياء، لا يُثبت بصره فى وجه أحد، ولا يجفو على أحد، يقبل معذرة المعتذرين إليه، يمزح ولا يقول إلا حقًّا، يضحك من غير قهقهة، تُرفع الأصوات عليه فيصبر، ولا يحتقر مسكينا لفقره، ما ضَربَ بيده أحدا قط إلا فى سبيل الله، وما انتقم لنفسه إلا أن تُنتهك حرمات الله، وما كان يجزى بالسيئة السيئة، ولكن يعفو ويصفح، يبدأ من لقيه بالسلام، وكان إذا لقى أحداً من الصحابة بدأه بالمصافحة، ثم أخذ بيده فشابكه ثم شَدّ قبضته عليها، وكان يجلس حيث انتهى به المجلس، وكان يُكرم من يدخل عليه حتى ربما بَسَطَ ثوبه ليجلس عليه، وكان يُؤثر الداخل عليه بالوسادة التى تحته، فإن أبى أن يقبلها عَزَمَ عليه حتى يفعل، وكان يُعطى كل من جَلَسَ إليه نصيبه من وجهه وسمعه وبصره وحديثه، وكان يدعو أصحابه بكناهم إكرامًا لهم واستمالة لقلوبهم، وكان أبعد الناس غضبًا وأسرعهم رضًا، كان أرأف الناس وخير الناس للناس، حتى إن كل أحد يقول يوم القيامة: نفسى نفسى، وهو ﷺ يقول «أمتى.. أمتى»

● وبكلمة جامعة مانعة نستطيع الجزم بأن نبينا ﷺ كان قرآنا يمشى على الأرض -بأبى هو وأمى ونفسى صلى الله عليه وسلم-

(٤) نتخلق بأخلاق الإسلام اتباعا لأصحاب نبينا ﷺ:

لقد أحب الصحابة النبى ﷺ حبًّا جمًّا، ومن جملة الأسباب الداعية إلى ذلك: «خلق النبى الكريم»، حتى دعاهم ذلك إلى تقديره وإجلاله، فَقَدّموا قولَه على قولهم، وفعلَه على فعلهم، ورأيه على رأيهم، واقتدوا به فى خلقه، وفى كل شئونه.

✍ فسادهم الوئام والائتلاف، حتى وصلت بهم أخلاقهم إلى أعلى الدرجات، فترى الرجل مِنْهُم يقدم حاجة أخيه على نفسه، ويؤثر بعضهم بعضا، حتى وصفهم الله -تعالى- بآيات تتلى إلى أن يرث الله الأرض ومن عليها...، فقال سبحانه ﴿وَالَّذِينَ تَبَوَّءُو الدَّارَ وَالْإِيمَانَ مِن قَبْلِهِمْ يُحِبُّونَ مَنْ هَاجَرَ إِلَيْهِمْ وَلَا يَجِدُونَ فِي صُدُورِهِمْ حَاجَةً مِّمَّا أُوتُوا وَيُؤْثِرُونَ عَلَىٰ أَنفُسِهِمْ وَلَوْ كَانَ بِهِمْ خَصَاصَةٌ وَمَن يُوقَ شُحَّ نَفْسِهِ فَأُولَٰئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ﴾ [الحشر: ٩].

(٥) نتخلق بالأخلاق الإسلامية كسبا لحب نبينا، والقرب منه: حيث قال ﷺ: «إن من أحبكم إلىّ وأقربكم منى مجلسا يوم القيامة: أحاسنكم أخلاقا» [رواه الترمذى وأحمد، وصححه شيخنا العلامة الألبانى فى السلسلة الصحيحة].

(٦) نتخلق بالأخلاق الإسلامية شوقًا للجنان وتثقيلا للميزان يوم نلقى الرحمن: سُئل رسول الله ﷺ عن أكثر ما يدخل الناس الجنة، فقال: «**تقوى الله، وحسن الخلق**» [رواه الترمذى، وابن ماجة، وأحمد، وصححه الشيخ الألبانى فى السلسلة الصحيحة (٩٧٧)].

- **وقال ﷺ:** «**ما من شيء أثقل فى الميزان من حسن الخلق**» [رواه أبو داود، والترمذى، وأحمد، وصححه الألبانى فى صحيح الجامع (٥٣٩٠)].

- **بل أخبر النبى ﷺ أن كمال الإيمان مرتبط بحسن الخلق،** فقال ﷺ: «**أكمل المؤمنين إيمانا: أحسنهم أخلاقا**».

- **كذلك فإن المسلم الخلوق له من الأجر الجزيل،** والثواب الكبير، والمنزلة العظيمة، مالا يحصل لغيره...، يقول ﷺ: «**إن المؤمن ليدرك بحسن خلقه درجة الصائم القائم**» [رواه أبو داود، والحاكم، وقال: هذا حديث على شرط الشيخين ولم يخرجاه، وصححه شيخنا الألبانى فى صحيح الجامع (١٦٢٠)].

(٧) لأن حسن الخلق هو الدين كله، وهو حقائق الإيمان، وشرائع الإسلام: ولهذا قال ﷺ «**البر حسن الخلق**» [رواه مسلم (٢٥٥٣)].

✍ **فمن كان بارًا بحسن الخلق فهو على خير عظيم،** ومن زاد

عليك فى ذلك زاد عليك فى الدين.

(٨) لأن سوء الخلق من أعظم أسباب دخول نار جهنم عياذًا بالله: ومما يدل على ذلك:- قول النبى ﷺ «**لا يدخل الجنة قاطع رحم**» [متفق عليه].

✍ **ولقد سُئل رسول الله ﷺ** عن امرأة تقوم الليل وتصوم النهار، وتتصدق، وتؤذى جيرانها بلسانها، فقال: «**لا خير فيها.. هى من أهل النار**» [رواه البخارى فى الأدب المفرد، وأحمد، والحاكم، وصححه الشيخ الألبانى فى السلسلة الصحيحة (١٩٠١)].

(٩) لأن الأخلاق هى قلب العبادة وثمرتها: فإذا ماتت الأخلاق صارت العبادة صورة لا روح فيها، عادة لا أجر معها.

✍ **فالأخلاق والعبادات توأمان متلازمان لا يفترقان،** فمن ساءت أخلاقه فليتهم عبادته، لأن كمال الأخلاق وحسنها ثمرة من ثمرات العبادة الصحيحة المقبولة -إن شاء الله تعالى-.

(١٠) لأن حسن الأخلاق ثمرة للإيمان الصادق: إن الإيمان الحقيقى الذى لامستْ حلاوتهُ شغافَ القلوب، هو الذى تظهر آثاره على المسلم فى أقواله وأفعاله وصفاته، فإذا ظهرت هذه الآثار: ذاق العبد

طعم الإيمان، فعرف حقيقة الإستقامة والالتزام، وأثّر ذلك فى خُلُقِه وتصرفاته ومعاملاته وسلوكه.

(١١) لأن الأخلاق الحسنة طريقنا لقلوب الخلق: ولا شك أن هذا من أعظم أسباب تحقيق الروابط الإيمانية والأخوة الإسلامية -بكل معانيها- بين أفراد المجتمع المسلم.

(١٢) لأن التحلى بالأخلاق الحميدة هو فى حد ذاته دعوة لخلق. وهو ما يُعرف بالدعوة الصامتة.

وفي الجملة

فإن التحلي بحسن الخلق هو الخير كله في دنيا الناس، وفي الآخرة..

الدعاة الصامتون

إن من أكبر وسائل التأثير على القلوب والنفوس هو التميز فى الأخلاق، الذى يتمثل فى القدوة الصالحة، بل لا أكون مبالغا إن قلتُ: إن هذا هو أعظم الوسائل وأهمها لنشر الإسلام فى كل مكان.

الرسول قدوة لنا

✍ ومن تتبع سيرة المصطفى ﷺ وجد أنه كان ﷺ يلازم الخلق الحسن فى كل أحواله، وفى دعوته إلى الله، بل حتى فى الحروب.

✍ وبفضل الله ﷻ ثم بفضل حسن خلقه ﷺ أقبل الناس على الإسلام ودخلوا فى دين الله أفواجًا:

• فهذا يسلم ويقول: (والله ما كان على وجه الأرض أبغض إلَّى من وجهك، فقد أصبح وجهك أَحَبَّ الوجوه إلَّى) [رواه البخارى ومسلم].

• وذاك يقول لما عفا عنه النبى ﷺ: (اللهم ارحمنى ومحمدا، ولا ترحم معنا أحداً)، فقال النبى ﷺ له: «لقد حجرت واسعا». [رواه

النسائى والترمذى وابن ماجه وأحمد، وصححه الألبانى فى صحيح سنن أبى داود (٣٨٠)].

• وآخر يقول: (فبأبى هو وأمى ما رأيت معلمًا قبله ولا بعده أحسن تعليمًا منه). [رواه مسلم].

فهذا هو هدي رسول الله صلى الله عليه وسلم السلوكي والأخلاقي مع أصحابه وأتباعه، وأعدائه لهذا أذكرك أن ترفع شعار..

خير الهدي..

هدي محمد..



اقرأوا التاريخ

✍ ومن قرأ التاريخ الإسلامى سيجد أن الإسلام وصل إلى جنوب الهند، وسيلان، وجزر المالديف، وسواحل الصين، والفلبين، وإندونيسيا، وأواسط أفريقيا عن طريق التجار المسلمين، ممن عاشوا بالإسلام وللإسلام، حتى تجسد الإسلام فى سلوكهم وأمانتهم، فأعجب الناس بهم وبأخلاقهم وبدينهم، فكانت النتيجة: دخول هؤلاء فى الإسلام.

فبهداهم اقتده

✍ لهذا فنحن بحاجة ماسة إلى التذكير الدائم بأهمية التخلق بالأخلاق الحميدة والحوار الهادئ، والتعامل المهذب، والاحترام المتبادل.

✍ إننا بحاجة إلى إظهار محاسن ديننا العظيم، لنصبح -نحن المسلمين- قدوة لبعضنا، ومفاتيح خير ومشاعل هداية لغيرنا من أهل

✍ **ونحن بحاجة أيضًا** إلى أن نكسب قلوب بعضنا، لنكون يدًا واحدة ثم لنتمكن من كسب قلوب أهل الأديان الأخرى بصدق التوحيد وحسن المعاملة، وجميل الأخلاق، لنُدخِل الناسَ فى دين الله أفواجًا ليذوقوا طعم الإيمان وحقيقة الإسلام.

✍ **ولا أقول:** إنه ينبغى على المسلم أن يجتهد فى كسب قلوب الآخرين من حوله بأى أسلوب، وبأى طريقة كانت -شرعية أو غير شرعية- كلا...كلا..

✍ **بل نريد كسب القلوب بالأساليب النبوية الشرعية،** وليس عن طريق المجاملة، ولا المداهنة، ولا بتمييع ديننا، ولا بتمزيق ثوابتنا، ولا عن طريق التنازل الرخيص عن المبادئ والأهداف، وإنما بمكارم الأخلاق.

✍ **لا نريد أن نكسب من القلوب من أجل الدنيا،** ولا متاعها ولا زخارفها، ولا من أجل أنفسنا وإظهار محاسنها وتواضعها.

✍ **ليس هدفنا هو رضا المخلوقين،** أو انتزاع صيحات الإعجاب والمدح والثناء منهم.

✍ **بل نحرص على ذلك من أجل ربنا -تبارك وتعالى- تعبدًا**

وتقربًا، ثم لنشر المحبة والإخاء بين قلوب الموحدين وجمعها على الحب فى الله ﷻ.

(١٣) لأننا فى عصر الإفلاس الخلقى، والتلوث السلوكى: فعلى الرغم من التقدم التكنولوجى المذهل الذى يعيشه عالمنا اليوم، وعلى الرغم من توالى الإنجازات، وتقدم الصناعات، وكثرة المخترعات، غرقت البشرية كلها -ولا تزال- فى بحار الدنيا العميقة، وجرى الكثير من هؤلاء وراء المال والتجارة، ولهث أكثر الخلق وراء الشهوات والملذات.

✍ **وفى وسط كل هذا الزيغ،** وفى خضم هذا اللهثان، وأمام كل هذه المغريات، والتى تَفلتَ بسببها أكثرُ أهل الأرض عن المثل والمبادئ، وأعرضوا عن كثيرٍ من الأخلاق والآداب..، فى وسط كل هذا.. انهارت الأخلاق، وضاع هذا الأصل، أو كاد أن يندثر، هذا الأصل الذى لا تقوم أىُّ حضارة إلا به.

✍ **ولم يتوقف الأمر على بلاد الغرب أو الغربيين،** ولكن -ولشديد الأسف- امتد هذا الفساد الخلقى ليصل إلى المسلمين، فمن ينظر للواقع الذى تحياه المجتمعات المسلمة فى هذه الأيام سيرى فسادًا

الطبقات الثقافية والفكرية -إلا من رحم ربى-.

✍ ومما يؤلم ويحزن حقًا: أن هناك من أبناء جلدتنا ممن سافروا لبلاد الغرب، وانبهروا بالحضارة الغربية، عادوا وقد اعتقدوا صحة هذه الحضارة الغربية، وأنها الخيار الأوحد لكى تنهض الأمة الإسلامية وتواكب التقدم العلمى، فنقلوا للمسلمين هذه الحضارة بقضها وقضيضها، وإيجابها وسلبها، فأفسدوا البلاد، وضيعوا العباد، ولا حول ولا قوة إلا بالله.

(١٤) لأن الأخلاق من أسباب جمع الأمة على كلمة سواء:

إذا كان البيت يُبنى باللبن، ويشد اللبن بالملاط، فإن المجتمع يُبنى بالتوحيد وعلى أساسه، ويُشَدُّ أفراده بعضهم إلى بعض بالأخلاق، ولا نهضة لمجتمع بتوحيد دون أخلاق، قال الله -تعالى- لنبيه ﷺ ﴿وَلَوْ كُنتَ فَظًّا غَلِيظَ الْقَلْبِ لَانفَضُّواْ مِنْ حَوْلِكَ﴾[آل عمران: ١٥٩].

✍ ومعنى ذلك: أنهم يتفرقون عنك ولا يجتمعون، رغم ما أنت عليه من التوحيد الخالص والإخلاص العظيم.

• إذن نخلص من ذلك: أن التوحيد المجرد من الأخلاق لا يجمع أمة، ولا يُوحد صفًا.

(١٥) لأن حسن الأخلاق مدعاة للتوفيق والنصر: إن من أعظم

الأسباب لتحقيق النصر -التى غفل عنها الغافلون-: هى الأخلاق الحميدة.

• فالأخلاق الحميدة من أهم الأسباب التى تُصلح واقع المسلمين المحزن: حيث المقاطعات والتناحرات، والخوض فى الأعراض، الذى يصل أحيانًا بالبعض إلى سفك الدماء.

✍ فلا تكاد تجد مركزًا أو بلدًا، ولا مؤسسة أهلية أو حكومية إلا وقد تحولت إلى أماكن للصراعات والمشاجرات، وتبادل السباب واللعان، والتنابز بالألقاب -حتى المساجد ودور العبادة لم تسلم من هذه المصيبة العظيمة-.

✍ بل وصل الأمر ببعض الناس إلى نقل الكلام الكاذب بغرض الإفساد بين المسلمين، وفى سبيل تحقيق هذا الغرض الخبيث تلصص بعض هؤلاء على بعضٍ، واستباحوا لأنفسهم تسجيل مكالماتهم الخاصة، ونشرها فى الصحف والمجلات.

وكل هذا يحدث على مسمعٍ من أعداء الإسلام المتربصين..، فأين هؤلاء من الأخلاق الإسلامية النبوية الكريمة؟!

• إن هؤلاء وأمثالهم هو الذين أخّروا النصر عن المسلمين كل هذه

السنين، بسبب «سوء أخلاقهم وفساد أذواقهم».

✍ **لأجل هذا ننصح هؤلاء ونقول:** أرأيتم ما نَزَلَ بساحتنا؟!.

لعلكم قد رأيتم ما حَدَثَ لإخواننا المسلمين فى فلسطين.

✍ **ولعله قد بلغكم** ما فعله أعداؤنا بإخواننا من أهل السنة فى غزة والعراق، حيث القتل، والتنكيل، والتعذيب، والسجن، والاعتقال، واستباحة الأعراض، وانتهاك المقدسات

✍ **يا ترى....** ماذا كان شعوركم عندما رأيتم أو سمعتم عن هذا كله؟!

✍ **الظن بكم:** أنكم فى همٍّ وغمٍّ وكربٍ وضيقٍ شديد بسبب ما يلاقيه إخواننا هنا وهناك.

✍ **وكأنى أشعر بالواحد منكم:** وهو يرى الأحداث المؤسفة، ويريد جهاد هذا العدو الغاشم، لكنه مكبل اليدين، لا يستطيع أن يفعل شيئًا.

أسئلة حائرة

سؤال: ألم تسأل نفسك يوما؟

لماذا يحدث هذا كله للمسلمين؟!

ولماذا تتكاثر الجراح، وتزداد الآلام فى جسد أمتنا عامًا بعد عام؟!

ولماذا يتركنا الله ﷻ هكذا تستباح حرماتنا ويُنتهك شرفنا؟!





القرآن يجيب

أفاض القرآن فى الإجابة عن هذه الأسئلة وبيّن لنا بما لا يدع مجالاً للشك أن هناك سننًا وقوانين تحكم هذه الحياة، فمن استوفى شروطها طبقت عليه، فإذا ما نظرنا إلى القوانين والسنن التى تجلب لنا العقوبات فسنجدها كثيرة، وتدور أسباب استدعائها حول تقصير العباد، وارتكابهم ما يغضب ربهم، فضلا عن التناحر والتباغض والاختلاف، وصدق الله إذ يقول

﴿وَمَا أَصَابَكُم مِّن مُّصِيبَةٍ فَبِمَا كَسَبَتْ أَيْدِيكُمْ وَيَعْفُو عَن كَثِيرٍ﴾ [الشورى: ٣٠]، وقال ربى: ﴿ذَلِكَ بِمَا قَدَّمَتْ أَيْدِيكُمْ وَأَنَّ اللَّهَ لَيْسَ بِظَلَّامٍ لِّلْعَبِيدِ﴾ [الأنفال: ٥١]، وقال تعالى: ﴿وَلاَ تَنَازَعُواْ فَتَفْشَلُواْ وَتَذْهَبَ رِيحُكُمْ﴾ [الأنفال: ٤٦].

فالحذر- الحذر من سوء الأخلاق -عمومًا-، والتناحر والتباغض والاختلاف والشقاق -خصوصا-.

ولنتذكر دائما قول السيدة خديجة للنبى ﷺ لما جاءها فزِعًا حين نزل عليه الوحى.. قالت له ما يطمئنه: «والله لا يخزيك الله أبدًا..» [متفق عليه].

هكذا قالت خديجة لنبينا ﷺ مبشرة له بالنصر، متفرسة ذلك من حسن خلقه، وطيب معشره، وتمسكه بالقيم الحميدة...

فيا إخواننا أقيموا قلعة الأخلاق فى مواجهة أعدائكم، وسدوا كل ثغرة حتى لا يتسلل منها شيطان رجيم أو عدو لئيم، واجتهدوا فى الدعوة لإعادة الإعمار لما تآكل من أخلاقكم وانهار.

واحذروا أن تقع هذه القلعة أو يُهدم منها حجر من الأحجار، فإن من فعل ذلك فقد أحدث ثغرة فى البناء نفذ منها الشيطان واستراح، وسكنها مع جنده إلى غير براح، وفوق ذلك فقد مهّد الطريق لأعداء ديننا لغزو أرضنا واستباحة أعراضنا، وانتهاك حرمة مقدساتنا.

وأخيرًا

نتخلق بالأخلاق الحميدة.. حماية لأمتنا من المفاسد التى تنجم عن سوء الأخلاق:

✍ لمساوئ الأخلاق آثار وخيمة على الفرد والمجتمع تتمثل في صور متعددة، منها: هدم الدين، وضعف الاقتصاد، وغرس الشحناء والبغضاء، وتفتيت كيان المجتمع وإضعافه، واستشراء داء الرذيلة الخلقية بين الأسر، واختلال أمن المجتمع وصحته البدنية والنفسية.

✍ ومن أراد التوسع لمعرفة خطورة الفساد الخلقي على الفرد والمجتمع... فليراجع بحث «مساوئ الأخلاق وأثرها على الأمة» د/ خالد الحازمي من ص١٧١: ص٢٠٢ط. وزارة الأوقاف الشئون الإسلامية بالمملكة].

✍ وبعد أن استعرضنا: لماذا نتأدب بآداب الإسلام؟!

✍ فلا بد وأن نعرف أن الآداب الإسلامية كالشجرة لها أصول وفروع.

✍ فأصلها: الأدب مع الله ورسوله، وفرعها: الأدب مع الخلق.

ويستحيل أن يستقيم الفرع ويجمل، والأصل منعدم أو فاسد، وكما قيل: كيف يستقيم الظل والعود أعوج؟!

✍ لذلك أردت أن أذكر نفسي -وإخواني- بهذه الآداب الإسلامية المباركة.

التذكرة الوفية ببعض الآداب الإسلامية

✍ إن الله -تبارك وتعالى- قد منّ على الإنسان بنعم لا تحصى، لذلك كان لزامًا على المسلم أن يقابل كل هذه النعم بالشكر والثناء على الله ﷻ بما هو أهله، والتأدب بآداب الدين مع رب العالمين، وسيد المرسلين، وسائر الخلق أجمعين.

☜ أولا: الأدب مع الله ﷻ:

✍ ويكون ذلك:

١. بحسن التوكل على الله وتفويض الأمر إليه، واللجوء في الحاجة إليه.

٢. حسن الظن بالله ﷻ ووصفه بما هو أهله، وتبرئته مما ليس له أهلا، فلا نظن به السوء.

✍ ومن تمام حسن الظن بالله: أن ندين له بالوحدانية، ولا نشرك به أحدا، حتى لا نكون من الهالكين، وكذلك ينبغي أن نعتقد أن الله بنا محيط، وأنه -سبحانه- أحصى كل شيء عددًا، وأنه -سبحانه-

يعلم السرَّ وأخفى، كذلك نؤمن أن الله مجازينا عن بأفعالنا.

٣. إخلاص العبادة له ظاهرا وباطنا.

٤. تعظيم قدر الرب وحفظه بالغيب، وهذه هي مرتبة الإحسان التي ينبغي على المسلم أن يتعبد إلى الله بها، كذلك فإن من الأدب مع الله: ألاَّ نعظم غيره وألا نحلف بغيره، ولا نجعل له ندًا في أفعاله وصفاته، كذلك نوقره باجتنابنا ما نهى عنه -سبحانه وبحمده-.

٥. دوام ذكره سبحانه، وتلاوة كتابه، ومدارسة سنة نبيه ﷺ.

ثانيا: الأدب مع كتابه الكريم:

ويكون ذلك:

١- بالاعتقاد التام أنه منزل من عند الله، وأنه كلام الله ليس بمخلوق، وأنه صفة من صفات الله لا تنفك عنه، وليست محدثة، فهو قديم بقدمه، أزلي بأزليته -تبارك وتعالى-، وأنه -سبحانه- أوحى به إلى عبده محمد ﷺ، لنتعبد به في حياتنا الدنيا، ولنتحاكم إليه في شئوننا.

٢- الاعتقاد التام بأن هذا القرآن مصلح لكل زمان ومكان.

٣- الوقوف عند أحكامه فلا نتعداها، فلا نقدم قولاً على قوله، ولا

أمراً على أمره، ولا حكمًا على حكمه.

٤- المداومة على قراءته وحسن تلاوته، وترتيله على طهارة، متأدبين بآداب التلاوة.

٥- كذلك علينا أن نقرأه في أناة وتدبر، فلا نُسرع فيه، فتضيع حروفه وتندثر معانيه، وينبغي كذلك أن نلتزم الخشوع عند قراءته كي تكون كما وصف الله عباده الصالحين: ﴿إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ الَّذِينَ إِذَا ذُكِرَ اللَّهُ وَجِلَتْ قُلُوبُهُمْ وَإِذَا تُلِيَتْ عَلَيْهِمْ آيَاتُهُ زَادَتْهُمْ إِيمَانًا وَعَلَى رَبِّهِمْ يَتَوَكَّلُونَ﴾ [الأنفال: ٢].

٦- المداومة على حفظه، وإتقان قراءته بالقواعد التي وُضعت له، فإن الذي يقرأ القرآن وهو ماهرٌ به مع السفرة الكرام البررة.

٧- تكريم القرآن، وإعماله فيما نزل من أجله، لأنَّ القرآن دستور المسلمين، ومنهج الموحدين، كذلك فهو شفاءٌ ورحمة للعالمين.

٨- احذر من استخدام القرآن كتمائم، وأحجبة، وتعاويذ لمنع الحسد أو لجلب الرزق، فكل هذا باطل، كذلك فلتعلم أن القرآن ما أُنزل علينا ليُتلى في سرادقات العزاء كما يفعل بعض المبتدعين، بل نزل ليحكم الموحدين في أمور دينهم ودنياهم.

ثالثا : الأدب مع النبى الكريم :

ويكون ذلك :

١- **بعدم رفع الصوت أمامه**، وفى مجلسه، وفى حياته، وعند ممارسة سنته بعد مماته ﷺ.

٢- **عدم التقدم برأى ولا بقول** على قول الرسول -ﷺ-، لقوله تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تُقَدِّمُوا بَيْنَ يَدَيِ اللهِ وَرَسُولِهِ﴾ [الحجرات: ١].

٣- **الذب عن حياضه وعرضه**، أمام المرجفين المشككين فى دينه، وإبراز فضائله، وحسن خصاله، والدعوة للتمسك بها وتطبيقها.

٤- **تعلم سنته**، والحرص على معرفة سيرته ﷺ.

٥- **طاعته المطلقة** بلا تأخير أو تسويف.

٦- **أن يكون أحب ولد آدم للنفوس المؤمنة**، والقلوب المخبتة، فلا نحب أو نوقر أو نُعظِّمَ من البشر مخلوقا أكثر منه ﷺ.

٧- **التأدب عند ذكره وذكر اسمه**، فلا نناديه إلا بما ناداه الله، وكذلك الإكثار من الصلاة عليه ﷺ.

٨- **عدم المبالغة** فى مدحه أو إطرائه.

رابعا : الأدب مع خلق الله :

وذلك يكون

بكف الأذى، وترك المجاهرة بالقبيح، ولا ينتج هذا النوع من الحياء إلا إذا توفر لدى المؤمن كمال المروءة وكمال الإيمان.

ولقد أمر النبى ﷺ بالإحسان إلى الخلق، فقال «أوصيك أن تستحى من الله كما تستحى من الرجل الصالح فى قومك..» [إسناده جيد، راجع السلسلة الصحيحة (٧٤١)]

... فالحياء مع الخَلْق وحسن التعامل معهم أمرٌ هام، ولا يفعله إلا أهل الديانة والبصيرة، لهذا قال أحد السلف: (الحياء مع الخلق - خاصة - العلماء والأتقياء قنطرة إلى الجنة).

واحذر أخى: من الإساءة إلى الخلق (فإنه لا خير فيمن لا يستحى من الناس) كما قال حذيفة ﷺ.

كيف نتعامل مع الخلق؟!

✍ **ابتداءً:** نضع ضابطاً يضبط لك جميع معاملاتك مع الخلق.

✍ **وهو:** أن تحب للناس كل ما تحبه لنفسك، وأن تتعامل مع الخلق بأخلاق هذا الشرع الحنيف، وأن تحسن إلى الناس جميعًا وإن أساؤوا إليك.

✍ **ثانيا:** تعلم «فن التعامل مع الآخرين».

✍ **فمثلا:** يُمكنك بسهولة أن تستعطف القلوب، وتكسب النفوس ببعض الأخلاقيات والسلوكيات السهلة، منها:

١) الحرص على الابتسامة الرقيقة.

٢) البدء بالسلام مع بسط الوجه والبشاشة، وحرارة اللقاء، وشدة الكف على الكف.

٣) التهادى ولو بالشيء اليسير، لأن: الهدية لها تأثير عجيب، فهى تذهب بالسمع والبصر والفؤاد.

٤) الإكثار من الصمت وقلة الكلام إلا فيما ينفع، واجعل شعارك: «الكلمة الطيبة صدقة».

٥) الحرص على حسن الاستماع، وأدب الإنصات، وعدم مقاطعة المتحدث.

٦) الزم حسن السمت، وجمال الشكل، وطيب الرائحة.

٧) ابذل الخير والمعروف للناس فى منتهاه.

٨) ابذل من مالك فى سبيل الله، وساعد المحتاجين، وأعن الفقراء.

٩) أحسن الظن بالآخرين، وأقبل الاعتذار عنهم ولهم، وتثبت الأخبار التى تُنقل لك عنهم وعن جميع الناس.

١٠) أعلن حبك لسائر الموحدين -على قدر ما عندهم من طاعة- كما علمك نبيك ﷺ.

١١) لا بأس باستخدام المداراة.. وهى لين الكلام، والبشاشة لغير أهل الاستقامة، (كالفساق وأهل الفحش والبذاءة)، لاتقاء فحشهم، لأن فى مداراتهم كسبًا لهدايتهم، شريطة عدم المجاملة فى الدين.

١٢) اعرف لكل ذى فضل فضله، وأقل له عثرته، وتأدب معه.

١٣) تعامل مع الناس بأخلاق الإسلام.. (كن حبيبًا وفيًا معهم، كن رحيمًا ودودًا معهم، كن عادلًا سليم الصدر لهم، كن كريمًا متواضعًا

شاكرًا أمينًا معهم، كن صبورًا عفيفًا شريفًا شجاعًا وقورًا حليمًا عليهم، كن صدوقًا عطوفًا أمّارًا بالمعروف ناهيًا عن المنكر، كن وصولًا لرحمك، متسامحًا مع كل الخلق).

✍ **واعلم أن** أركان حسن الخُلُق أربعة: «**الصبر، والعفة، والشجاعة، والعدل**».

✍ **وسوء الخلق أركانه أربعة:** «**الجهل، والظلم، والشهوة، والغضب**».

قد تقول: وكيف أغير من أخلاقي؟!

والجواب: صحيح أن الخُلُقَ هو: ما جُبل المرء عليه أو اعتاده في حياته، وهو: سجيته وطريقته التي كونها من خلال تجاربه وخبراته، وهي على نوعين:

منها ما هو غريزي فطري — ومنها ما يُكتسب بالممارسة والمجاهدة

• **إذن يمكنك ذلك،** ولكن لا بد من رياضة النفس، وتدريب الذات، مع دوام المجاهدة والمقاومة، وقوة الملاحظة، والنظر في عواقب

الأمور قبل الإقدام، وطلب النصح من الآخرين، وصحبة الصالحين منهم، والقراءة في كتب الأخلاق والسلوك، كالأدب المفرد للبخاري، ومكارم الأخلاق لابن أبي الدنيا، ومختصر منهاج القاصدين لابن قدامة، ولا تسمع للمخذلين المثبطين الذين يزعمون أن الطبع يغلب التطبع .

• **ثم استعن بربك وأكثر من الإلحاح عليه،** والتضرع إليه، كما كان نبيك ﷺ يفعل ويقول: «اللهم كما حسنت خَلْقِي فحسن خُلُقي» [رواه أحمد وصححه الشيخ الألباني في صحيح الترغيب والترهيب (٢٦٥٧)].

✍ **وردد في كل وقت:** «اهدني لأحسن الأخلاق لا يهدي لأحسنها إلا أنت، واصرف عني سيئها لا يصرف عني سيئها إلا أنت» [رواه مسلم] .

واحذر

١. تصنع الأخلاق للآخرين، فإنك وإن نجحت مرةً أو مرتين فسرعان ما تُسْفِرُ الأحداث عن زيوف النفس وتَصَنُّعها، وما تُخفى من نوايا ومآرب.

٢. لا تغتر بحسن أخلاقك فى الرخاء، بل جَرِّبْ نفسك فى أوقات الشدة والغضب..، فمثلا:

- إذا أردت أن تعرف هل أنت جواد كريم؟! فجَرِّب الإيثار عند قلة الزاد.
- إذا أردت أن تعرف هل أنت حليم؟! فجَرِّب نفسك عند ظهور الغضب.

٣. انظر للناس فما كرهته من أخلاقهم فابتعد عنه، وتذكر دائمًا وأبدًا نصيحة عبد الله بن المبارك إذ يقول: «إذا خَرَجْتَ من منزلك، فلا يَقَعَنَّ بصرك على أحد إلا رأيتَ أنه خيرٌ منك».

٤. أخلاقك معك فى كل زمان ومكان: مع ربك، مع الناس

فى بيتك، وفى عملك، وفى البيع والشراء، فى الجلوة والخلوة، مع الكبير والصغير.. واحذر الازدواجية الأخلاقية.

٥. لا تنس أن الناس بشر، وأنهم يصيبون ويخطئون، فمهما بلغوا فلا بد وأن يكون لهم هنَّات وغفلات، فلا تُطالبهم بالمثاليات -خاصة- فى هذه الأوقات.

وأخيرًا: أوجه هذه النصيحة إلى الملتزمين من عبد الله بن المبارك -رحمه الله- حيث يقول: «نحن إلى قليل من الأدب أحوج إلى كثير من العلم..».

ثالثا

التربية العلمية

✍ وهى من أهم عوامل الثبات فى هذا العصر، عصر الفتن الفكرية، والغزو الثقافى، ولقد أشرت إليها فى ثنايا هذا البحث.

رابعا

التربية الدعوية

✍ **إن الدعوة إلى الله ﷻ نعمة عظمى،** فالداعى إلى الله -تعالى- يُحيى قلوب الناس بشرع الله، فيُحيى الله قلبه بالإيمان، ومحبة الرحمن.

✍ **والدعوة الإسلامية:** هى حركة علمية عملية لنشر الإسلام، وتعليمه للناس، وتعريفهم به على وجهه الصحيح، وِفْقَ منهج علمىّ مدروس، بوسائل راقية وشرعية، بواسطة دعاة مسلمين، يقومون به فى الناس على هدى وبصيرة، وكذلك التحذير من مكائد الكفار

والمُلحِدين، وكشف الشبه التى يثيرها أعداء الإسلام، والرد على أباطيل المضلين والمنحرفين.

✍ **قد يقول قائل:** لماذا ندعو إلى الله؟ ولماذا نتحرك لنشر دين الله فى الأرض؟!

✍ **والجواب:**

١) **لأن الدعوة أشرف الأعمال:** لا شك أن عمل الدعوة إلى الله هو أشرف الأعمال، وأفضل الوظائف قاطبةً، ويكفى فى بيان شرف وفضل وقدر الدعوة أن الله ﷻ جعلها رسالة أحبابه: من أنبيائه ورسله وأصفيائه من خلقه، ابتداءً من نبى الله نوح عليه السلام، وانتهاءً بصفوة الخلق محمد ﷺ.

✍ **قال ابن القيم -رحمه الله-:**

✍ «**فالدعوة إلى الله -تعالى- هى** وظيفة المرسلين وأتباعهم، وهم خلفاء الرسل فى أممهم، والناس لهم تبع، والله -سبحانه- قد أمر رسوله أن يُبلِّغ ما أنزل إليه، وضَمِنَ له حفظ وعصمته من الناس».

✍ **وهكذا المبلغون عنه من أمته،** لهم من حفظ الله وعصمته إياهم بحسب قيامهم بدينه وتبليغهم له، وقد أمر النبى بالتبليغ عنه ولو

آية، ودعا لمن بلَّغ عنه ولو حديثًا تبليغ سنته إلى الأمة أفضل من توجيه السهام إلى نحور العدو، ولأن ذلك القتال يفعله كثير من الناس، وأما تبليغ السنن فلا تقوم به إلا ورثة الأنبياء وخلفاؤهم في أممهم، جعلنا الله منهم بمنه وكرمه.

✍ وهم كما قال فيهم عمر بن الخطاب رضي الله عنه، في خطبته التي ذكرها ابن وضاح في كتاب «الحوادث والبدع» له، قال: «الحمد لله الذي امتن على العباد بأن جعل في كل زمان فترة من الرسل بقايا من أهل العلم، يدعون من ضلَّ إلى الهدى، ويصبرون منهم على الأذى، ويحيون بكتاب الله أهل العمى، كم من قتيلٍ لإبليس قد أحيوه، وضال تائه قد هدوه، بذلوا دماءهم وأموالهم دون هلكة العباد، فما أحسن أثرهم على الناس، وأقبح أثر الناس عليهم، يقبلونهم في سالف الدهر وإلى يومنا هذا، فما نسيهم ربهم، وما كان ربك نسيًّا، جعل قصصهم هدى، وأخبر عن حسن مقالتهم، فلا تقعد عنهم، فإنهم في منزلة رفيعة، وإن أصابتهم الوضيعة».

٢) لفضل الدعوة إلى الله في القرآن والسنة:

✍ حيث وردت آيات مباركات توضح فضيلة الدعوة إلى الله ﷻ، ولقد وردت تلك الآيات في مواضع كثيرة من كتاب الله ﷻ، كل واحدة منها توضح جانبًا من جوانب الفضيلة، وتبين مكانة الداعية ومنزلته، وماله عند الله ﷻ من الفضل والكرامة، **ومن ذلك:**

✍ **أن الدعوة إلى الله هي أحسن الأعمال:** قال تعالى: ﴿وَمَنْ أَحْسَنُ قَوْلًا مِّمَّن دَعَا إِلَى اللهِ وَعَمِلَ صَالِحًا وَقَالَ إِنَّنِي مِنَ الْمُسْلِمِينَ﴾ [فصلت: ٣٣].

✍ **أن الدعوة إلى الله طريق الفلاح،** قال تعالى ﴿وَلْتَكُن مِّنكُمْ أُمَّةٌ يَدْعُونَ إِلَى الْخَيْرِ وَيَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنكَرِ وَأُولَٰئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ﴾ [آل عمران: ١٠٤].

✍ **كذلك فإن الله يحب الدعاة إليه،** ويمدحهم، قال تعالى: ﴿الَّذِينَ يُبَلِّغُونَ رِسَالَاتِ اللهِ وَيَخْشَوْنَهُ وَلَا يَخْشَوْنَ أَحَدًا إِلَّا اللهَ وَكَفَىٰ بِاللهِ حَسِيبًا﴾ [الأحزاب: ٣٩].

✍ **كذلك فإن الدعاة إلى الله هم أصحاب الميمنة،** قال الله -تعالى واصفا طريق النجاة والخير-

﴿فَكُّ رَقَبَةٍ * أَوْ إِطْعَامٌ فِي يَوْمٍ ذِي مَسْغَبَةٍ * يَتِيمًا ذَا مَقْرَبَةٍ * أَوْ مِسْكِينًا ذَا مَتْرَبَةٍ * ثُمَّ كَانَ مِنَ الَّذِينَ آمَنُوا وَتَوَاصَوْا بِالصَّبْرِ وَتَوَاصَوْا بِالْمَرْحَمَةِ * أُولَئِكَ أَصْحَابُ الْمَيْمَنَةِ﴾[البلد: ١٣-١٨].

كذلك فالدعوة نجاة لصاحبها من الخسران، كما في قوله تعالى: ﴿إِلَّا الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ وَتَوَاصَوْا بِالْحَقِّ وَتَوَاصَوْا بِالصَّبْرِ﴾[العصر: ٣].

كذلك فالدعوة تعدُّ من أبواب الجهاد، قال تعالى: ﴿فَلَا تُطِعِ الْكَافِرِينَ وَجَاهِدْهُم بِهِ جِهَادًا كَبِيرًا﴾[الفرقان: ٥٢].

قال ابن القيم: ولا ريب أن الأمر بالجهاد المطلق إنما كان بعد الهجرة، أما جهاد الحجة فأمر به في مكة بقوله ﴿فَلَا تُطِعِ الْكَافِرِينَ وَجَاهِدْهُم بِهِ﴾، أي: بالقرآن، ﴿جِهَادًا كَبِيرًا﴾، والجهاد هنا: هو التبليغ والدعوة وجهاد الحجة. زاد المعاد (٢/ ٨٥).

والداعية إلى الله له أجر المهاجر.. كما قرر ذلك شيخ الإسلام ابن تيمية في تفسير قوله تعالى: ﴿وَالَّذِينَ آمَنُواْ مِن بَعْدُ وَهَاجَرُواْ وَجَاهَدُواْ مَعَكُمْ فَأُوْلَئِكَ مِنكُمْ﴾[الأنفال: ٧٥]. (وراجع ذلك في مجموع الفتاوى ١٨/ ٢٨٤).

كذلك بيَّن النبي ﷺ أهمية الدعوة إلى الله ﷻ، ومن الأدلة على ذلك: قوله ﷺ: «من دَلَّ على خير فله مثل أجر فاعله» [رواه مسلم]

وقوله ﷺ: «من دعا إلى هدى كان له من الأجر مثل أجور من تبعه، لا ينقص ذلك من أجورهم شيئًا، ومن دعا إلى ضلالة كان عليه من الإثم مثل آثام من تبعه، لا ينقص ذلك من آثامهم شيئًا» [رواه مسلم (٢٦٧٤)].

ولقد بوب البخاري بابًا في صحيحه في كتاب العلم بعنوان: (قول النبي ﷺ: «رب مُبَلَّغ أوعى من سامع»)، وفيه ان النبي ﷺ قال: «ليبلغ الشاهد الغائب، فإن الشاهد عسى أن يُبَلِّغ من هو أوعى منه».

وانظر إلى استمرار ثواب الداعي المخلص إلى الله بعد موته:

فعن أبي هريرة رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ قال: «إذا مات ابن آدم انقطع عمله إلا من ثلاثة: صدقة جارية، أو علم ينتفع به، أو ولد صالح يدعو له» [رواه مسلم]

٣) لأننا نتبع نبينا ﷺ الداعية الأول للإسلام:

حيث إن النبي ﷺ كان الداعية الأول لهذا الدين، ولقد كان ﷺ نِعْمَ الحامل لهذه الأمانة، ونعم المؤدي لها، حتى إنه -ﷺ- أفنى

حياته كلها، ولاقى من الصعاب والمشاق فى سبيل تبليغ هذا الدين ما لا يُتَصَّور، بل واستعذب الأذى فى سبيل خدمة هذا الدين ونصرته، فجزاه الله عنَّا وعن جميع المسلمين خير الجزاء.

٤) **لنتمكن من تحقيق الغاية التى من أجلها خلق الخلق؛ وهى:** «العبادة» ولا يمكن أن يتحقق أمر العبادة على الوجه المرضىّ إلا عن طريق التعليم والبلاغ والدعوة، ليتمكن الخلق من معرفة الحق، على الوجه الذى يرضى الله تعالى.

٥) **لأن الدعوة أمانة فى عنق كل مسلم:** إن تبليغ دعوة الإسلام، وبيان سماحته وسمو مقاصده أمرٌ واجب، وبالذات فى هذه الأوقات التى تُكال فيها التهم للإسلام، والمسلمين -خاصةً- فى العالم الغربِّى، حيث يوصف الإسلام بأنه دينٌ يدعو إلى العنف والإرهاب، وأن تعاليمه تأمر بسفك الدماء، وقتل الأبرياء، بل ويوصف المسلمون بأنهم «إرهابيون، رجعيُّون، متخلِّفون، متناحرون، أصوليون، فوضويون».

لهذا كان لزامًا على كل مسلم أن يبيِّن للناس جميعًا براءة دين الإسلام مما نُسب إليه من افتراءات، ولا يكون هذا إلا عن طريق العمل الدعوى الخالص الصادق.

٦) **لإقامة الحجة على الخلق، لإخراجهم من الظلمات إلى النور.**

٧) **لأننا فى عصر انقلبت فيه الموازين:**

- فأصبح الحق باطلًا، والباطل حقًّا.
- والمنكر معروفًا، والمعروف منكرًا.
- والأمر بالمعروف فضولًا، والنهى عن المنكر تطفُّلاً.
- والتمسُّك بدين الله تزمتًا، والتمرد على شرع الله تحررًا.
- وبغض الكفار ومعاداتهم تطرُّفًا، وموالاتهم ومحبتهم توسُّطًا واعتدالا.
- والكذب سياسة، والنفاق لباقة.
- والسكوت عن قول الحق حكمة، والصدع بالحق فتنة.
- والناصح عدوًّا، والعدو صديقًا.
- والمجرم بطلًا، والمؤمن مُجرما.
- والمصلح مفسدًا، والداعى إلى الفساد مُصلحًا.

- والتهور شجاعة، والفوضى حرية.
- والحجاب تخلُّفًا وتأخُّرًا، والتبرُّج تقدُّمًا.
- والزواج قيدًا، والتعدد جريمة.
- والتعلُّق بغير الله حبًّا.
- والخلاعة والابتذال حرية للمرأة، والحجاب والقرار فى البيت كبت لها.
- والمصاحبة للفتيات بدعوى «الحب الطاهر» تسلية، والنكاح والزواج فجورًا».
- ومعاكسة الفتيات، وشرب المخدرات، وملاحقة الموضات، والجرى الجنونى بالسيارات، واللهث وراء المادِّيات والملذات تقدمًا ومدنية، وحفظ القرآن، والمحافظة على الحدود الشرعية تخلُّفًا ورجعية.
- والغش ذكاء، والرشوة هدية.
- والصلاة عادة، والزكاة غرامة، والصيام كسَلا ونوما، والحج نزهة.
- والعلم تكَسُّبًا، واتباع الأئمة تعصُّبًا، وتتُّبع الرُّخص دينًا، والفقه

ماذا يريد الله منك؟

جمودًا، والأدب انحلالا، والفن مجونا، والرياضة غاية.

- إذا أصبح هذا هو الشأن، كان لزاما على أهل الإيمان أن يجتهدوا فى تصحيح المفاهيم، ولا يكون هذا إلا عن طريق الدعوة إلى الله

✍ **وأخيرا:** فإن الدعوة إلى الله باب من أبواب الجهاد: قال شيخ الإسلام ابن تيمية -رحمه الله-: «**إن كمال الإسلام هو الأمر بالمعروف والنهى عن المنكر، وهو من أبواب الجهاد فى سبيل الله**».

✍ **وقال أيضا:** «فالدعوة إلى الله ﷻ من أعظم وأشرف أبواب الجهاد، لأن إنقاذ الناس وإرشادهم وهدايتهم إلى الحق عن طريق الحجة والبرهان، لا يقل أبدًا عن الجهاد فى الميدان، بالسيف والسنان، قال يحيى بن يحيى: (الذب عن الإسلام والسنة أفضل من الجهاد..).» [مجموع الفتاوى (٤/ ١٣)].



أثر الدعوة إلى الله في الأفراد والمجتمعات

✍ للدعوة أهمية كبرى في صيانة عقيدة الفرد المسلم، وعباداته، ومعاملاته، وأخلاقه.

✍ أما أثرها على المجتمع: فهو أثرٌ عميق كبير، لا يخفى على كُل ذي لُب، فهي السياج الواقي الذي يحفظ المجتمع من التيارات الخارجية المنحرفة: (فكريًّا، واجتماعيًّا، وغيرها).

✍ فبالدعوة المستقيمة تصح العقيدة، وتَصْلُح المعاملة، وتسود الأخلاق الحسنة، والسمات الطيبة، في أفراد الأمة كلها، أما إذا فُقِد العمل الدعويّ أو ضَعُف، فعندئذ تَكثُر الرذيلة، وينتشر الفساد.

من بركات الدعوة:

- بفضل الله، ثم بالدعوة عاد كثير من الشباب إلى الهدى ودين الحق.
- بفضل الله، ثم بالدعوة انتشرت السنن، وماتت البدع.
- بفضل الله، ثم بالدعوة خرج من بيوت الملحدين موحِّدون، وبغير عمل دعويّ قد يخرج من بيوت الموحدين ملحدون.

فالدعوة

هي صمام الأمان للمجتمع المسلم

شبهات

✍ قد يقول قائل: إن الدعوة إلى الله ﷻ أمر حسن، وشيء مستحب، ولكنه ليس واجبًا لازمًا على كل مسلم ومسلمة؟!

✍ والجواب: إن الدعوة إلى الله -تعالى- أشرف الأعمال وأزكاها، وهى أمانة فى أعناق المسلمين جميعًا، لقول النبى ﷺ: «**بلغوا عنى ولو آية، فَرُبَّ مبلغ أوعى من سامع، ورب حامل فقه إلى من هو أفقه منه**».

✍ والدعوة فى عمومها فرض عين -لا محالة-، وبالنسبة للدعاة والعلماء وطلبة العلم فهى فى حقهم أوجب، بدليل قول الله ﷻ:

﴿فَلَوْلاَ نَفَرَ مِن كُلِّ فِرْقَةٍ مِّنْهُمْ طَآئِفَةٌ لِّيَتَفَقَّهُواْ فِي الدِّينِ وَلِيُنذِرُواْ قَوْمَهُمْ إِذَا رَجَعُواْ إِلَيْهِمْ لَعَلَّهُمْ يَحْذَرُونَ﴾[التوبة: ١٢٢] .

✍ وقال ﷺ: «**لا تزال طائفة من أمتى ظاهرين على الحق، لا يضرهم من خذلهم، حتى يأتى أمر الله وهم على ذلك**».

✍ وبهذا يتضح أن هناك واجبًا عينيًا على الفرقة «الأفراد والجماعات»، وهناك واجب عينى على الطائفة «المؤهلين لأمر الدعوة».

• قد تقول: الحمد له: الحمد لله، هناك من يقوم بالعمل الدعوى، إذن لا يجب علّى أن أقوم بالدعوة!!

✍ والجواب: إن هناك واجبًا عينيًا آخر للدعوة، وهو المتمثل فى الدعوة الفردية، والحِسْبَة، أو ما نسميه «بالأمر بالمعروف، والنهى عن المنكر» [1].

✍ والسبب فى جعل الوجوب هنا عينيًا: هو أن الدعوة الفردية أمرها موكول للأفراد -أفراد الأمة- كُلٌّ حسب استطاعته، وما

---

(١) إن للأمر بالمعروف، والنهى عن المنكر فقهًا واسعًا، ألفت فيه الكثير من المؤلفات.. فننصح إخواننا جميعًا بالاطلاع على بعضها، حتى لا يقعوا فى بعض المحاذير الشرعية، فيفسدوا من حيث أرادوا الإصلاح، ومن هذه المؤلفات: «فقه الأمر بالمعروف والنهى عن المنكر» د. خالد السبت، و «الحكمة فى الدعوة إلى الله» د. سعد بن وهف القحطانى، ورسالة «الأمر بالمعروف والنهى عن المنكر» لشيخ الإسلام ابن تيمية، وكتاب «الأمر بالمعروف والنهى عن المنكر» للخلال، «أصول الدعوة» للشيخ/ عبد الكريم زيدان، الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر د ياسر برهامي وأكثر من الاطلاع على بعض الأبحاث المتعلقة بالأمر بالمعروف والنهى عن المنكر، والدعوة، والصفات الواجب توفرها فى الداعية للشيخ المفضال د./ فضل إلهى جزاه الله خيرًا، وأيضا أنصح كل من تصدر للدعوة إلى الله بمراجعة بحث شبهات حول الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر د فضل إلهي.

يعلم، والدليل على ذلك قوله تعالى: ﴿كُنتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ تَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَتَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنكَرِ﴾ [آل عمران: ١١٠].

• قد يقول قائل: إن العمل الدعوى حكر على فئة معينة، وهم «العلماء والمشايخ.. وفقط!!».

✍ والجواب: إن الدعوة الإسلامية ليست حكرًا أو وَقفًا على فئة معينة، أو طبقة مخصوصة، يَحْرُمُ على غيرها القيام بها.

✍ وليس عندنا في ديننا ما يعرف باسم «رجال الدين» الذين يملكون الثواب والعقاب، ويتولون أمر التشريع.. أبدًا..

✍ بل الدعوة إلى الله تعالى واجبة على جميع المسلمين، يحمل كل منهم دين الإسلام ويبلِّغه، كُلٌ حَسْبَ طاقته، وقدرته، واستطاعته، واستعداده، وحسب ما يبلغ من العلم والمعرفة، وما يحمل من حق، وما يرى من منكر..، وبهذا تكون الأمة كلها مشتركة في الدعوة إلى الله تعالى.

• قد تقول: لقد اقتنعت أن الدعوة إلى الله ليست واجبة على العلماء والدعاة فحسب، ولكن قد يدعو إلى الله من هم أكثر منِّي حماسًا، كأصحاب اللحى والعمائم، وبالتالي يرفعون عني الحرج!!.

✍ والجواب: إنَّ خدمة الدين ليست قضية أصحاب اللحى

والعمائم -كما استقر في ضمير البعض خطأ- بل هي قضية كل مسلم ينتمي للإسلام، لمحض كونه مسلمًا.

✍ وتركيبته كمسلم لن تستقيم إلا بتبني هذه القضية، بحيث تضحى حياة المسلم ممزوجة بهذه العاطفة نحو دينه، فإذا سأل عن طعامه وشرابه، فلن ينسَ أن يسأل نفسه: «ماذا قدَّم لدين الله ﷻ؟!».

✍ إن قضية «خدمة الدين» يجب أن تكون في قلوب وأفئدة كل المسلمين، فضلًا عن الدعاة والغيورين على دين الله ﷻ.

✍ ولنعلم أنه لو حدث هذا، فإن الدعوة ستقطع شوطًا واسعًا في إعلاء كلمة الله تعالى.

فتاوى هامة

• وحتى أقيم عليك الحجة الدامغة: فسأنقل لك بعض الفتاوى لكبار أهل العلم -ممن تدور عليهم الفُتيا فى زماننا- عن حكم الدعوة إلى الله هذا الزمان؟

فلقد ذكر سماحة الإمام العلامة الراحل: الشيخ/ ابن باز -رحمه الله تعالى- أن الدعوة إلى الله ﷻ واجبة، وأنها من الفرائض.

✍ واستدل الشيخ ببعض الأدلة، منها قوله تعالى: ﴿وَلْتَكُن مِّنكُمْ أُمَّةٌ يَدْعُونَ إِلَى الْخَيْرِ وَيَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنكَرِ وَأُولَٰئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ﴾[آل عمران: ١٠٤]، ومنها قوله تعالى: ﴿ادْعُ إِلَىٰ سَبِيلِ رَبِّكَ بِالْحِكْمَةِ وَالْمَوْعِظَةِ الْحَسَنَةِ وَجَادِلْهُم بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ إِنَّ رَبَّكَ﴾[النحل: ١٢٥].

ثم قال رحمه الله: (وصرَّح العلماء بأن الدعوة إلى الله ﷻ فرض كفاية بالنسبة إلى الأقطار التى يقوم فيها الدعاة، فإن كل قطر وكل إقليم يحتاج إلى الدعوة، وإلى النشاط فيها، فهى فرض كفاية، إذا قام بها من يكفى، سقط عن الباقين ذلك الواجب، وصارت الدعوة فى حق

ماذا يريد الله منك!

الباقين سنة مؤكَّدة، وعملا صالحًا جليًا).

أما إذا لم يقم أهل الإقليم، أو أهل القُطْر المعين بالدعوة على التمام، صار الإثم عامًّا، وصار الواجب على الجميع، وعلى كل إنسان أن يقوم بالدعوة، حسب طاقته وإمكاناته.

أما بالنسبة لعموم البلاء. فالواجب أن يوجد طائفة منتصبة، تقوم بالدعوة إلى الله ﷻ فى أرجاء المعمورة، تُبلِّغ الرسالة، وتبيِّن أمر الله ﷻ بالطرق الممكنة، والرسول ﷺ قد بعث الدعاة، وأرسل الكتب إلى الناس، وإلى الملوك والرؤساء، ودعاهم إلى الله ﷻ.

فالأمر بالمعروف، والنهى عن المنكر، فإنه يكون فرض عين، وقد يكون فرض كفاية، فإذا كنتَ فى مكان ليس فيه من يقوى على هذا الأمر، ويُبلِّغ أمر الله سواكَ، فالواجب عليكَ أن تقوم بذلك، أما إذا وُجِد من يقوم بالدعوة والتبليغ والأمر والنهى غيرك، فإنه يكون حينئذ فى حقك سنة فإذا بادرتَ إليه، وحرصتَ عليه، كنتَ بذلك منافسًا فى الخيرات، ومسابقا إلى الطاعات.

وعند قلة الدعاة، وكثرة المنكرات، وعند غَلَبة الجهل -كحالنا اليوم- تكون الدعوة فرض عين على كل مسلم، بحسب طاقته.

✍ **والخلاصة:** أن الدعوة قد تكون فرض عين بالنسبة إلى أقوام وإلى أشخاص، وسنة بالنسبة إلى أشخاص وإلى أقوام، لأنه وُجِدَ فى محلهم وفى مكانهم ومن قام بالأمر عنهم، أما بالنسبة لولاة الأمور ومن لهم القدرة الواسعة، فعليهم من الواجب أكثر، وعليهم أن يُبلِّغوا الدعوة إلى ما استطاعوا من الأقطار -حسب الإمكان- بالطرق الممكنة.

• **ولقد سُئل العلامة الفقيه:** الشيخ/ ابن عثيمين -جزاه الله عن الإسلام والمسلمين خيرًا- عن حكم الدعوة، وهل هى واجبة على كل مسلم ومسلمة، أم هى مقصورة على العلماء وطلاب العلم فقط؟!

✍ **فأجاب رحمه الله قائلا:** (إذا كان الإنسان على بصيرة فيما يدعو إليه، فلا فرق بين أن يكون عالمًا كبيرًا يُشار إليه، أو طالب علم يُجِدّ فى طلبه، أو عاميًّا لكنه عِلم المسألة علمًا يقينيًا...، فإن الرسول ﷺ يقول: «بلّغوا عنى ولو آية» [رواه البخاري كتاب الأنبياء]، ولا يُشترط: فى الداعية أن يبلغ مبلغا كبيرا فى العلم، ولكن يشترط أن يكون عالمًا بما يدعو إليه، أما أن يقوم عن جهل، ويدعو بناءً على عاطفة عنده، فإن هذا لا يجوز، ولهذا نجد عند الإخوة الذين يدعون إلى الله، وليس عندهم من العلم إلا القليل، نجدهم لقوة عاطفتهم يُحرِّمون ما لم يُحرِّمه الله، ويوجبون ما لم يوجبه الله على عباده، وهذا أمر خطير جدًّا، لأن تحريم ما

أحل الله كتحليل ما حرّم الله.. فهم مثلا إذا أنكروا على غيرهم تحليل هذا الشيء، فغيرهم ينكر عليهم تحريمه أيضا، لأن الله ﷻ جعل الأمرين سواء، فقال: ﴿وَلَا تَقُولُوا لِمَا تَصِفُ أَلْسِنَتُكُمُ الْكَذِبَ هَٰذَا حَلَالٌ وَهَٰذَا حَرَامٌ لِّتَفْتَرُوا عَلَى اللَّهِ الْكَذِبَ إِنَّ الَّذِينَ يَفْتَرُونَ عَلَى اللَّهِ الْكَذِبَ لَا يُفْلِحُونَ﴾ [النحل: ١١٦] ».

• **ولقد سئل سماحة شيخنا العلامة المحدث:** الشيخ/ محمد ناصر الدين الألبانى -رحمه الله- عن حكم الدعوة فى هذا العصر؟!

✍ **فأجاب قائلا:** (الواقع أننا نشعر بأن كلمة الدعوة اليوم أصبح لها مفهوما جديدا غير المفهوم السابق الذى يفهمه كل عالم بالكتاب والسنة، مثلا قوله تعالى:

﴿وَمَنْ أَحْسَنُ قَوْلًا مِّمَّن دَعَا إِلَى اللَّهِ وَعَمِلَ صَالِحًا وَقَالَ إِنَّنِي مِنَ الْمُسْلِمِينَ﴾ [فصلت: ٣٣]).

فإن مفهوم الدعوة فى «الآية» غير مفهوم هذه الدعوة اليوم.

✍ **فمفهوم هذه الدعوة فى الآية وأمثالها:** إنما هو تبليغ الناس الإسلام، وتفهيمهم إياه على ما أراد الله وبلغه رسوله ﷺ، فالدعوة بهذا المعنى تدخل فى الأمر بالمعروف والنهى عن المنكر، وحينذاك فالجواب

على السؤال الأول: أنها فرض عين على كل مسلم، لكن هذه الفريضة تختلف من شخص إلى آخر، باختلاف هؤلاء الأشخاص، ثقافةً، وعلمًا بالشريعة، **فلا يستوى فى ذلك مثلًا:** أُمّيّ مع قارئ، وجاهل مع عالم، وبين هذا وهذا درجات لا يعلمها إلا الله، **ويجمع ذلك قولنا:** أن المسلم كلما ازداد ثقافةً، كلما اتسعت دائرة وجوب الدعوة إلى الله سعة، والعكس بالعكس.

نخلص من أقوال علمائنا -رحمهم الله تعالى-:

✍ **أن الدعوة إلى الله** واجب دينى على كل مسلم -كل بحسب طاقته وقدرته-، فهى واجبة كالصلاة، مع التفاوت بين الواجبين.

شبهة

✍ **قد تقول:** وهل تريدنى أن أترك دراستى وعملى وأقوم بمهام الداعية إلى إلى الله، لأحمل الأمانة وأنصح للأمة؟!

✍ **والجواب:** لا ...، لأن تكوين الشاب العلمى والفكرى والثقافى -بما لا يتعارض مع ديننا- أمر مطلوب، بل قد تكون من أسمى الغايات فى هذه المرحلة -إذا حسنت النوايا.

• **ولكن أود منك** أن تجتهد فى دعوة إخوانك ورفاقك وهم فى القاعات الدراسية، وأن تدعو غيرك فى بيتك الذى تسكنه، وأن تدعو رفاقك فى الحى الذى تعيش فيه، وأن تجتهد فى دعوة أهلكَ وذَويكَ وعشيرتك.

✍ **وأبشرك..** فإن واجب الدعوة إلى الله يتحدد بقدر حال الداعى وقدرته، لأن الدعوة إلى الله ليس لها وقت محدد -كالصلاة والصيام-، ولهذا فيسهل عليكَ أن تؤديه فى جميع الأحوال والظروف، وفى كل وقت يتيسر لكَ فيه أداؤه.



ما هى عدة الداعى إلى الله؟!

إن عدة الداعى إلى الله ﷻ ثلاثة أشياء:

الفقه الدقيق — الإيمان العميق — الاتصال الوثيق

أما عن الفقه الدقيق:

لأن حاجة المسلم -عموما- والداعية -خصوصا- إلى العلم حاجة أكيدة، بل إن الداعية يحتاج إلى العلم كما يحتاج إلى الماء والهواء بل أكثر، لأن دعوة بلا علم تفسد أكثر مما تصلح.

ومن العلم العزيز الذى يغفل عنه الكثيرون: علم طريق الآخرة: الذى يُهيج القلب ويُزعجه، ويدفعه إلى سلوكه، ويشعر صاحبه بغربته فى الدنيا وقرب رحيله عنها إلى سفر بعيد، لا يرجع بعده إلى الدنيا، ولا ينفع فيه زاد إلا التقوى.

ولذلك فهو مشغول دائما بإعداد هذا الزاد، متطلعا إلى ما يئول إليه أمره بعد سفره البعيد.

أيكون مصيره إلى نار جهنم ؟! أم إلى دار النعيم فى جوار الرب الكريم.

وهذا الفهم يقوم على أسس، منها:

- تدبر القرآن الكريم: الذى يُعلم المسلم ربه الذى يدعو إليه، وطريقة الوصول إليه ﷻ.
- وفى مقابل ذلك: معرفة ما يدعو إليه الشيطان، والطرق الموصلة إليه، وكيفية اجتنابها والتخلص منها.
- كذلك فإن أهم أركان هذا الفقه الدقيق: فهم الداعى غايته فى الحياة، ومركزه من البشر.

الإيمان العميق:

فنعنى به: أن يكون المسلم موقنًا بأن الإسلام الذى هداه الله إليه، وأمره بالدعوة إليه حق خالص، لأنه هدى الله، وما عداه باطل وضلال قطعًا، فأى تحول عن هذا اليقين، وميل إلى غيره يعنى: اتباع الأهواء الباطلة التى فيها الضلال والضياع.

وهذا الإيمان العميق: ضرورى لكل مسلم، فضلًا عن أن يكون داعية إلى الله، فى هذا الوقت الذى ضعفت فيه كلمة الإسلام، وعَلَتْ فيه كلمة الكفر، وازدادت محن المسلمين، وصال الكفرة عليهم وجالوا.

➤ **وإلا ذاب** مع من ذابوا في بوتقة الزيغ والضلال، وانقلب مع من انقلبوا، أو على الأقل تاه مع التائهين، واختلطت عليه الأمور.

فيا أخانا، ينبغي أن تكون صاحب إيمان عميق، وحقيقة الإيمان لا تتم في قلب إلا: إذا جاهد الناس في الالتزام بأمر هذا الدين، ومن باب أولى فإنه يجاهد نفسه كذلك.

وأنت صاحب غاية، وإنما يوصِّل المرء إلى غايته شغفُهُ بها، وإيمانه واقتناعه بها، وتفانيه فيها، وانقطاعه إليها بجميع مواهبه وطاقاته ووسائله، وذلك هو الشرط الأساسي، والسمة الأساسية للداعية.

وأنت طالب نفوذ إلى الله والدار الآخرة، ومن كان كذلك يجب أن يكون شجاعا مقدامًا، حاكمًا على فهمه، زاهدًا في كل ما سوى مطلوبه، عاشقًا لما توجَّه إليه، عارفا بطريق الوصول إليه، والطرق القواطع عنه، قوي الهمة، ثابت الجأش، لا يثنيه عن مطلوبه لومُ لائم، ولا عذل عاذل، مستمر في دعوته بلا كلل ولا ملل، ولا فتور ولا ضَجَر، امتثالا لأمر الله، وطلبًا للأجر منه وحده، **شعاره**: الصبر، **وراحته**: التعب، ولا يبخل على دعوته بشيء من الجهد أو الوقت أو الفكر.

➤ **والخلاصة:** إن علامة الإيمان العميق: أن تعيش بالإسلام، وللإسلام.

الاتصال الوثيق بالله تعالى:

لأن من أحسن الصلة بربه وداوم عليها: كان على مددٍ من الله ﷻ وعون منه.

➤ **ولا شك أن الداعية إلى الله أحوج الناس إلى ربه،** لأن الواحد إذا داوم الاتصال بالله -تعالى- حَفِظَ الله عليه دينَه ونشاطه، وبارك له في قوته وجهده وحركته، وأعانه وثبته، ورزقه السكينة والطمأنينة، ولقد صدق ابن القيم إذ يقول: (إن في القلب شعثًا لا يلمه إلا الإقبال على الله، وفيه وحشة لا يزيلها إلا الأنس بالله، وفيه حزن لا يزيله إلا السرور بمعرفة الله وصدق معاملته، وفيه قلق لا يسكنه إلا الاجتماع على الله والفرار إليه، وفيه نيران حسرات لا يُطفئها إلا الرضا بأمر الله وقضائه، ولزوم الصبر إلى وقت لقائه، وفيه فاقة لا يسدها إلا محبته والإنابة إليه، ودوام ذكره، وصدق الإخلاص له، ولو أعطي الدنيا وما فيها لم تُسد تلك الفاقة) أ.هـ.

أما إذا كان الاتصال بالرب ضعيفا: فإنه لا يمكن للداعي

-فضلا عن غيره- أن تكتمل شخصيته، أو يستقيم أمره، أو تزكو نفسه، أو ينشرح صدره، أو يكثر إنتاجه، أو تثمر دعوته، وهذا أمر خطير يدفع بالمسلم إلى التقاعد والتكاسل عن هذه العبادة الجليلة، وحينها يفقد القدرة -تماما- على أن يمتَّلك زمام نفسه، وقوامته على أهوائه وغرائزه، ويقع فريسة للمغريات والمفاتن المختلفة.

وهذا يحتاج من الداعى إلى الله أن يتحرر -هو أولا- من عبودية غير الله (من الأهواء والشبهات)، ويستشعر قرب الله منه، ورقابته عليه، وهذا يتطلب منه مجاهدة نفسه وميولها وأهوائها، وحينها يُوفَّق فى دعوته، ويفتح اللهُ القلوبَ على يديه.

هذه بعض الأسس التى يحتاجها الداعية الناجح الموفق..

ماذا لو تركنا الدعوة إلى الله

ويبقى السؤال: ماذا يحدث لنا لو تركنا الدعوة إلى ديننا؟!

والجواب: ما نجزم به ونعتقده: أن الله ﷻ غنىٌّ عن العالمين، وأنه -سبحانه- ناصرٌ دينه، بنا أو بغيرنا.

➢ **ولكننا إذا نظرنا** إلى واقع المسلمين يوم تقاعسنا عن الدعوة إلى ديننا، رأينا بأعيننا ضياع كل شيء، حتى سقط اللواء من بين أيدى المسلمين، وهم ينظرون، وألقوا بأنفسهم، فى حمأة الذل، ومرجَل الهوان، ورضوا بالتبعية، وفقدان الكرامة والسيادة، وأصبحوا هواءً، بل أصبحوا هباءً لا يؤبه لهم، وأضحت الأمة مطمع أراذل القوم وسفَلة الناس، وذلت لمن كتب الله عليهم الذلة والمسكنة، فأى مذلة أشد من هذه المذلة، وأى مهانة أعظم من ذلك؟!

• **يوم تركنا دعوتنا، وأعرضنا عن ديننا:** ضاعت كرامتنا، وذهبت عنا نخوتنا ورجولتنا، ودُنست مقدساتنا، واستبيحت أعراضنا،

ونحن نقف موقف المتفرج المرعوب، أو موقف المبهوت المفضوح أمام تلك الأحوال السيئة.

➢ **والكل يتساءل:** ما فائدة العيش إذا فى هذه الذلة، وهل للحياة طعم ومذاق عند من عنده نوع من الانكسار إلا طعم المُرِّ، ومذاق العلقم؟!، فوالله إن ظل الأمر على ذلك، فباطن الأرض خير من ظاهرها !! فالمنية ولا الدنيَّة.

لهذا نقول للجميع كونوا أنصار الله

➢ **على الأمة الإسلامية** بأسرها أن ترفع عن كاهلنا نير الظلم وذل التبعية، وأن تأخذ على عاتقها إرجاع العزِّ المفقود والأمل المنشود، وأن تعيد للإسلام مجده، ولدولته عزها وشرفها وسؤددها.

➢ **ولن يتحقق هذا إلا:** إذا وقف الجميع -حكاما ومحكومين- خلف العلماء الربانيين والدعاة الصادقين، مسترشدين بأقوالهم وأفعالهم، مؤازرين لهم، ومُعِينِينَ على أداء مهامهم.

➢ **إننا نستصرخ كل الهمم** [خاصة: العلماء وطلاب العلم وأصحاب القوة والشوكة، لأن عليهم من الوجوب ما ليس على غيرهم، والناس لهم تَبَع]، بأن تُستَفرغ كل الجهود للعمل للإسلام،

وبالإسلام، فى عمل مُضنٍ، وجهد متواصل، واقتحام كل العقبات، وتحطيم كل المقومات، بكل صبر وجَلَد.

➢ **أخي الشاب:** إننا نعيش فى ظلمة ظلماء، وفتنة عمياء، تبحث عمن يُبددها!!

➢ **خزي وعار وذل مهين،** ينتظر من يرفعه، وواقع أليم يستصرخ منا الهمم.

• **فهيا أخي الكريم:** هيا أجب النداء، قم ودع الدِّعَة، واهجر الكسل، قم وارفع لواء الدعوة إلى الله، تحرك لدين الله -تعالى- ليلا ونهارًا، فأنا لا أعلم هدفا ساميا عظيما يستحق فناء الأعمار، وحشد الجهود والطاقات، كالدعوة إلى الله تعالى.

➢ **هيا...** أخي الفاضل، قم واجتهد، وتحرك لنصرة هذا الدين العظيم، وتذكر دومًا كلام الحسن البصري -رحمه الله- إذ يقول فى وصف المتحرك للدعوة إلى الله: «هو المؤمن أجاب الله فى دعوته، ودعا الناس إلى ما أجاب الله فيه من دعوته، وعمل صالحًا فى إجابته، فهذا حبيب الله، هذا ولي الله».

إلى الباحثين عن عمل، إليكم هذه الوظيفة الغالية

هذه الوظيفة المباركة، التى تدّر عليكَ الآلاف، بل الملايين من الحسنات.

- **فهيا أقبل واعمل فيها،** واعلم أنك -أخى الكريم- مطالب اليوم بعد الاستقامة، بأداء مسئوليتك الكبرى، والقيام بدورك الحضارى، الذى كُلِّفتَ به من قِبَل الشارع الحكيم.

- **إنك مطالب بإنقاذ البشرية بشكل عام،** وإنقاذ -العالم الإسلامى- بشكل خاص من ظلمات المادية الطاغية، وموجات الإباحية العاتية، ونزعات الإلحاد والضلال، إلى إشراقة الحق والعرفان، ونور التوحيد والإيمان، وشمس الحق والإسلام.

قد تقول: وكيف أخدم دين الله ؟!

والجواب: إن مجالات خدمة الدين -و لله الحمد- كثيرة، **منها:**

- **الخطابة الهادفة،** إذا كنت ممن رزقه الله هذه الموهبة.

- **إلقاء بعض الكلمات،** والتوجيهات الإيمانية، والتربوية فى

مسجد «الجامعة» أو «القرية» أو فى مسجد الحى، أو أى مسجد «آخر».

- **تعلم القرآن،** وعلمه للأطفال والصبية.

- **قم بإعداد مجلة حائط،** وعلقها فى المسجد، ويمكنك الإستفادة من مجلة «التوحيد» الإسلامية، وهى تصدر شهريا عند بائع الجرائد والمجلات.

- **إذا كنت لا تستطيع فعل كل هذا،** فما عليكَ إلا أن تجتهد فى الدعوة الفردية.

- **ولا بأس أن تجتهد** فى استخدام الوسائل الدعوية النافعة المشروعة، ومن ذلك:

استخدام الوسائل الدعوية النافعة «كأشرطة الكاسيت»، وتوزيعها على ذوى الاحتياج.

دعوة الناس إلى مجالس العلم الشرعى للعلماء الراسخين الموثوق بعلمهم، وربط الناس بهم، بغير تعصب ممقوت.

الاجتماع بأفراد الأسرة يوما واحدا فى الأسبوع، وقراءة كتاب من الكتب الشرعية السهلة.

اكتب مقالا نافعا هادفا فى جريدة من الجرائد، أو أرسله إلى إحدى الصحف.

- **متابعة المواقع النافعة على الإنترنت**، ومحاولة تزويد الدعاة بالأخبار الهامة.

- **توزيع الرسائل والمطويات والكتيبات**، والدعوة إلى ذلك.

- **استغل الأجهزة الحديثة دعويا**: كالمحمول، والإنترنت، والهاتف.

- **اقتطع جزءا يسيرا من مالك الخاص**، أو راتبك الشهرى، وقم بعمل ما يسمى بـ"الحقيبة الدعوية"، وهى حقيبة تحوي رسائل ومطويات نافعة، وأشرطةو أذكار...، لتقوم بتوزيعها فى أى مكان.

- **وهناك مجالات أخرى** يمكنك أن تخدم الإسلام من خلالها: احفظ حديثا، انقل حُكْمًا، اسمع شريطًا وبلغه، اقرأ كتابًا، وانفع الناس بما فيه من العلم، وزِّع رسائل أو مطويات، قدم نصيحة هادئة هادفة، اكتب مقالا، فنِّد شبهةً وَرُدَّ عليها، صمم موقعا دعويا، صحح خطأ، أنكر منكرا، سدد أخا، وآخى ناصحا، طَهر بيتا من الحرام، امنح محروما، أعِن مجاهدا، وأنفق مالا فى سبيل الله، أغث ملهوفا، اهدِ حيرانا، ردَّ

سلاما، وشمِّت عاطسا، أذِّن للصلاة، علم جاهلا -وإياك أن تسخر منه- ألف رسالة أو مطوية، قدِّم رأيا مخلصا بنَّاءً، قوِّم بدعة، أتقن عملا، أطعم مسكينا، اتبع جنازة، اكس عاريا، زر مريضا، أسس مسجدا، أصلح طريقا، استر عيبا، انصر مظلوما، اجمع صدقات، علق لوحة دعوية، عظ عاصيا برحمة ورفق ولين، اقض دينا، أشبع جائعا، أيقظ للصلاة نائما، نشط للخير خاملا، أرشد تائها، تعهد نشأ، وجه للخير طاقة، سد ثغرة، اقترح فكرة، أيد مربيا، شارك فى الخير عاملا، قدم برنامجا إسلاميا، زوج شابا، أكرم ضيفا، صل رحما، بجل شيخا، ووقر عالما..

- **إذن فمجال الدعوة مفتوح**، المهم أن نتمكن أنت من تحديد المجال الذى تستطيع أن تخدم فيه دينك[1].

والله أسأل ألا يحرمنا شرفَ الدعوة إليه حتى نلقاه، هو ولى ذلك والقادر عليه.

فإذا حققت فى نفسك التربية بشمولها وكمالها، وبطريقة متزنة منتظمة، فأبشر فإنك قد وفقت للعمل بقوله تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا ادْخُلُوا فِي السِّلْمِ كَافَّةً﴾ [البقرة: ٢٠٨].

---

(١) أنصحك -أخي المكرم- بمراجعة بحث (كلنا دعاة...١ فكرة ووسيلة وأسلوب فى الدعوة إلى الله تعالى) تأليف/ عبد الله بن أحمد آل علاف الغامدى ..ط دار الإيمان الأسكندرية.

ثامنا

كن مستقيما ثابتا

فإن الطريق إلى الله: هو سلوك صراطه المستقيم الذى بَعَثَ الله به رسوله، وأنزل به كتابه، وأمر الخلق كلهم بسلوكه والسير فيه والثبات عليه.

معنى الاستقامة

➢ الاستقامة لغة: ضد الطغيان، وهو مجاوزة الحدود فى كل شيء، قال تعالى: ﴿قُلْ إِنَّمَا أَنَا بَشَرٌ مِّثْلُكُمْ يُوحَى إِلَيَّ أَنَّمَا إِلَهُكُمْ إِلَهٌ وَاحِدٌ فَاسْتَقِيمُوا إِلَيْهِ وَاسْتَغْفِرُوهُ وَوَيْلٌ لِّلْمُشْرِكِينَ﴾ [فصلت: ٦] وقال تعالى: ﴿وَأَلَّوِ اسْتَقَامُوا عَلَى الطَّرِيقَةِ لَأَسْقَيْنَاهُم مَّاءً غَدَقًا﴾ [الجن: ١٦].

والاستقامة اصطلاحا: كما قال النووى: قال العلماء معنى الاستقامة لزوم طاعة الله تعالى. [نقلا عن «رياض الصالحين»].

➢ وقال ابن القيم: سُئل صديق الأمة وأعظمها استقامة بعد نبيها - أبو بكر الصديق - عن الاستقامة؟ فقال: «ألا تشرك بالله شيئا»، يريد الاستقامة على التوحيد المحض.

- وقال عمر بن الخطاب ﷺ: «الاستقامة»: أن تستقيم على الأمر والنهى ولا تروغ روغان الثعالب.
- وقال عثمان بن عفان ﷺ: «استقاموا»: أخلصوا العمل له».
- وقال على بن طالب ﷺ: «استقاموا»: أى أدوا الفرائض.
- وقال ابن تيمية: (استقاموا على محبته وعبوديته فلم يلتفتوا عنه يمنة ولا يسرة). [تهذيب مدارج السالكين ص٢٦٤].



لماذا نستقيم على أمر الله؟!

١. لأن الله - تعالى - يحب الاستقامة ويأمر بها:

➢ لهذا أمر الله تعالى نبيه ومن معه من الصحب الكرام أن يستقيموا على الحق وعمل الصالحات، وأن يتركوا الباطل، ليكون جزاؤهم خير الجزاء يوم الحساب والجزاء...، يقول تعالى: ﴿فَاسْتَقِمْ كَمَا أُمِرْتَ وَمَن تَابَ مَعَكَ وَلاَ تَطْغَوْاْ إِنَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ﴾ [هود: ١١٢].

٢. لعظم فضل الاستقامة، وجزيل ثوابها:

➢ يقول الله تعالى مبينا جزاء أهل الاستقامة: ﴿إِنَّ الَّذِينَ قَالُوا رَبُّنَا اللَّهُ ثُمَّ اسْتَقَامُوا تَتَنَزَّلُ عَلَيْهِمُ الْمَلَائِكَةُ أَلَّا تَخَافُوا وَلَا تَحْزَنُوا وَأَبْشِرُوا بِالْجَنَّةِ الَّتِي كُنتُمْ تُوعَدُونَ﴾ [فصلت: ٣٠]، ويقول تعالى: ﴿إِنَّ الَّذِينَ قَالُوا رَبُّنَا اللَّهُ ثُمَّ اسْتَقَامُوا فَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ * أُوْلَئِكَ أَصْحَابُ الْجَنَّةِ خَالِدِينَ فِيهَا جَزَاءً بِمَا كَانُوا يَعْمَلُونَ﴾ [الأحقاف: ١٣، ١٤].

➢ ولقد بين النبى ﷺ فضل الاستقامة فى كثير من الأحاديث منها: حديث سفيان بن عبد الله قال: قلت يا رسول الله! قل لى فى الإسلام قولا لا أسأل عنه أحدا غيرك، قال: «قل آمنت بالله ثم استقم» [رواه مسلم].

وعن ثوبان رضي الله عنه: أن النبى ﷺ قال: «استقيموا ولن تحصوا، واعلموا أن خير أعمالكم الصلاة، ولا يحافظ على الوضوء إلا مؤمن» [رواه أحمد وابن ماجه بسند صحيح].

٣. لأن الاستقامة أمر واجب على العبد:

➢ فالمطلوب من العبد: الاستقامة، وهى السداد، فإن لم يقدر عليها فالمقاربة، فإن نزل عن ذلك فالتفريط والإضاعة، ويؤيد ذلك حديثُ أبى هريرة رضي الله عنه عن النبى ﷺ قال: «سددوا وقاربوا واعلموا أنه لن ينجو أحدٌ منكم بعمله»، قالوا: ولا أنت يا رسول الله؟، قال: «ولا أنا، إلا أن يتغمدنى الله برحمة منه وفضل» [رواه مسلم].. فجمع فى الحديث مقامات الدين كلها.

➢ فأمر بالاستقامة وهى: السداد والإصابة فى النيات والأقوال والأعمال.

➢ وأخبر فى حديث ثوبان أنهم لا يطيقونها، فنقلهم إلى المقاربة بمعنى: محاولة القرب من الاستقامة بحسب طاقاتهم، كالذى يرمى إلى الغرض فإن لم يصب يقاربه، ومع هذا أخبرهم أن الاستقامة والمقاربة لا تنجى يوم القيامة، فلا يركن أحد إلى عمله، ولا يعجب به، ولا يرى نجاته به، بل إن نجاته برحمة الله وعفوه.

٤. لأن الاستقامة هى حقيقة الدين كله:

➢ فالاستقامة كلمة جامعة آخذة بمجامع الدين، وهى القيام بين يدى الله على حقيقة الصدق والوفاء بالعهد...

➢ كذلك فالاستقامة تتعلق بالأقوال والأفعال والأحوال والنيات، والاستقامة فيها: وقوعها لله وبالله، وعلى أمر الله.

٥. لأن الاستقامة هى هدف كل عبد ربانى:

➢ إن الاستقامة على شرع الله، والالتزام بأوامره، والتمسك بهديه، والاعتصام بصراطه، والسير على نهجه مطلب أكيد، ورغبة ملحة، وهدف سام، وغاية حميدة، ومقصد نبيل لكل مسلم يريد إرضاء ربه، ونيل جنته، والفوز برحمته.



كيف أستقيم؟!

١) استعن بالله تعالى، فإنه هو المعين على كل خير -سبحانه وبحمده.

٢) مصاحبة أهل الاستقامة وتقليدهم ومحاكاتهم.

٣) محاسبة النفس على أى تقصير ولو كان يسيرا.

٤) الحذر من الترخص الجافى.

٥) عليك بالاستقامة بكل أحوالها وأنواعها

الباطنة و الظاهرة

الاستقامة باطنا :

ونعني بها: استقامة القلب، وتكون بثلاثة أشياء:

- أن تكون محبة الله -تعالى- عندك مقدمة على جميع المحاب، فإذا تعارض حب الله وند، سبق حب الله تعالى حب ما سواه.

- أن يحب العبد ما يحبه الله -تعالى- محبة توجب له الإتيان بها وجب عليه منه فإن زادت المحبة حتى أتى بما ندب إليه كان ذلك فضلا، وأن يكره ما كره الله -تعالى- كراهة توجب له الكف عمّا حَرّم الله عليه منه فإن زادت الكراهة حتى أوجبت الكف عما كرهه تنزهًا كان ذلك فضلا، وقد قال ﷺ: «**لا يؤمن أحدكم حتى أكون أحب إليه من نفسه وولده وأهله والناس أجمعين**».

➢ **فلا يكون المؤمن مستقيما** حتى يقدم محبة الرسول على محبة جميع الخلق، ومحبة الرسول تابعة لمحبة مرسله، والمحبة الصحيحة تقتضي المتابعة والموافقة في حب المحبوبات وبغض المكروهات أ.هـ.
راجع جامع العلوم والحكم. للحافظ ابن رجب الحنبلي ص ٣٦٤.

- **أن يعظم قلبك الأمر والنهي**، ولذلك علامات منها:

البعد عن الفتن ومظانها وأسبابها.

عدم التوسع في المباحات خشية الوقوع في المكروه.

مجانبة المجاهرة بالمعصية، مع الغضب التام إذا انتُهِكت حرمات الله.

الحذر من الترخص الجافي، والتشدد المبالغ فيه.

الحذر من حمل الأمر الشرعي على علة تُضعف الانقياد والتسليم لأمر الله ﷻ، بل ويُسَلِّم أمره لله تعالى سواء عَلِمَ الحكمة أو جَهِلَها.

الاستقامة ظاهرا :

وتعني: استقامة الجوارح، ويكون ذلك عن طريق:

- **اتباع المأمور**، واجتناب المحظور، والوقوف عند الحد.

- **معرفة العبودية الواجبة على كل جارحة خلقها الله ﷻ، فمثلا:** نعمة البصر: نعمة عظيمة، وعليها عددٌ من العبوديات.. قد يكون النظر مباحا، وقد يكون واجبا، وقد يكون مستحبا، وقد يكون حراما، وقد يكون مكروها.. فلا بد من معرفة حكم النظرة في ضوء ما ذكرنا، وهكذا...

• **فإذا منّ الله عليك بالاستقامة:** فاحمد الله تعالى واسأله الثبات عليها.

• **يا عباد الله اثبتوا:**

➢ **اعلم عبد الله:** أن العبد لا يستغنى عن تثبيت الله له على الإسلام طرفة عين، فإن لم يثبته الله زالت عنه سماء إيمانه وأرضه من مكانها.

– **وأعنى بالثبات على الحق:** الاستقامة على صراط الله المستقيم، وشرعه القويم، وطريقه الموصل إلى جنات النعيم، الذى من سلكه واستقام عليه نجا، ومن انحرف ضلَّ وغوى.

الثبات على الحق لماذا؟!

١. **لأن الثبات على الحق حياة ونور:** والزيغ عنه موت وظلمة، بل هو حيرة وضلالة: كما قال الله تعالى: ﴿قُلْ أَنَدْعُو مِن دُونِ اللهِ مَا لاَ يَنفَعُنَا وَلاَ يَضُرُّنَا وَنُرَدُّ عَلَى أَعْقَابِنَا بَعْدَ إِذْ هَدَانَا اللهُ كَالَّذِي اسْتَهْوَتْهُ الشَّيَاطِينُ فِي الأَرْضِ حَيْرَانَ لَهُ أَصْحَابٌ يَدْعُونَهُ إِلَى الْهُدَى ائْتِنَا قُلْ إِنَّ هُدَى اللهِ هُوَ الْهُدَى وَأُمِرْنَا لِنُسْلِمَ لِرَبِّ الْعَالَمِينَ﴾ [الأنعام: ٧١].

وإن كان هذا مثلا ضربه الله لمن حاد عن المنهج وانحرف عنه، ولمن بقى وثبت عليه، فإن رسول الله ﷺ ضرب لنا مثلا محسوسا أوضح فيه كيف يسير الإنسان على المنهج القويم ويثبت عليه، متجنبا أسباب الانزلاق والانحراف عنه، كما فى حديث النواس بن سمعان رضي الله عنه قال: **«ضرب الله مثلا صراطا مستقيما، على كتفى الصراط سوران فيهما أبواب مفتحة، وعلى الأبواب ستور مرخاة، وعلى الصراط داع يدعو يقول: يأيها الناس اسلكوا الصراط المستقيم جميعا ولا تعوجوا، وداع يدعو إلى الصراط، فإذا أراد أحدكم فتح شيء من هذه الأبواب قال: ويلك لا تفتحه، فإنك إن تفتحه تلجه، فالصراط: الإسلام، والستور حدود الله، والأبواب المفتحة: محارم الله، والداعى على رأس الصراط: كتاب الله، والداعى من فوق الصراط: واعظ الله يذكر فى قلب كل مسلم»** [رواه الترمذى وأحمد، والحاكم وقال: صحيح على شرط مسلم، وصححه الألبانى].

➢ **فهذا تصوير بليغ من النبى ﷺ لمنهج الله، وللسائر عليه، الذى وفق للثبات وجنب الزلل.**

٢. **لأن الثبات على الحق هو صفة أهل الجنان:** فالمؤمنون الصادقون السائرون على هذا المنهج الحق، الثابتون عليهم لهم فضلهم،

يقول الله تعالى: ﴿فَأَمَّا الَّذِينَ آمَنُواْ بِاللهِ وَاعْتَصَمُواْ بِهِ فَسَيُدْخِلُهُمْ فِي رَحْمَةٍ مِّنْهُ وَفَضْلٍ وَيَهْدِيهِمْ إِلَيْهِ صِرَاطًا مُّسْتَقِيمًا﴾ [النساء: ١٧٥].

➢ **فلما آمنوا بالله وصدقوا به**، وأقروا بوحدانيته، وما بُعث به الرسول، وتمسكوا بذلك، وعَدَهُم الله بعظيم نعيمه وجزيل ثوابه، ووفقهم إلى سلوك الصراط المستقيم والمنهاج القويم، وأعانهم بالثبات عليه حتى يلقوه، فينالوا رحمته ورضوانه.

٣. **تشبها بالنبى ﷺ**: حيث إن الله الكريم امتنَّ على أكرم خلقه عليه -عبده ورسوله محمدا ﷺ- بنعمة الثبات على الإسلام، فقال: ﴿وَلَوْلاَ أَن ثَبَّتْنَاكَ لَقَدْ كِدتَّ تَرْكَنُ إِلَيْهِمْ شَيْئًا قَلِيلاً {٧٤} إِذاً لَّأَذَقْنَاكَ ضِعْفَ الْحَيَاةِ وَضِعْفَ الْمَمَاتِ ثُمَّ لاَ تَجِدُ لَكَ عَلَيْنَا نَصِيرًا﴾ [الإسراء: ٧٤،٧٥].

➢ **ومن تتبع سيرة النبى**، ورأى كيف حاول قومه جاهدين أن يُوقفوا دعوته ويُعطلوا سيرها، ويُخمدوا أنفاسها، ويُبددوها فى مهداها، تَعلَم كمَّ المعاناة التى عاناها رسول الله ﷺ، فلقد سلكوا معه كل مسلك مُعْوَّج، واستخدموا كل وسيلة سيئة، وكلَّ أسلوب منحط ليتنصل عن دعوته وينسلخ، ولكنه ثبت بأبى هو وأمي ﷺ.

وصفوه بالجنون والكهانة والسحر، ورموه بأنه شاعر، وسلكوا معه كل سبل الاستهزاء والسخرية، وأثاروا حوله الشبهات المضللة، والدعايات المغرضة، والأراجيف الواهية، واتهموه بأبشع التهم..

➢ **فلما باءت محاولاتهم بالفشل**، سلكوا سبلا أخرى أنكى وأشد:

فلقد حاولوا إغرائه بالمال والشرف والملك، فلما رفض عزموا على قتله والقضاء عليه، وحاولوا ذلك كَرَّات ومَرَّات، ولكن ذهبت محاولاتهم أدراج الرياح.

تفننوا فى إيصال الأذى إليه بكل ما أوتوا من قوة، فما وصلوا إلى ما يريدون، شنوا عليه وعلى من آزره حربا اقتصاديا بشعة، استمرت ثلاثة أعوام عجاف، فلم تفلح خطتهم.

ثم انتهت محاولاتهم بالإخراج والطرد الذى أدى -فيما بعد- لتجريد السيوف وسفك الدماء.

كل هذا يحدث ورسول الله ﷺ ثابت على دعوته لم يتراجع خطوة واحدة، ولم يتزحزح قيد أنملة.

٤. **تشبها بالصحابة الكرام:** إن الصحابة هم خير الناس بعد الأنبياء، ومن تتبع مواقفهم وجدهم فى جميع أحوالهم لم يتلونوا، بل كان إيمانهم -فى جميع الأحوال- ثابتا لا يتزعزع مهما صادفهم من محن أو شدائد قابلهم من شدائد.





انظر إليهم

- **يوم كانوا محاصرين فى مكة،** يعذبهم الكفرة، ويلهبون ظهورهم بالسياط.
- **ويوم هاجروا** فارِّين بدينهم إلى الحبشة.
- **بل انظر إليهم هجرتهم إلى المدينة،** وقد خرجوا من ديارهم وأوطانهم مشَّردين مطاردين.
- **وانظر إليهم يوم أن انتصروا فى بدر،** وهزموا فى أحد، وحوصروا فى الخندق.

- **كانوا فى هذه الأحوال كلها صابرين صامدين،** مَثَلُ الواحد منهم كالجبل الأشم الذى لا يتزحزح، لم يتزعزع إيمانهم، ولم يتسرب إلى قلوبهم ذرة من الشك فى كونهم على الحق، وأن الكفار فى ضلال مبين وإلى عذاب عظيم.

٥. **لأن الثبات نعمة عظيمة:** بل ما مُنِح العبد منحة أفضل من الثبات على الإسلام، حيث يجد ثمرته فى دنياه، وفى قبره، وفى معاده.



➢ **لهذا امتن الله على من شاء من عباده بهذه النعمة،** فقال سبحانه: ﴿يُثَبِّتُ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا بِالْقَوْلِ الثَّابِتِ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَفِي الْآخِرَةِ﴾ [ابراهيم: ٢٧]، ولا يدرك حقيقة هذه النعمة، ولا يقدرها من لم يعرف الجاهلية، ومن لم يذق مرارة الكفر وويلات البعد عن الله.

➢ **والذى عرف الجاهلية** وعَرَفَ ويلاتها -فى التصور والاعتقاد..- وواقع الحياة.. هو الذى يُحس ويشعر..، ويرى ويُبصر..، هو الذى يتذوق حقيقة نعمة الثبات على هذا الدين.

➢ **الذى يعرف ويعانى ويلات الضلال والعمى..** وويلات الحيرة والهوى.. وويلات الضياع والتمزق التى تسيل بها الشعاب بها الشعاب الجاهلية فى كل زمان ومكان..: هو الذى يُدرك نعمة الإيمان الذى التقطه من أدرك الجاهلية ثم بعد ذلك سما به إلى القمة السامقة، فإذا هو من علٍ ينظر إلى أمم الأرض..، ولكنه يتمزق حسرة عليهم..، ويحاول انتشالهم من أهوال الشرك والطين إلى آفاق الإسلام والثبات اليقين.

• **وحينئذ يوطن قدمه** على الصراط شكرًا لله على نعمة التثبيت، لأن شكر الله على نعمة الإسلام يكون بالثبات عليها.

ماذا يريد الله منك؟



➢ **فإننا ننادى بأهمية الثبات،** لضعف الإيمان، وقلة الالتزام، وكثرة العصيان، وانتشار الفتن، وتعاظمها وتفاقمها.

➢ **كذلك فإننا ننادى بأهمية الثبات،** لغربة الدين، وقلة الناصر والمعين، وندرة الرفيق، ومشقة السير، ووحشة الطريق.

ما هو المنهج الحق الذى ينبغى الثبات عليه؟!

➢ **والجواب:** هو منهج أهل السنة والجماعة وأهل الحديث (المنهج السلفي)، وهو منهج كامل يشمل الأقوال والأفعال والمعتقدات والسلوكيات.

➢ **هذا هو المنهج الحق** الذى يلزم المسلم أن يسير عليه، والمسلك القويم الذى يجب أن ينتسب إليه، والصراط المستقيم الذى يلزمه أن يثبت عليه، لأن النجاة تكمن فى التمسك به، والسعادة نائلة -إن شاء الله- مَن تشبث به وعضَّ عليه.





كيف أعرف المنهج الحق؟!

➢ **والجواب:** لهذا المنهج سمات تميزه عن غيره، تتلخص في الآتي:

• **أن مصدر التلقي فيه هو:** كتاب الله وسنة نبيه محمد ﷺ، وأن طريقه واحد لا يتعدد، مستقيم ليس بمعوج، وهو منهج شمولي كامل ثابت عام تام، واضح جليّ، باقٍ إلى قيام الساعة، مصلح لكل زمان ومكان، وسطي معتدل، بعيد عن الغلو والجفاء.

هذه بعض السمات المميزة لهذا المنهج المبارك.

➢ **والواجب على كل مسلم الوقوف على هذه السمات،** والتعرف عليها بشيء من التفصيل، ليقتنع بها ويَثْبُت عليها، فلا يعوج عنها، ولا يلتفت إلى سواها، ولا يُصاب بشيء من الحيرة والاضطراب والتذبذب، وبالتالي يسلم للمرء دينه، ويقوى إيمانه.

☜ احذر أن يستزلك الشيطان:

• **ربما سلك العبد في أول أمره المنهج الإسلامي القويم،** ثم تراه بعد فترة ينحرف عنه في آخر عمره، فيسلك بعض سبل الشيطان، فينقطع عن الله فيهلك.

• **وربما سلك الرجل أولاً بعض سبل الشيطان،** ثم تدركه السعادة فيسلك الصراط المستقيم في آخر عمره، فيصل به إلى الله..

➢ **والشأن كل الشأن** في الاستقامة على الصراط المستقيم من أول السير إلى آخره، والثبات على ذلك: ﴿ذَٰلِكَ فَضْلُ اللَّهِ يُؤْتِيهِ مَن يَشَاءُ وَاللَّهُ ذُو الْفَضْلِ الْعَظِيمِ﴾ [الجمعة: ٤].

➢ **وما أكثر من يرجع أثناء الطريق وينقطع،** ولقد صدق النبي ﷺ حين قال: «**إن القلوب بين أصبعين من أصابع الرحمن يقلبها كيف يشاء**» [رواه مسلم].



إلى من حاد عن الصف

➢ **نناديك.. يا من كنت معنا في الصلوات،** والجمعات، والأعمال الصالحات، ونقول لك.. ماذا دهاك؟!

➢ **إنى والله أحبك،** لهذا أدعوك أن تثبت على الحق وتصبر لتصل إلى الجنة..، واستمع إلى وصية عبد الله بن مسعود حيث يقول لك ولأمثالك: «عليكم بالطريق، فلئن لزمتموه: لقد سبقتم سبقًا بعيدا، ولئن خالفتموه يمينا وشمالا: لقد ضللتم ضلالا بعيدًا».

• **وكأني بأبي** العالية يقول لك ولأمثالك بأعلى صوته ناصحا: «تعلموا الإسلام، فإذا تعلمتموه فلا ترغبوا عنه، وعليكم بالصراط المستقيم، فإن الصراط المستقيم: الإسلام، ولا تنحرفوا عن الصراط المستقيم يمينا ولا شمالا، وعليكم بسنة نبيكم، والذى كان عليه أصحابه، وإياكم وهذه الأهواء التى تلقى بين أهلها العداوة والبغضاء».

• **فاحذر** أن تكون على طريق الله، ثم تتنكب عن هذا الطريق.

ماذا يريد الله منك؟

• **احذر** أن تزيغ عن دين الله، أو تنصرف عن شرعه، أو تنحرف عن صراطه، أو تميل إلى ما يجلب سخطه، أو تقع فيما يؤدى إلى غضبه من الأمور المهلكة والمسالك الموحشة، والمفاوز المقفرة، والسبل الوعرة التى تجلب أليم عذابه -سبحانه- وعظيم عقابه -جل شأنه-

• **احذر** أن يلبِّس الشيطان عليك..، فتظن أنك مستمسك بالحق ثابت عليه، وأنت مُصِرٌّ على رأى يوافق هواك وطبعك.

• **احذر** من العدول عن المنهج الحق.. باتباع الهوى، أو تحكيم العقل والرأى فى نصوص الوحى، أو التعبد لله تعالى بالبدع، أو التقليد الأعمى للغير بغير دليل، أو اتباع المتشابه، أو الجدل المذموم، أو التحزب البدعى.

وأخيرا: لا يغرنك كثرة الهالكين ولا قلة السالكين.





١. انصر دين الله في نفسك وأهلك وبيتك، ينصرك ويثبت أقدامك.

٢. احرص على القول الثابت السديد في حياتك الدنيا.

٣. أنفق في سبيل الله -ما استطعت إلى ذلك سبيلا-.

٤. احرص على الدعاء.

٥. افعل المأمور واترك المحظور.

٦. اقتد بالعلماء الصالحين والدعاة الربانيين.

٧. عليك بحب الله ورسوله.

٨. اكره الكفر، وأبغض العودة إليه.

٩. عليك بالتواصي بالحق، والتواصي بالصبر.

١٠. تعلم المنهج الحق من العلماء الراسخين.

١١. اعتقد أن المستقبل للإسلام، وأن نصر الله قريب.

١٢. إذا أصابتك أعراض الانتكاس... فلا تتردد أن تنطلق إلى العلماء والدعاة والمربين وأن تعرض أمرك عليهم، لتسترشد بآرائهم وتستفيد من خبراتهم في كيفية علاج الانتكاس.. والله أسأل أن يثبتنا وإياك على الحق الذي يرضيه، هو ولي ذلك والقادر عليه.



وأخيرا..

كن صابرا محتسبا



➢ إن الصبر من أجل صفات المؤمنين، ومن أحسن سمات أصحاب العقول الزاكية الذكية، والقلوب الطيبة النقية.

➢ والصبر هو: حبس النفس على طاعة الله بالمحافظة عليها دوما، ورعايتها إخلاصا وتحسينها عملا، وهو: كف النفس عن المعاصي، وثباتها في مقابلة الشهوات، ومقاومة الهوى، وهو: الرضا بقضاء الله وقدره، دون شكوى فيه ولا معه.



لماذا نصبر؟

١. لأن الصبر واجب بالكتاب والسنة والإجماع.. ومما يدل على ذلك: قول الله تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُواْ اصْبِرُواْ وَصَابِرُواْ وَرَابِطُواْ وَاتَّقُواْ اللّهَ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ﴾ [آل عمران: ٢٠٠]. وقول الله تعالى: ﴿فَاصْبِرْ كَمَا صَبَرَ أُوْلُوا الْعَزْمِ مِنَ الرُّسُلِ وَلَا تَسْتَعْجِل لَّهُمْ﴾ [الأحقاف: ٣٥].

➢ وأما السنة الصحيحة: فقد وردت الأحاديث ودلّت على وجوب الصبر، منها قوله ﷺ: «عجبا لأمر المؤمن إن أمره كله له خير، وإن أصابته ضَرّاء شكر فكان خيرا له». [رواه مسلم].

➢ وأما الإجماع: فقد نَقَلَ ابن القيم -رحمه الله- الإجماع على وجوب الصبر.. [«المدارج» ٢/ ١٥٢].

٢. لأن الصبر صفة من صفات عباد الله العالمين المخالفين لسبيل الجاهلين، قال تعالى: ﴿وَعِبَادُ الرَّحْمَنِ الَّذِينَ يَمْشُونَ عَلَى الْأَرْضِ هَوْنًا وَإِذَا خَاطَبَهُمُ الْجَاهِلُونَ قَالُوا سَلَامًا﴾ [الفرقان: ٦٣].

٣. لأن الصبر ضرورة لازمة للمسلم، ليبلغ آماله، وتنجح مقاصده، لأن من صبر ظفر.

٤. لأن الشارع الحكيم جعل الصبر سببا للفوز والنجاح والنجاة، قال تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُواْ اصْبِرُواْ وَصَابِرُواْ وَرَابِطُواْ وَاتَّقُواْ اللهَ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ﴾ [آل عمران: ٢٠٠].

٥. لأن الصبر يورث الإمامة فى الدين، قال الله تعالى: ﴿وَجَعَلْنَا مِنْهُمْ أَئِمَّةً يَهْدُونَ بِأَمْرِنَا لَمَّا صَبَرُوا وَكَانُوا بِآيَاتِنَا يُوقِنُونَ﴾ [السجدة: ٢٤].

٦. لأن الصبر فى مواطن الحق هو دليل العزم والقوة، يقول الله تعالى: ﴿يَا بُنَيَّ أَقِمِ الصَّلَاةَ وَأْمُرْ بِالْمَعْرُوفِ وَانْهَ عَنِ الْمُنكَرِ وَاصْبِرْ عَلَى مَا أَصَابَكَ إِنَّ ذَلِكَ مِنْ عَزْمِ الْأُمُورِ﴾ [لقمان: ١٧].

٧. لأن الله جعل الصبر من أسباب دخول الجنة، قال تعالى: ﴿أَمْ حَسِبْتُمْ أَن تَدْخُلُواْ الْجَنَّةَ وَلَمَّا يَعْلَمِ اللهُ الَّذِينَ جَاهَدُواْ مِنكُمْ وَيَعْلَمَ الصَّابِرِينَ﴾ [آل عمران: ١٤٢]، بل جعل الله تعالى لكل عمل جزاءًا مقدرًا إلا الصبر، فإنه فوق التقدير والحساب، قال سبحانه: ﴿إِنَّمَا يُوَفَّى الصَّابِرُونَ أَجْرَهُم بِغَيْرِ حِسَابٍ﴾ [الزمر: ١٠].

٨. لأن الصبر يعين العبد على اجتياز العقبات -خاصة- فى أثناء السير فى طريق الأنبياء والمرسلين طريق الدعوة إلى الله.

➢ كذلك فالصبر يعين على التخلص من شهوات النفس ورغباتها وأطماعها.

والصبر يعين صاحبه على الثبات على الحق والدعوة إليه -خاصة- عند قلة الناصرين، وضعف المعينين وطول الطريق، ووساوس الشياطين

➢ كذلك فإن الصبر يعين صاحبه على مواجهة أهل البدع والشقاق -حتى وإن كثروا-.

٩. لأن الصبر يعين العبد على احتساب الأجر.. إذ الصبر يدفع إلى احتساب الأجر فى الأعمال الصالحة.

➢ والاحتساب يعنى: البدار إلى طلب الأجر وتحصيله بالتسليم والصبر، وهو استعمال كل أنواع البر، والقيام بها على الوجه المرضى طلبًا للثواب المرجو منه.

١٠. لأن العبد لا يستغنى عن الصبر بحال من الأحوال، وذلك لأن جميع ما يلقى فى الدنيا لا يخلو من نوعين:



• **النوع الأول:** النعم التى أسبغها الله على عباده ظاهرًا وباطنًا، وهو يحتاج إلى الصبر عليها، فلا يركن إليها ولا ينهمك فيها، بل يراعى الحقوق ويعطى كل ذى حق حقه.

• **النوع الثانى:** المصائب التى تحيط بالعبد، فتأخذ بالأحبة، وتهلك الأموال فهو محتاج إلى الصبر فيها فلا يجزع.

• **ومن هنا أمر الله** المؤمنين بالصبر والمصابرة والمرابطة على ثغور النفس، لئلا يتسرب إليها اليأس والجزع والسخط والوهن، ولن يغنى عنهم ذلك شيئا.

➢ **إذن فالصبر:** هو العامل المشترك بين قيم الإسلام وأخلاقه، فهو الذى يجمع شملها، ويلم شتاتها، فتبعث موات القلوب.. فالعفة مثلا: صبرٌ عن شهوات البطن والفرج، والشجاعة صبرٌ فى ساحات الوغى، والحلم صبرٌ على دواعى الانتقام عند ثورة الغضب.. وهكذا.



حقيقة الصبر

➢ **يعلمك إياها** الإمام ابن القيم -رحمه الله تعالى- فيقول:

➢ **وحقيقة الصبر:** أن يجعل قوة الإقدام: مصروفة إلى ما ينفعه. وقوة الإحجام: إمساكا عما يضره.





مجالات الصبر كثيرة منها:

• **الصبر على بلايا الدنيا،** وآلام النفس، وأمراض البدن، وفقدان الأحباب، وخسران الأموال.

• **الصبر على شهوات النفس،** خاصة إذا أخذت الدنيا زينتها، وأقبلت على الإنسان تتراقص كالحسناء اللعوب، ونشرت شهواتها ذات اليمين وذات الشمال.. فهذا يحتاج من العبد الصالح إلى الصبر.

• **الصبر فى سبيل** طلب العلم وتحصيله وجمعه.

• **الصبر على طاعة الله تعالى:** لأن النفس لا تستقيم على الأوامر بيسر وسهولة، فلا بد من ترويضها وكبح جماحها، وهذا يحتاج إلى اصطبار، قال تعالى: ﴿رَبُّ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَمَا بَيْنَهُمَا فَاعْبُدْهُ وَاصْطَبِرْ لِعِبَادَتِهِ هَلْ تَعْلَمُ لَهُ سَمِيًّا﴾ [مريم: ٦٥].

ماذا يريد


الصبر على الطاعة يتمثل فى

➢ **الصبر قبل الطاعة** بتصحيح النية والإخلاص والتخلص من شوائب الرياء.

➢ **الصبر أثناء الطاعة** فلا يغفل أثناء تأديتها، ولا يتكاسل، بل يأتى بالعمل المطلوب على الوجه المشروع المرغوب.

➢ **الصبر بعد الطاعة** فلا ينظر لنفسه بعين العجب، لئلا يحبط عمله ويمحى أثره.

• **الصبر على أقدار الله تعالى:** فالعبد المؤمن إذا نزل به قضاء الله تلقاه بكامل الرضا، فإن كان خيرا شكر، وإن كان غير ذلك صبر.

• **الصبر فى مواجهة أهل الزيف والبدع والضلالات،** وكذلك الصبر على اتهاماتهم وكلماتهم البذيئة، وأقوالهم النابية.

فيا أخى.. اصبر واحتسب:

• **اصبر على ما ستلاقى** من الأذى فى سبيل الله... فإن هذا شرف لك فى دينك ودنياك.

• **وليكن شعارك أخى فى الله** فى أثناء سيرك إلى الله... [الصبر - المثابرة - الاصطبار - المرابطة - الاحتساب]. ولا تنسَ أن الاحتساب عبادة مستمرة لا ينقطع أجرها بإذن الله، لهذا فإن المسلم الموفق يحتسب على الله الأجر فى جميع أموره وعبادته...، وبهذا يزداد رصيد حسناته عند ربه.

كيف تحتسب الأجر؟!

➢ **والجواب:** يمكنك أن تعمل الخيرات والأعمال الصالحات، فتحصل على أعلى الدرجات بالنية الصالحة واحتساب الأجر، وإليك هذا النموذج العملى، والذى تتعلم من خلاله كيف تحتسب الأجر؟!

• **نموذج عملى:** وأنت ذاهب للصلاة فى المسجد جماعة، وفى أثناء طريقك للمسجد يمكنك استحضار عددٍ من النوايا، ثم تحتسب أجرها على الله، ليزداد ثوابك وأجرك.

• **من هذه النوايا:** إدراك تكبيرة الإحرام فى المسجد جماعة، التطهر فى البيت ثم التبكير للذهاب إلى المسجد لتنال الأجر، تكثير سواد المسلمين والالتقاء بعباد الله الصالحين، تكثير الخطوات للمسجد، المكث فى المسجد رجاء حصول أجر انتظار الصلاة،

الحرص على قراءة الأذكار، تفقد أحوال أهل المسجد، رجاء الحصول على ثواب مجلس علم، رجاء أن ترجع من المسجد مغفورا لك، تنوى إرشاد السائلين وتعليم المحتاجين أمور دينهم إن كنت مؤهلا لذلك، تنوى القيام بواجب الأمر بالمعروف والنهى عن المنكر بالحكمة والموعظة الحسنة، تنوى نصرة السنة وأهلها بالصلاة فى مساجد أهل السنة[1]..

• **وقد يفتح الله على العبد** بنوايا أخرى صالحة يحتسب أجرها على الله، فإذا فعل العبد ذلك رُزِق ثمرات وبركات الاحتساب.

---

[1] بالنسبة لمسألة: تعدد النيات الشرعية في العمل الواحد... هل هو جائز أم لا؟!.. خلاف بين أهل العلم -رحمهم الله تعالى- فمنهم من يمنع من اجتمع النيات في العمل الشرعي الواحد كابن حزم في المحلى (٢/ ٤٣)، ومنهم من يجوز ذلك مطلقًا كالشيخ/ سيد سابق، كما نقل عنه ذلك الشيخ الألباني في كتابه تمام المنة في التعليق على فقه السنة ص ١٢٦، ومن أهل العلم من توسط بين القولين وفصل الأمر تبعًا لماهية الطاعات المراد الجمع بين نواياها، وهل صورتها صورة المحدد أم صورة العبادة المطلقة.. راجع تفصيل ذلك في كتاب النية وهي دراسة أصولية فقهية متميزة للشيخ الدكتور/ أحمد عبد الرحمن النقيب -جزاه الله خير الجزاء.



إن للاحتساب ثمرات وبركات عديدة منها :

١. **أنه يقطع على العبد طول الأمل**، والتسويف، ويجعله متيقظا دوما، مستشعرا أن الموت يأتي بغتة.

٢. **يجعل صاحبه عالي الهمة** في تحصيل الأجور والحسنات، واستباق الخيرات

٣. **يقطع الطريق أمام النفس الأمارة بالسوء**، وأمام الشيطان الذي يوسوس للمرء دائما فيقول له: لماذا تتعب نفسك؟ ولماذا كل هذه المجهودات؟

٤. **أن للاحتساب أجورا كثيرة لا يعلمها إلا الله**: ومن ذلك أن الاحتساب دليل كمال الإيمان وحسن الإسلام، وهو يساعد صاحبه على الفوز بالجنة.

➢ **كذلك فإن الله تعالى** يبارك في أقل أعمال هذا المحتسب، ولا يحرمه الأجر الجزيل وإن لم يعمل، ما دام قد حبسه حابس أو منعه عذر شرعي.

➢ **كذلك فإن الاحتساب يرفع العبد عند الله**، ويحفظه من نفسه ومن شياطين الإنس والجن... فبالصبر يرتفع القدر... والجزاء.

➢ **فهيا يا عبد الله**... بادر بالتخلق بهذا الخلق الكريم، واحتسب على الله تعالى كل أعمالك .

والله أسأل أن يرزقنا وإياك الصبر والأجر..

ورقة عمل

➢ وأخيرا... وبعد قراءة هذه الرسالة... ماذا تنوى أن تفعل؟؟؟

- هل ستقرأ هذه الرسالة لتحقق شيئا مما يريده الله منك؟
- أم أنك ستقرأ الرسالة قراءةً عابرة سريعة من باب تسلية الوقت وزيادة الثقافة الذهنية الباردة لديك؟

➢ فإن كنت من الصنف الأول.. فأسأل الله أن يشرح صدرك، وأن يثبتك على الحق والهدى.

➢ وإن كنت من الصنف الثانى.. فإنى أسألك بمن شقَّ سمعك وبصرك:

- ألا تعلم أنك بكثرة الاطلاع على الكتب الشرعية دون العمل بما فيها تُكَثِّر حجج الله عليك.
- ألا تحب أن يرضى الله عنك؟!
- ألا تحب ان تكون بطلا؟!

ماذا يريد الله منك؟

- ألا تحب أن تحشر مع أهل التقوى؟!
- ألا تحب أن يكون لك كرامة عند الله؟!
- ألا تحب أن تكون لك عند الله الحسنى؟!
- ألا تحب أن تكون سعيدا بكل ما تحمله هذه الكلمة من معنى؟!
- ألا تحب أن تُنَادى يوم القيامة مع أهل التقوى، وتكون فى كنف الرحمن؟!
- ألا تحب أن تُطيع الله، وأن تعمل بأوامره ليحبك؟!
- ألا تحب أن يجعل لك ربك من كل همٍّ فرجًا، ومن كل ضيق مخرجا، ومن كل بلاء عافية؟!
- ألا تحب أن تكون مقبولا عند الله؟ ألا تحب ذلك كله؟!

كأنى بك تقول: بلى، بلى، ومن ذا الذى لا يحب ذلك؟!

- فهيا يا عبد الله اعمل بطاعة الله تعالى، وإياك أن يداهمك الموت وأنت مسَّوف، واعلم بأن لحظة الاحتضار لحظة موعودة.. فيها ينتهى دورك فى رحلة الحياة.. وفيها ينقطع رزقك..

وتُطوى صحيفة أعمالك.. لتباشر الحساب. ﴿إِذَا جَاءَ أَجَلُهُمْ فَلاَ يَسْتَأْخِرُونَ سَاعَةً وَلاَ يَسْتَقْدِمُونَ﴾، [يونس: ٤٩].

ولو تمعنت مليًا فى موقفك فى تلك اللحظة.. لعلمت أنها لحظة الفصل والجد وأن أكثر الناس هم عنها غافلون..

فهى لحظة مسير طويل.. بدايته سكرة ونهايته خلود فى نعيم أو جحيم، وبحسب حال تلك اللحظة.. تكون طبيعة النهاية.

قال أحد السلف: شيئان قطعا عنى لذة الدنيا... ذكر الموت، وذكر الموقف بين يدى الله.

فانظر أخى إلى الدنيا، فإنها كلها إلى زوال.. وتأمل وحشتك فى قبرك، وابتلاءك فيه بالسؤال... وتذكر أن مستقبلك الحقيقى هو ما بعد موتك فأحسن إلى ربك فيما بقى.. يغفر لك ما قد مضى..

• **إذن أيها المبارك:** عجِّل بالانتظام فى سلك أهل التقوى، والاعتصام من الله بالعروة الوثقى، فإن أهل الطاعة وأهل التقوى هم الأبطال حقا..





➤ **فلقد كتبت هذه الصفحات** التى بين يديك، والتى تحمل بين طياتها: الآية والخبر، والحديث، والحكمة، والأثر، وتبشر بالوعد الصادق المنتظر... ﴿فِي مَقْعَدِ صِدْقٍ عِندَ مَلِيكٍ مُّقْتَدِرٍ﴾ [القمر: ٥٥].

• **غير أنها تريد عزما وعزيمة**، وقوة بأس وشكيمة، وهمما عالية، وإرادات ماضية، ورغبة أكيدة فى الصلاح، وشوقا قويا للفلاح، فاقرأها بقلبك قبل عينيك، ولتكن لديك الرغبة الأكيدة والهمة العالية فى فهم المعانى المذكورة بها، والعمل بمقتضى ما فيها.

فهيا:

- **أظهر** لربك من نفسك خيرا..
- **هيا** انفض عنك غبار الكسل والخمول..
- **أثأر** من شيطانك الذى أفسد عليك نفسك وحياتك، وأوشك أن يفسد عليك آخرتك...

- **ولّ** ظهرك لشهواتك وملذاتك...
- **أقبل** على عباداتك.. تمنّ رضا الله عنك واطلب ، وازهد في هذه الدنيا وارهب.





➢ هل عرفت أخي الكريم ماذا يريد الله منك ؟

اترك لك الجواب أيها المفضال .. نعم اتركه لك أنت وفي هذه اللحظات ارفع لك الراية البيضاء معلنا الاستسلام لرب هذا الكون .

فأرجو أن يكون هذا هو شعورك الأن بعد قراءتك لهذا المبحث المهم جدا ، كما أرجو أن تكون نهاية قراءتك لهذا البحث هى بدايتك في الانطلاق نحو ما يقربك من ربك العلي سبحانه وتعالى .

➢ **تم ما تم،** وكتب ما كتب وما تقدم بيانه على عَجَلٍ بَيّن وخلل واضح، راجيا من الله لى ولك الستر والعافية فى الدارين.

فأرجو منك أخى القارئ الكريم أن تعذرنى إن زلَّ القلم، أو طغى من غير قصد منى، فإن الله أبى أن يكون الكمال إلا لكتابه

ولله در من قال:

لكنّ قدرة مثلى غيرُ خافيةٍ والنملُ يُعذرُ فى القدرِ الذى حملا

واعلم حبيبي في الله أني ما كتبت في هذا الموضوع من باب الأهلية لأنه ليس لمثلي أن يخوض في مثل هذه الموضوعات ، ولكنها وصية مشفق ونصيحة محب، وإلماحة ناصح ، واعتقد أنا الموضوع طويل جد طويل .. ولكن أكتفي منه بعلالة كعلالة الظمأن ، و إلماحة كإلماحة المنذر المحذر

كما أرجو أن تسامحنى إن كنت قد فصّلتَ فى بعض ما يستحق الإجمال، أو أجملت فى موطن يجب فيه الإسهاب، وإنى أستغفر الله -تعالى- وأتوب إليه من كل خطأ أو زلل، وإني راجعٌ عنه -إن شاء الله- فى حياتى وبعد مماتى..

والله أسأل أن يُسدد قصدى وينفعنى به ومن بعدى، والباب مفتوحٌ والصدر مشروح لمن أراد أن يُصحّح خطأ، أو يقدم خيرا، وأفضلهم عندى من أهدى إلىّ عيبى...

وقبل أن أضع القلم

❁ **أرجو من كل أخ حبيب** قرأ الكتاب وانتفع به ألا يحرمنى من دعوة صادقة صالحة بظهر الغيب،

ما دعوة أنفع يا صاحبى... من دعوة الغائب للغائب

ناشدتك الرحمن يا قارئا... أن تسأل الغفران للكاتب

❁ **ويشرفنى ويسعدنى اتصالك بى،** وتواصلك معى وأرجو أن ينفعك ربك بالعلم النافع، وأن يعينك على العمل الصالح.

تولاك الله فى نفسك ذويك ومحبيك، وأعانك على امتثال أمره وطاعته، واتباع نبيه وصدق محبته

وكتبه

اخوك المحب فى الله

على بن قاسم على

مصر- المنصورة ت/ ٠٠٢/٠١٢٣٨٨٣١٦٥

* يمكنك التواصل معنا عبر الشبكة العنكبوتية بمنتدى الحور العين
www.hor٣en.com

الفهرس

ترقبوا الإصدارات الجديدة للمؤلف

كتاب

رياض الجنة

في الدروس المستفادة من تراجم شيوخ أهل السنة

هذا كتاب يحتوي على عدد كبير من التراجم العلمية لمشايخ ودعاة أهل السنة بمصر حفظها الله

* * *

كتاب

الرياض الندية

من القرآن والسنة النبوية

وهو كتاب هام لكل مربي، ومربى يحوى على ٣٦٥ درس

وترقبوا الإصدارات التربوية الجديدة للمؤلف بمشيئة الله تعالى:

سلسلة

نحو التزام أفضل

تقرأ فيها عن:

- معنى الالتزام.
- الالتزام.. لماذا؟!
- دعوني التزم!!
- كيف نثبت في زمان الفتن؟!
- الالتزام الأجوف.. الأسباب والعلاج..
- إلى من حاد عن الصف...
- الشباب المسلم بين البناء والتعمير والخراب والتدمير..
- كيف تدعو غيرك للالتزام؟!

ترقبوا الإصدارات الجديدة للمؤلف بمشيئة الله تعالى..

سلسلة

أصول الوصول إلى المنهج الحق

تقرأ فيها عن:

- من أتبع في زمان الفتن؟!
- خصائص المنهج الحق.
- من هو العالم الذي يرجع إليه عند الاختلاف؟!
- لمن تقرأ؟!
- كيف تقرأ؟!

يصدر للمؤلف قريبًا بمشية الله تعالى

كتاب

الحياء المفتقد

جمع وترتيب

علي بن قاسم علي

يصدر للمؤلف بمشيئة الله تعالى

سلسلة

الشباب مشكلات وحلول

تقرأ فيها:

- قبل أن تنفذ الصلاحية..
- الوهم القاتل..
- الجريمة الخلقية..
- الحب عذاب..
- الزنا.. وعلاجه..
- أخيه.. اسمعني..
- الشباب والموضة..
- تقديم الجواب لهداية الشباب..
- هداية الجيران..

يصدر قريباً:

سلسلة

إلى أمل أمة

تقرأ فيها:

- اللحم الرخيص
- كلام صريح جداً
- لماذا تتبرجي؟!
- نفسي أتزوج؟!
- إلى أختنا في المرحلتين الثانوية والجامعية

